تاريخ الطب الإسلامى بنيّــة العلم الحديث

الدكتور

خالد حربى

كلية اداب جامعة اسكندرية

الطبعة الاولى

2015م

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس5404480 ـ الاسكندرية



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى علم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على كافة المرسلين صلاة وسلاما يستغرقان مع سيد البشر سائر المرسلين، وعلى اله وصحبه والتابعين.. وبعد :

فمن الثابت أن منظومة علم الطب قد شهدت اهتماما كبيرا فى الحضارة الإسلامية ، ويعد هذا الاهتمام امتدادا طبيعيا لما عرفه العرب فى العصر الجاهلى من أمور الطب. فكانت أمة العرب فى صدر الإسلام لاتعنى بشيئ من العلوم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها حاشى صناعة الطب فإنها كانت موجودة عند العرب لحاجة الناس طرا إليها. فعرف العرب فى الجاهلية التداوى بالعسل وبعض الإعشاب والحجامة والفصد والكى بالنار واستئصال الأطراف الفاسدة ، وتعالجوا بالحمية استنادا إلى قولهم:" المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء"، إضافة إلى استخدام التمائم وتعاويذ الكهان والعرافين.

وبعد بزوغ شمس النبوة ، زاد الاهتمام بصناعة الطب بتوجيه من الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيما قاله: " يا عباد الله تداوو فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا واحد وهو الهرم". وعلى ذلك اتخذت الممارسات الطبية فى صدر الإسلام طابعا إيمانيا ينضح بروح الإسلام ويقيّم المرض والصحة على أساس العناية والقدرة الإلهية.

وفى القرن الأول من الهجرة النبوية الشريفة زاد اهتمام أمة "أقرأ" بالطب كعلم له أصوله ينبغى على العلماء الوقوف عليها ، فبدأت بواكير نهضة الأمة الطبية بالاطلاع على طب الأمم الأخرى، وترجمة أهم مؤلفات الطب اليونانية والسريانية والهندية والفارسية إلى اللغة

العربية. لكن لم يتوقف علماء وأطباء الحضارة الإسلامية على ماتحويه كتب الأمم الأخرى، بل تناولوها بالنقد والتمحيص، وواضعين مثل هذه الكتابات النظرية على المحك الذى دشنوه، ألا وهو المنهج التجريبى الذى به وصلوا إلى مرحلة فاصلة من مراحل تاريخ الطب الإنسانى تقوم على التجربة، لتنتهي بالاكتشاف والإبداع.

فاهتم المسلمون اهتماماً بالغاً بالطب السريرى، وذلك إنما يرجع إلى اهتمامهم البالغ بالمنهج التجريبى فى العلوم الطبيعية لاسيما الطبية منها فكانوا أول من وضع للمبادىء الأساسية لعلم السريريات البحتة، وهم أول من اكتشف ووصف مرض الجدرى والحصبة Small - pox and Measles، ووضع لهما العلاجات المناسبة. وأول من ابتكر خيوط الجراحة، وأول من استعمل الأنابيب التى يمر فيها الصديد والقيح والإفرازات السامة. كما استطاعوا التمييز بين النزيف الشريانى والنزيف الوريدى، واستعمال الضغط بالأصبع وبالرباط فى حالة النزيف الشريانى. وعلماء المسلمين أول من قال بصعوبة شفاء المريض بالسل الرئوى ، وذلك بسبب حركة الرئة، وعلى أساس أن العضو المريض يحتاج إلى السكون ، والذى لا يتوافر فى الرئة الدائمة الحركة بفعل التنفس، أول من عرف أن سبب الطلق هو تقلصات الرحم، أول من أشار لضرورة التدخل الجراحى فى مداواة السرطان، وتحدثوا عن وجود شبكة شعرية من العروق النابضة (الشرايين) ، وأشاروا إلى وجود الشعيرات الدموية بين الشرايين والأوردة، وأول من اكتشف وقدم البراهين على أن الرحم ينقبض أثناء الولادة ، فقد قال أبقراط ومن جاء بعده بأن الطفل فى جوف الأم يتحرك بنفسه تلقائياً ويخرج بواسطة هذه الحركة من الرحم. فجاء أطباء وعلماء المسلمين ليكونوا أول من قال

بحركة الرحم المولدة التى تدفع الثمرة إلى الخروج بواسطة انقباض عضلاته، فالجنين يطرد ولا يخرج ذاتياً كما كان يقول أبقراط وغيره.

والمسلمون هم أول من ربط الشرايين ، وأول من وصف النزيف واستعداد بعض الأجسام له (هيموفيليا) ، وأول من أجرى عملية استئصال حصى المثانة فى النساء عن طريق المهبل ، واكتشفوا مرآة خاصة بالمهبل ، وآلة لتوسيع الرحم للعمليات ، وأجروا عملية تفتيت الحصاة فى المثانة. وقد أوصوا فى جميع العمليات الجراحية التى تجرى فى النصف السفلى من الإنسان بأن يرفع الحوض والأرجل قبل كل شئ . وهذه طريقة اقتبسها الغرب مباشرة عنهم واستعملها كثيرا حتى وقتنا هذا ، ولكنها نحلت – زورا وبهتانا – للجراح الألماني ترند لنبورغ وعرفت باسمه دون أصاحبها الأصليين. وقبل برسيفال بوت بسبعمائة سنة عنوا أيضا بالتهاب المفاصل وبالسل الذى يصيب فقرات الظهر والذى سمي فيما بعد باسم الطبيب الإنجليزي بوت، فعرف بالداء البوتي زورا!

والمسلمون أول من قدم وصفاً سريرياً لالتهاب الجلد الخام ، وللالتهابات الناشفة والانسكابية لكيس القلب، وأول من ابتكر الحقنة الشرجية المغذية، والغذاء الصناعى لمختلف حالات شلل عضلات المعدة وأول من استعمل أنبوبة مجوفة من القصدير لتغذية المصابين بعسر البلع، وقدموا وصفاً كاملاً لسرطان المعدة، وأول من اكتشف الدورة الدموية الصغرى. وإذا كانت الأبحاث الطبية الحديثة قد أثبتت أن مادة الصفراء تساعد على إيقاف تكاثر البكتريا ، فإن أطباء الحضارة الإسلامية قد توصلوا الى ذلك فى زمانهم، فكانوا يعقمون الآلات المستعملة فى العمليات الجراحية ويطهرونها بنقعها فى الصفراء، وهم

أول من اكتشف الجمرة الخبيثة ووصفها ، بل والطفيل المسبب لها ، وما ينتج عنها من حمى ، أطلق عليها (الحمى الفارسية) ، وأول من اكتشف داء السل والطفيل المسبب له، وداء الصفراء، و الطفيلية المسئولة عنه ، وهى الدودة المستديرة التى تسمى اليوم " بالأنكلوستوما ". ووصل علماء الحضارة الإسلامية إلى مفهوم التجرثم microbic الحديث فكانوا أول من اكتشف جرثومة الجرب.

وعنى أطباء الحضارة الإسلامية عناية فائقة بجراحة العين وأجزائها كالأجفان، وفصلوا القول فى جراحتها وما يصيبها مثل الشعرة الناكسة وكيفية معالجتها بالتشمير والكى ، وجراحة السّبل والظفرة ، والثآليل التى تعرض فى جفون العين ، والبرَدَ وهو اجتماع رطوبة غليظة فى الجفنين ، والشرناق وهو تشكل الحليمات فى الملتحمة الجفنية ، وكذلك استئصال السعفات والأورام ، وأطلقوا تعبير "الماء النازل فى العين" على الساد ، وابتكروا المقدح المجوّف واستخدامه فى تفتيت الماء بالمص أو الشفط ، ثم طوروه بجعل حافة إبرته رقيقة كالسيف ، بعد أن كانت مثلثة ، وصنعوها من النحاس الأصفر ، وذكروا لأول مرة أن الساد (الماء) يقع خلف العنبية (القزحية) وليس أمامها ، كما كان سائداً ، ووصفوا لأول مرة عملية استخراج الساد عن طريق الضغط عليه من خارج العين واستدراجه برأس الإبرة ليخرج من الجرح أسفل الإكيل القرنى ، وأظهروا لأول مرة رسومات الآلات الجراحية ، وحذروا للمرة الأولى فى تاريخ الطب من أذية بطانة القرنية أثناء القدح ، إذ أن ذلك يوجب آفة مستديمة وتغيماً وأبيضاضا فى القرينة يصعب علاجه ، كما أن عدم التئام الجرح واستمرار نز الرطوبات العينية منه يؤدى بالعين إلى انخسافها وضمورها ، وفقدان

بصرها ، وهذا ما يحذره جراحوا العيون حالياً ، واكتشفوا ودونوا لأول مرة فى تاريخ الطب أن الحدقة تضيق فى الضوء وتتسع فى الظلمة ، وعرفوا كيفية خياطة الجروح من الداخل بحيث لا تترك أثراً فى الخارج ، وذلك عن طريق استعمال إبرتين وخيط واحد مثبت بهما ، واستعملوا لأول مرة المغناطيس فى استخراج الأجسام المعدنية التى تدخل فى العين ، ووضعوا أول كتاب منهجى متكامل عن طب العيون يبحث فى الأمراض التى يمكن أن تصيب العين وكيفية معالجتها ، وقدموا مفاهيم وأسس علمية ونظريات مبتكرة غير مسبوقة فى الإبصار ، قامت عليها النظريات الحديثة ، مثل كيفية الإبصار ، وأخطاء البصر ، والانعكاس والانعطاف وأنواع المرايا ، وألفوا أول كتاب عن تشريح العين وملحقاتها فى تاريخ الإنسانية ، وأول من رسم مقطعاً أفقياً للعينين والتصالب البصرى والدماغ ، وأول من وضع رسماً توضيحياً لمقطع أفقى وعمودي فى العين، وأول من أجرى جراحة قطع السليلات الأنفية بآلة الكلابة، واستخدموا خيطاً عليه عقد متباعدة لتجريف انسداد الأنف، وأجروا جراحة استئصال أورام الفك مميزين فيها بين الحميد والخبيث. وتعود الآلة الجراحية الشبيهة بالمنشار السلكى والمستخدمة حالياً فى قص الفك العلوى إلى اكتشاف المسلمين لها وتصنيعها، واشتخرجوا العلق من الأنف بالجفت (الملقط)، وعالجوا الناسور الأنفى الخلقى بشقه جراحياً بمبرد كروى وإخراج الصديد، واستأصلوا القرحات الورمية الخبيئة من جذر الأنف، ووصفوا سرطان الأنف بأنه صلب ونصحوا بعدم استئصاله، كما وصفوا الزكام التحسسى وصفاً إكلينيكيا دقيقاً، ، وعالجوا كسور الأنف، وأشاروا إلى ما يُعرف حالياً بالأورام الخبيئة أو الصمغ السفسلى فى الأذن حين تحدثوا عن الآفات الآلية التى وصفوها

بالأورام الحارة أو الصلبة ، أوالآفات الانحلالية المخربة مثل التآكل أو التقرح. كما يتفق الفهم التشريحى الفيزيولوجى الحديث مع عرضهم لأسباب اصابات الأذن، وخاصة بيان طبيعة الصوت بأنه عبارة عن أمواج تحتاج ضرورة إلى الهواء لتوصيلها إلى التجويف الباطن، فيتشكل فى حالة الإصابة ما يشبه العنبة التى تحتوى على هواء راكد. وبمسبار عليه صمغ استخرجوا الحجر المتموضع فى الأذن، وابتكروا مشرط خاص لفتح الصماخ السمعى الظاهر المغلق خلقياً، وأجروا العديد من العمليات الجراحية، فاستخرجوا الديدان والأجسام الغريبة بالكلابة الرفيعة أو بالملقط، أو بالامتصاص باسطوانة معدنية، أو بفتح شق عند شحمة الأذن، فيستخرج الجسم الغريب، ثم يُخيط الجرح ويُضمد. وابتكروا مساعد للسان فى استأصال اللوزة بجذبها بالكلابة وقطعها بمشرط حاد أو قطعها بما يشبه المقص حاد الشفرتين، وأجروا جراحات شق العنق، وقطع اللهاة، وعددوا أساليب معالجتها، وحذروا من الأذى الذى يحدث للصوت بعد قطعها. وهم أول من نجح فى عملية شق القصبة الهوائية Trachomi ونجحوا فى إيقاف نزيف الدم بربط الشرايين الكبيرة ، وهذا فتح علمي كبير أدعى تحقيقه فى العصر الحديث الجراح الفرنسي الشهير امبرواز باري.

وفى طب الأسنان عالج أطباء الحضارة الإسلامية عصب السن والجذور Endodontics بما يعرف حالياً بتحنيط لب السن pulp fixation وإماتته ، وأرسوا أساس حشو الجذور المستعمل حالياً ، فابتكروا فى مجال تسويس الأسنان Teeth caries ، لأول مرة فى تاريخ الطب ، طريقة ثقب وسط السن المتآكل بمثقب يدوى لإخراج المواد المحتقنة الناتجة عن التهاب العصب، كما صنعوا ونحتوا أسنان

صناعية ونحتوها من عظام البقر والعاج لتحل محل الأسنان المفقودة وتملئ حفرتها مثبتة بسلوك من ذهب .وفى قلع أصول الأضراس واستخراج عظام الفك المكسورة ، ابتكروا واستخدموا الروافع والكلابة التى تشبه فم الطائر ، وقاموا بفتح شريحة لثوية للقلع. وإذا ما تفتت عظم من الفك بعد القلع بسبب التهاب ، فإنهم أوصوا بإزالته بالأدوية تماماً كما هو متبع الآن فى الطب الحديث ، بل أشاروا لأول مرة إلى استعمال الخل المركز لإيقاف النزيف بعد خلع الضروس.وإلى جانب الآلات الجراحية الخاصة بخلع الأسنان ، برع أطباء الحضارة الإسلامية فى تصنيع وتصنيف الآلات الخاصة بجرف التسوس والتآكل ، والآلات الثاقبة والقاطعة مثل المجرفات والأزاميل ، والمسلات ، والمثاقب ، والمبارد ، بالإضافة إلى الصنانير والخطاطيف ومسابر الكى الحرارى ، تلك التى مازالت تستخدم فى طب الأسنان ، بعد أن نال بعضها التطور التكنولوجى الحديث. وفى مجال التخدير لمنع الألم ، يُعد أطباء الحضارة الإسلامية الرواد الأُول فى التخدير العام بالاستنشاق والذى سجلوا به سبقا على الطب الغربى الحديث . ووصفوا لأول مرة فى تاريخ الطب التبريد لتسكين الآلام، وبرعوا فى تشبيك الأسنان المتحركة بالجبيرة السلكية التى وصفوها واستخدموها بأسلاك الذهب استخداماً دقيقاً ، ووسعوا منابت الأسنان فى حالة تآكل العظم بسبب آفة نسج داعمة ، أو خراج سنى ، وأشاورا إلى الامتصاص الدورى الحديث حين وصفوا تآكل يدقق السن بما ينقص منها. كما وقفوا على التراجع اللثوى الذى ينشئْ عن النسج الداعمة إذا التهبت ، وذلك بمعرفتهم نقصان لحم العمور،وأجروا ما يُعرف حالياً فى الطب بالجراحة التجميلية لتشوه الأسنان Malocclusion ، فنشروا الأسنان النابتة

على غيرها ، وسجلوا السبق العلمى الأصيل في تشخيص ووصف القلح والترسبات القلحية وأثرها فى فساد اللثة ، وأساليب وطرق إزالتها تلك التى مازالت مستخدمة فى الطب الحديث، ذلك الذى أقر أيضاً بتشخيصهم لما يُعرف حالياً باسم البثعة Epulis أو الورم اللثوى الذى ينبت على اللثة وفى جوانب الأسنان ، ووضعوا له العلاجات المناسبة والتى تنوعت بين الجراحة والأدوية. وعالجوا كذلك كسر اللحى أو الفك السفلى Mandibular Fractures وخلع الفك السفلى Mandibular Dislocation بطرق ما زالت متبعة فى الطب الحديث مثل الرد الإصبعى وتثبيت الأسنان وربطها بأسلاك من ذهب التى تقابل الآن أسلاك الفولاذ ، وربط الفك السفلى فى اتجاه الرأس بعد رده برباط قماش والذى يقابل الرباط المطاطى حاليا.

وفى بقية الإختصاصات الطبية، برع أطباء الحضارة الإسلامية فى اكتشاف مالم يكتشف قبلهم من العلل وسبل مداواتها، فمارسوا مثلا البزل البطنى للاستسقاء والخراج داخل المساريقا Mesentry وربطوا الاستسقاء بضمامة الكبد والطحال ، كما هو الآن فى الطب الحديث. و أسهموا في مجال التشخيص بقواعد لها أهميتها حتى الآن، منها: المراقبة المستمرة للمريض. والاختبار العلاجى، وهو أن يُعطى العليل علاجاً مراقباً أثره، وموجهاً للتشخيص وفقاً لهذا الأثر. ومنها أهمية ودقة استجواب المريض، فينبغى للطبيب أن لايدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن أن يتولد عن علته من داخل، ومن خارج، ثم يقضى بالأقوى. ومنها أيضاً، العناية بفحص المريض فحصاً شاملاً، على اعتبار أن الجسم وحدة واحدة متماسكة الأعضاء إذا اختل واحد منها "تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى". وقد اعتمدت نظريتهم الأساسية فى

التشخيص على التساؤل عن الفرق بين الأمراض. فمن الإسهامات الأصيلة التى قدموها للطب الإنسانى فى عمومه، تفرقتهم بين الأمراض المتشابهة الأعراض مثل القولنج والحصاة فى الكلى، والنقرس ووجع المفاصل، والصرع العرضى والخلقى.. وغير ذلك، وهذا ما يطلق عليه الآن التشخيص التفريقى Diff Diagnosis المعمول به فى الطب الحديث، والذى اكتشف به المسلمون أيضا ما يسمى فى العصر الحديث بالأمراض النفسجسيمية Psychomatic diseases موضوع اهتمام أحدث فروع الطب. وهم كذلك أول من ربط وظائف الإحساسات والخيال والذاكرة بشروطها الفسيولوجية، وأول من عالجوا مفهوم الوعى بالذات أو "الشعور بالذات"، واكتشفوا ما يعرف اليوم باسم الأمراض الوظيفية Function Illnesses والتى تقال فى مقابل الأمراض العضوية organic Illnesses والأمراض الوظيفية هى أمراض نفسية الأسباب ونفسية النشأة psychogenesis ، وهى الأمراض التى لا ترجع إلى خلل أو أسباب عضوية فى جسد الإنسان أو جهازه العصبي أو الغدى ، بمعنى أن المرض المنتج عن وجود تغيرات فى الدماغ أو الجهاز العصبي المركزى يرتبط بهذا المرض قبل الإصابة. ولكن هذه الأمراض الوظيفية تصيب وظيفة العضو وليس العضو ذاته كالتفكير بالنسبة للدماغ.

إلى غير ذلك من الإبداعات والاكتشافات الطبية التى أبدعها علماء الحضارة الإسلامية واكتشفوها مما ستبحث فيه هذه الدراسة عبر تاريخ الطب الإسلامى الطويل، ومتسائلة عن الحجم والأثر الحقيقى لهذه الإبداعات وتلك الاكتشافات فى الحضارة الإنسانية بعامة وبنية علم الطب الحديث بخاصة.

الله أسأل أن ينتفع بعملى هذا
فهو تعالى من وراء القصد
وعليه التكلان وإليه المرجع والمآب.

الباب الأول

الطب العربى الإسلامى من الجاهلية وحتى الخلافة الأموية

فصل الطب العربى فى الجاهلية

عرف العرب فى جاهليتهم بعض المعارف الطبية التى نقلوها ممن جاورهم من الشعوب القديمة وخاصة الهنود والفرس والكلدانيين، بالإضافة إلى ما استنبطوه من تجاربهم البسيطة كأثر من اثار خبرتهم العملية. وتأثر الطب العربى الجاهلى مثله مثل غيره من طب الشعوب الأخرى بطريقتين فى العلاج، الأولى هى طريقة الكهنة وما ينبثق عنها من عرافة وسحر وشعوذة.الثانية هى طريقة العلاج بالعقاقير والمتمثلة فى العسل وبعض الأشربة النباتية والعدنية البسيطة، بالإضافة إلى الفصد والحجامة والكى.

ومع تطور الممارسات الطبية، برز لدى العرب فى الجاهلية عدد من الأطباء واشتهروا، كان أقدمهم الطبيب "ابن خزيم" من تيم الرباب، كان حاذقا فى الطب وبلغ فيه منزلة عالية قياسا إلى زمانه إلى الدرجة التى معها ضرب به المثل فيه، فكان يقال: "فلان أطب من ابن حزيم"، ونظمت القصائد الشعرية للثناء عليه، ومنها قول أوس بن حجر:

فهل لكما فيها إلى فإننى بصير بما أعيا النطاسى حزيما.

واشتهر منهم طبيب من بنى ثقيف بالطائف يدعىالحارث بن كلدة الثقفى، عاصر الرسول (ﷺ) . ويذكره القفطى ضمن إخبار العلماء بأخبار الحكماء فيقول : الحارث بن كلدة طبيب العرب فى وقته، أصله من ثقيف من أهل الطائف رحل إلى أرض فارس وأخذ الطب عن أهل تلك البلاد من أهل جنديسابور وغيرها فى الجاهلية وقبل الإسلام. وجاد فى هذه الصناعة وطبب بأرض فارس وعالج وحصل له بذلك مال هنالك. وشهد أهل بلاد فارس فيمن رآه بعلمه، وكان قد عالج بعض أجلائهم فبرأ وأعطاه مالاً جزيلاً وجارية حسناء سماها الحارس سمية،

ثم أن نفسه اشتاقت إلى بلاده، فرجع إلى الطائف واشتهر طبه بين العرب. وسمية جاريته هى أم زياد بن أبيه [1].

ويدعوه ابن حلجل ، وابن أبى أصيبعة "الحرث بن كلدة" وأنه قد عاصر الرسول (ﷺ)، وأبو بكر ، وعمر، وعثمان، وعلى، ومعاوية رضى الله عنهم أجمعين. وقد سأله معاوية قائلاً: "ما الطب يا حارث؟ فقال الأزم يا أمير المؤمنين، يعنى الجوع".

ويروى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه مرض بمكة مرضاً فعاده رسول الله (ﷺ) فقال: إدعوا له الحارث بن كلدة فإنه رجل يتطبب. فلما عاده الحارث نظر إليه وقال: "ليس عليه بأس، اتخذوا له فريقة بشيئ من تمر عجوة وحلبة يطبخان، فتحساها ، فبرئ".

ومن أقوال الحارث: "من سره البقاء ، ولا بقاء ، فليباكر الغداء، وليعجل العشاء، وليخفف الرداء، وليقل الجماع" [2].

وقد وفد الحارث بن كلدة على كسرى أنوشروانو وكان له معه حديث طويل، ومن كلامه فيه: إن أساس نظام العادات الصحية هو الاعتدال فى تناول الطعام، وعدم ادخال الطعام على الطعام.ونصح بتجنب الحمامات بعد الوجبات،والممارسات الجنسية فى حالة السكر، وأيد التغطية فى الفراش أثناء الليل، وشرب الماء حسب الرغبة (وهذا ما أثبته الطب الحديث). ونصح أيضا بالابتعاد عن الأدوية فى حالة الصحة، وأوصى بالحجامة والحقن الشرجية.

وبعد انتهاء هذه المحاورةو اعترف كسرى بمكانة الحارث الطبية، ومدى معرفته بهذه الصناعة، حتى أنه أمر بتدوين وتسجيل كل

([1]) القفطى،إخبار العلماء بأخبار الحكماء، طبعة القاهرة1926، ص111.

([2]) إبن أبى أصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، دار الحياة ، بيروت (د.ت)، ص170.

ما قاله الحارث، فكان كتاب "المحاورة فى الطب"

ولما احتضر الحارث بن كلدة ، "اجتمع إليه الناس فقالوا: مرنا بأمر ننتهى إليه من بعدك، فقال: لا تتزوجوا من النساء إلا شابة، ولا تأكلوا الفاكهة إلا فى أوان نضجها، ولا يتعالجن أحد منكم ما احتمل بدنه الداء". وهذه الوصايا معمول بها فى الطب الحديث.

وخلف الحارث إبنا يدعى النضر، فكان النضر بن الحارث بن كلدة، الذى تطبب على أبيه وجالس الأفاضل من العلماء والأحبار والكهنة بمكة وغيرها، وبلغ شأواً جليلاً فى العلوم القديمة وعلوم الفلسفة وأجزاء الحكمة .

ويذكر أبن أبى أصيبعة أن "النضر" ابن خالة النبى (ﷺ)، وكان كثير الأذى والحسد للنبى (ﷺ) ويتكلم فيه بأشياء كثيرة، ويحط من قدره عند أهل مكة . حتى كانت غزوة بدر الكبرى 2هـ - 624م. وكان النضر هذا ضمن أسرى المشركين، فأمر النبى(ﷺ) على بن أبى طالب بقطع عنقه، ففعل، فقالت فتيلة بنت النضر أبيات شعرية ترثى بها أباها ، منها :

فليسمعن النضر إن ناديته	إن كان يسمع ميت أو ينطق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه	لله أرحام هناك تمزق
أمحمد ولأنت نسل نجيبة	فى قومها والفحل فحل معرق
والنضر أقرب من أخذت بزلة	وأحقهم إن كان عتق يعتق
لو كنت قابل فدية لفديته	بأعز ما يفدى به من ينفق

وهـى تشير فـى هـذه الأبيـات إلى القرابـة بـين النضـر والنبـى (ﷺ).
ويقال إن النبى (ﷺ) تأثر بهذه الأبيات، وقال "لو سمعت هذا قبل أن اقتله ما قتلته".

ويبدو أن رواية ابن أبى أصيبعة هذه تفتقد إلى الأسانيد القوية حيث، إن النضر الذى قتله النبى (ﷺ) لم يكن النضر بن الحارث بن كلدة الثقفى الطبيب، ولكنه رجل آخر وذلك على ما يذكر ابن هشام فى سيرته ، فيدعوه: النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى. وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن كان يؤذى رسول الله (ﷺ)، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسفنديار، وكان إذا جلس رسول الله (ﷺ) مجلساً يذكر الله، خلفه فى مجلسه إذا قام ، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلم إلى فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس، ورستم، واسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً منى؟ وقال ابن عباس رضى الله عنهما "فيما بلغنى نزل فيه ثمان آيات من القرآن منها قول الله عز وجل "إذا تتلى عليه أياتنا قال أساطير الأولين".

ويذهب "إدوارد براون" إلى أن صديقاً له يدعى "ميرزا محمد" قد أثبت له بالأدلة أن النضر الذى أمر الرسول (ﷺ) بقتله هو النضر بن الحارث بن كلدة العلقمى، وليس النضر بن الحارث بن كلدة الثقفى الطبيب .

ابن أبى رمثة: كان طبيباً على عهد الرسول (ﷺ)، مزاولاً لأعمال اليد وصناعة الجراح. ومن كلامه أنه قال: أتيت رسول الله (ﷺ)، فرأيت: بين كتفيه الخاتم، فقلت: إنى طبيب فدعنى أعالجه، فقال:

أنت رفيق، والطبيب الله. قال سليمان بن حسان: علم رسول الله (ﷺ) أنه رفيق اليد، ولم يكن فائقاً فى العلم، فبان ذلك من قوله (ﷺ) : والطبيب الله[1] .

وما دام الحديث قد تطرق بنا إلى أطباء عاصروا الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فلا ينبغى لنا أن نتعدى هذه الفترة دون الحديث فى الطب النبوى، ذلك أن أطباء عصر النبوة فى بداية هذا العصر يعدون حلقة الوصل بين الممارسات الطبية في العصر الجاهلى، واكتمال تيارات العمل الطبى فى خضم عصر النبوة نفسه وصولا إلى قمة ازدهاره فى العصر العباسى الثاني. وهذا ما نطالعه فى الفصل القادم.

([1]) عيون الأنباء، ص170.

فصل الطب النبوى

بحث رسول الإنسانية محمد (ﷺ) فى أرض فقيرة بالطب والأطباء، ولكن ليس من مهمات الرسل عليهم السلام أن يعلموا الناس الطب، ولا القيام بإيضاح العلوم الكونية، فإن ذلك متروك لجهود البشر وتجارهم وأبحاثهم العلمية. ومع ذلك لم يخل تشريع سماوى من وصايا صحية تنادى بالنظافة والطهارة والاعتدال فى الطعام والشراب وتحريم الضارات، وكان نصيب الإسلام من ذلك القسط الأوفر (1).

روى صاعد الأندلسى (2) أن أمة العرب فى صدر الإسلام كانت لا تعنى بشئ من العلوم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها، حاشى صناعة الطب، فإنها كانت موجودة عند أفراد من العرب، لحاجة الناس طرأ إليها، ولما كان عندهم من الأثر عن النبى (ﷺ) فى الحث عليها حيث يقول: "يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا واحد وهو الهرم".

وعلى ذلك نجد أن الممارسات الطبية عند العرب قد تابعت مسيرتها فى العصر الجاهلى عند المسلمين بعد بزوغ شمس النبوة، إلا أنها اتخذت طابعا إيمانيا ينضح بروح الإسلام ويقيم المرض والصحة على أساس العناية والقدرة الإلهية.

ولكى تتضح لنا أبعاد هذه المسألة ينبغى لنا أن نعرض للحركة الطبية فى عصر النبوة بصورة موجزة. ولجملة الآراء التى يسرقها المؤرخون حول تفسير هذا الموقف، من حيث إن مؤرخا كابن خلدون

---

(1) محمود الحاج قاسم محمد، الطب عند العرب والمسلمين، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط الأولى، جدة 1987، ص 50.

(2) طبقات الأمم، تحقيق حياة بوعلوان، ط الأولى، بيروت 1985، ص 126-127.

يرى أنه خضوعا للمواضعات العلمية، فلابد من أن يفسر الشفاء كأثر تفاعل الدواء مع الظاهرة المرضية. ولهذا فإنه على الرغم من أن الشفاء والمرض من عند الله، إلا أنه ينبغى التسليم بأن لكل شئ سببا "فاتبع سببا" [1].

أما غير ابن خلدون من أمثال "ابن قين الجوزية" فهم يروم أنه استنادا إلى أن الرسول (ﷺ) لا ينطق عن هواه "إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى" [2]، فهو معصوم من الخطأ، مصيب فى كل ما يقول. ولكن التعميم فى هذه الناحية لا يتفق مع ما جرى من أحاديث الرسول (ﷺ) حول شئون الدنيا فقد يصيب ويخطئ كباقى البشر، فهو (ﷺ) معصوم من الخطأ فيما يوحى به إليه فقط. وهل نعتبر أن الطب ضمن ما أوحى به إلى النبى (ﷺ) من أمور؟

الواقع أنه ليست هناك آيات صريحة على هذا. ولكن يبدو أن الرسول (ﷺ) قد استقى طبه من إلهام صادق فى مرتبة الوحى بالطبع، ومن خبرة طويلة يحكمها عقد نافذ، بدليل أنه ليس من الضرورى أن يشفى المرض تماما كأثر من آثار تجرعه للدواء الذى يصفه الرسول (ﷺ). وربما أرجع البعض ذلك إلى عدم توافر النية الحسنة.

ومن هنا يأتى البحث محاولا ترجيح أحد الموقفين المتعارضين فى تناول الطب النبوى. وفى سبيل ذلك يطرح الباحث سؤالا يدور حوله البحث وهو:

هل تتوقف فائدة الطب النبوى على استخدامه من جهة التبرك، وصدق العقد الإيمانى كما ذهب إلى ذلك ابن خلدون؟ وعليه فإذا تناول

---

(1) سورة الكهف، آية 85.

(2) سورة النجم، آيات 4، 5.

شخص غير مؤمن أحد الوصفات الناجحة التى وصفها النبى (ﷺ) لعلاج داء ما، فإنه لا يشفى وذلك فى مقابل شفاء الشخص المؤمن المصاب بنفس الداء إذا تناول نفس الدواء؟

أم أن الطب الذى رسم لنا معالمه النبى (ﷺ) يفوق طب الأطباء من حيث أنه لا ينطق عن الهوى، على ذهب إليه ابن قيم الجوزية؟

هذا ما سوف ينتهى إليه الفصل، والذى تتطلب مقتضياته أن يبدأ بعرض موجز للطب النبوى، ثم يعرجى منه إلى عرض وجهتى نظر ابن خلدون، وابن قيم الجوزية متناولا لهما بالنقد والتقييم، لينتهى من كل ذلك إلى أيهما أقرب إلى الطب المعاصر.

أولا: موجز الطب النبوى:

ينحصر الطب النبوى فيما آثر عن النبى (ﷺ) من الأحاديث الشريفة الخاصة بالمرض، والتى تشتمل على بعض الأمراض والعلل، وذلك على قدر ما كان متاحا من الوسائل العلاجية، وعلى قدر ما كان مشاعا من الأمراض.

ولقد أحصى الأمام البخارى هذه الأحاديث، فبلغت جملتها كتابين فى الجزء الرابع من صحيحه.

الكتاب الأول: كتاب المرضى [1]، صنفه فى اثنين وعشرين

---

(1) صحيح البخارى بحاشية السددى، للعلامة المدقق أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، مطبعة دار إحياء الكتب العربية (د. ت)، ج4، ص2.

وأيضا:

E. G. Brown, Arabian Medicine, Cambride Univ. Press. 1962 "Prophtetic Medicine" P. 11-12.

بابا تحتوى على ثمانية وثلاثين حديثا عن وجوب عيادة المريض [1] والدعاء له [2]، وما يقال فى ذلك، وعن عيادة النساء للرجال [3]، وعن عيادة المشرك، وعيادة الصبيان [4]، والدعاء برفع الوباء.

أما الكتاب الثانى: فهو كتاب يحتوى – فى صحيح البخارى – على واحد وتسعين حديثا مجموعة فى ثمانية وخمسين بابا، يبدأ الباب الأول منها بحديث الرسول (ﷺ) "ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء" [5]، فمن الأمراض جاء ذكر الصداع والشقيقة، فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى (ﷺ) أحتجم وهو محرم فى رأسه من شقيقة كانت به [6].

وروى عن ابن ماجة فى سننه حديثا – فى صحته نظر – وهو "أن النبى (ﷺ) كان إذا صدع، غلف رأسة بالحناء ويقول: إنه نافع بإذن الله من الصداع" [7].

---

(1) عن أبى موسى الأشعرى قال: قال رسول الله (ﷺ) "أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العانى" رواه البخارى.

(2) عن عائشة رضى الله عنها أن الرسول (ﷺ) كان إذا مريضا أو أتى به قال : "أذهب البأس رب الناس وأنت الشافى لا شفاء له إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما" رواه البخارى.

(3) جاء فى صحيح البخارى أنه لما قدم رسول الله (ﷺ) المدينة وعك أبو بكر وبلال رضى الله عنهما، فعادتهما عائشة رضى الله عنها، وقالت يا أبت كيف تجدك، ويا بلال كيف تجدك، ثم أبلغت الرسول (ﷺ) بما فعلت، فبارك صنيعها.

(4) عن أنس رضى الله عنه أن غلاما يهوديا كان يخدم النبى (ﷺ) فمرض فأتاه النبى (ﷺ) يعوده فقال أسلم فأسلم "رواه البخارى". وقال سعيد بن المسيب عن أبيه لما أحتضر أبو طالب جاءه النبى (ﷺ).

(5) رواه البخارى فى صحيحه.

(6) رواه البخارى فى صحيحه.

(7) ابن قيم الجوزية: الطب النبوى بالتعليق العلمى والطبى للدكتور عادل الأزهرى، والدكتور أحمد على الجازم، مطبعة عيسى البابى الحلبى، ط الثالثة 1980، ص 79.

وقد أشار (ﷺ) بالقسط والزيت كعلاج لذات الجنب [1]، والقسط هو نوع من العود الهندى [2]. وروى أن النبى (ﷺ) دخل على السيدة عائشة فى يوم فوجد عندها إمرأة وعلى حجرها طفل وقد وضعت أصبعها فى فمه والدم يخرج حوله. فقال لها ماذا تفعلين، فقالت أعالجه. فقال لها ما هكذا يكون العلاج. فسألته (ﷺ) عن العلاج فقال لها: عليك بالقسك ويخلط بالزيت ويقطر فى الأنف [3].

يقول الدكتور على محمد مطاوع: فشد انتباهى طريقة استعمال الدواء وهى تنقيطه فى الفم. وبحثت فى كتاب "تذكرة داود الانطاكى" عن القسط فعرفت أنه جذور نباتية. أما الزيت فالمقصود به زيت الزيتون فلم تكن العرب تعرف زيتا غيره فى ذلك الحين. وحصلت على القسط من عند العطار ودققته ناعما واستعملته أولا كسعوط، فوجدته يفتح سدد الأنف فى أقل من ثلاث دقائق، وبذلك يزول الصداع الناشئ عن انسداد فتحات الجيوب الأنفية، وهذا يساعد على خروج الأشياء المتراكمة فى الجيوب الأنفية، كما يساعد على دخول الهواء إلى الجيوب الأنفية الخالية من الإفرازات والتى قل ضغط الهواء فيها نتيجة لانسداد فتحتها بسبب احتقان الغشاء المخاطى للأنف مصحوبا بتراكم إفرازات مخاطية لزجة على الفتحة. والقسط يقلل أو يزيل

---

(1) ذات الجنب: هو مرض التهاب الرئة.

(2) قال ديسقوريدس: القسط ثلاثة أنواع: العربى، والهندى، والسورى، وخواصه أنه يجلو الكلف من الجلد، ويجفف القروح، ونافع من استرخاء العضل والعصب، وينفع من أوجاع الصدر، ويقوى الباء وينفع من وجع الرحم. (ابن سينا: القانون فى الطب، طبعة مؤسسة الحلبى عن طبعة بولاق القديمة، القاهرة بدون تاريخ، الكتاب الثانى ص 280.

(3) على محمد مطاوع، مدخل إلى الطب الإسلامى، رسالة الإمام، تصدرها وزارة الأوقاف، العدد الخامس 406-1985، ص176.

الاحتقان فى الغشاء المخاطى ويقلل إفراز المواد المخاطية وبذلك يساعد على فتح الجيوب الأنفية والتخلص من الإفرازات المتراكمة داخلها أو يساعد على دخول الهواء إلى الجيوب التى قل ضغط الهواء داخلها. ولذلك يزول الصداع ويفتح سدد الأنف ويسهل مرور الهواء إلى الرئتين، وذلك يساعد على قفل الفم أثناء النوم لمن يضطرون إلى التنفس من الفم أثناء النوم لانسداد الأنف.

وعن مرض الطاعون، جاء فى الصحيحين، وعند مالك، والنسائى، أحمد أن النبى (ﷺ) قال: "الطاعون رجز أرسل على طائفة من بنى إسرائيل وعلى من كام قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه وإذا وقع بأرض أنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه". وعن عائشة أنها قالت للنبى (ﷺ) الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: غدة كغدة البعير تخرج فى المراق والإبط".

ومن ذلك يتضح أن ما أمر به (ﷺ) فى شأن هذا المرض من عدم الدخول أو الخروج من أرض وقع فيها يتفق تماما مع ما هو معمول به الآن فى الطب الحديث فيما يعرف بالكردون الصحى حول المنطقة التى يظهر فيها المرض، فيمنع دخول أو خروج أى شخص إلا الأطباء، هؤلاء الذين يتخذون كافة الإجراءات الوقائية من تعقيم وخلافه، وبذلك يتم حصر المرض وعدم انتشاره إلى أماكن أخرى، فيسهل مراقبة المرضى وعلاجهم [1].

---

(1) يقول الطب الحديث إن ميكروب الطاعون موجود فى الفئران، وتأتى عدواه إلى الإنسان عن طريق البراغيث، لذلك غالبا ما يظهر فى القرى وفى التجمعات الكبيرة كما فى أوقات الحرب، وعادة ما يبدأ البرغوث بلدغ الساق ثم يتجه إلى الذراع ثم إلى الوجه، فظهر أعراض الطاعون الرملى فى الرقبة وتحت الإبط وفى الأوردة.

وقد طبق عمر بن الخطاب هذا الأمر وهو فى رحلته إلى الشام، ولما قال له بعض الصحابة: أنقر من قضاء الله يا عمر؟ قال: أفر من قضاء الله إلى قضاء الله.

ويدخل حديث "الطاعون" ضمن "الطب الوقائى" الذى حرص القرآن عليه نظرا لأهميته التى تفوق الطب العلاجى، ومن صوره فى القرآن تحريم الخمر، يقول الله جل وعلى "إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون" (1). وقال الرسول (ﷺ): :ما أسكر كثيرة فقليلة حرام".

ونحن نعلم تأثير المسكرات (أى كل ما يحتوى على الكحول) على الكبد، فإنه يسبب تليفه ويؤثر بالتالى على وظائفه الحيوية اللازمة للحياة (2). ولا يوجد طبيب على ظهر الأرض إلا ويتفق مع القرآن فى نهيه عن الخمر، فهى تؤثر على العقل والبدم معا، والعقل هو المحرك الأول لهذا الجسد. وقد قيل إن الخمر تغرق فى كئوسها أكثر مما تغرق بحار العالم. والخمر تؤثر على الجهاز العصبى، ومن هنا نفهم الحكمة الألهية فى التدرج فى تحريمه (3).

(1) يقول الطب الحديث إن ميكروب الطاعون موجود فى الفئران، وتأتى عدواه إلى الإنسان عن طريق البراغيث، لذلك غالبا ما يظهر فى القرى وفى التجمعات الكبيرة كما فـــى= =أوقات الحرب، وعادة ما يبدأ البرغوث بلدغ الساق ثم يتجه إلى الذراع ثم إلى الوجه، فظهر أعراض الطاعون الرملى فى الرقبة وتحت الإبط وفى الأوردة.

(2) سورة المائدة، آية 90.

(3) على محمد مطاوع، مدخل إلى الطب الإسلامى، ص 68.

وقد نهى النبى (ﷺ) عن التداوى بالمحرمات، فقال (ﷺ) "إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بالمحرم" [1] و: "إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم" [2].

فالخمر أم الخبائث، وما جعل الله لنا فيها شفاء قط، إذ أنها شديدة الأضرار بالعقل، ولا يصح أن يطلب الشفاء من الأمراض والأسقام والعلل من المحرم والخبيث، وربما يكون التداوى بالمحرمات ذريعة لدى النفس الراغبة فيها، والتى تميل بشهوة إليها ولذة فى احتسائها، فتبرر تناولها بأنها نافعة لها مزيلة لأسقامها جالبة لشفائها، لذلك تدمن شربها، وتحب تناولها.

وهناك سر لطيف فى جهل الله سبحانه وتعالى المحرمات مما لا يشفى بها، فالمعروف من الناحية النفسية أن من شروط الشفاء بالدواء أن يكون المريض مقتنعا به معتقدا فى منفعته، إضافة إلى ما جعل الله فيه البركة، وأن اعتقاد المسلم فى تحريم الخمر مثلا، يحول ذلك بينه وبين الاعتقاد فى بركتها ومنفعتها، وحسن الظن بها، وكراهية تناولها، وكلما كان العقل أكثر إيمانا، كان اكره لها ولشربها وأسوأ اعتقادا فيها، وطبعه ينفر منها، فإذا تناولها كانت له داء لا دواء.

ويمثل الطب الوقائى الجزء الأكبر من الطب النبوى من حيث أن الشارع قد جعل الوقاية من مسائل العبادات، مثل العناية بالصحة البدنية (حركات الصلاة الرياضية)، والنظافة (الوضوء والاغتسال)، ورعاية الجلد، وصحة الحواس، والغذاء، والملبس، والتحرز من الأدواء المعدية بطبعها، وإرشاده الأصحاء إلى مجانبة أهلها.

---

(1) رواه أبو داود فى سننه.

(2) رواه البخارى فى صحيحه.

ومن تأمل هدى النبى (ﷺ)، وجده أفضل هدى يمكن حفظ الصحة به: فإن حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم، والمشرب، والمسكن، والهواء، والنوم، واليقظة، والحركة، والسكون، والمنكح، والاستفراغ، والاحتباس. فإذا حصلت هذه على الوجه المعتدل الموافق الملائم للبدن والسن والعادة، كان أقرب إلى دوام الصحة والعافية. أو غلبتها إلى انقضاء الأجل [1].

ففيما يختص بالمأكل والمشرب، قال تعالى: "وكلوا من طيبات ما رزقناكم" [2]. "وكلوا من طيبات واعملوا صالحا" [3]. و"كلوا واشربوا ولا تسرفوا" [4]. و"إنما حرم عليكم الميتة والدن ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم ما ذبح على النصب .." [5].

فحكمة الشارع فى القرآن قد اقتضت إعلامنا أن الدم المحبوس فى الأوردة والشرايين يسرع فى إفساد اللحم. وقد أثبت الطب الحديث ذلك الأمر.

وأثبتت الأبحاث أيضا أن لحم الخنزير عسر الهضم لاحتوائه على الدهنيات أكثر من أى لحم آخر. كما أنه مصدر لعدوى بديدان التريخيلا التى تسبب آلام روماتيزمية شديدة فى العضلات كما أنها مصدر للعدوى بالدودة الشريطية (تينياسوليم)، والدودة وبويضاتها تصيب الإنسان بخلاف الدودة الشريطية التى تعيش فى البقرة فإن

---

(1) ابن القيم، الطب النبوى، طبعة لجنة تراث وتاريخ دولة الإمارات، (د. ت)، ص 167.
(2) سورة البقرة، آية 172.
(3) سورة المؤمنون، من الآية 51.
(4) سورة الأعراف، من الآية 31.
(5) سورة المائدة، من الآية 3.

بويضاتها لا تصيب الإنسان. هذا فضلا عن أن آكلى لحم الخنزير لا يغيرون على زوجاتهم كما يفعل الخنزير أى أنهم يكتسبون صفات الخنزير وسلوكه نحو زوجته [1].

وسألت السيدة عائشة رضى الله عنها النبى (ﷺ) عن حد الإسراف فى قوله تعالى: "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا" فقال لها يا عائشة الأكل فى اليوم مرتين إسراف والله لا يحب المسرفين." وقال رسولنا (ﷺ) "كلوا الطعام شتى فإن حر هذا يطفئ برد هذا". وهذا يعنى أن تعدد مصادر الطعام واجبة لاستكمال المواد الغذائية اللازمة للانسان. فالطعام يجب أن يشتمل على المواد الكربوهيدراتية، والمواد الزلالية، والمواد الدهنية، والأملاح، والفيتامينات.

فلم يكن عادته كما يروى ابن القيم [2] حبس النفس على نوع واحد من الأغذية لا يتعداه إلى ما سواه، فإن ذلك يضر بالطبيعة جدا، وقد يتعذر عليها أحيانا. فإن لم يتناول غيره، ضعف أو هلك، وإن تناول غيره لم تقبله الطبيعة، فاستضر به. فقصرها على نوع واحد دائما – ولو أنه أفضل الأغذية – خطر مضر. وإذا كان فى أحد الطعامين كيفية تحتاج إلى كسر وتعديل، كسرها وعدلها بضدها إن أمكن، كتعديله حرارة الرطب بالبطيخ، وإن لم يجد ذلك، تناوله على حاجة من النفس من غير إسراف، فلا تتضرر به الطبيعة. وكان (ﷺ) إذا عافت نفسه الطعام، لم يأكله، ولم يحملها إياه على كره. وهذا أصل عظيم فى حفظ الصحة. فمتى أكل الإنسان ما تعافه نفسه ولا تشتهيه، كان تضرره به أكثر من انتفاعه. قال أنس: "ما عاب رسول الله (ﷺ)، طعاما

---

(1) على محمد مطاوع، مرجع سابق، ص 66.

(2) ابن القيم، الطب النبوى، ص 189.

قط، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه ولم يأكل منه، [1]. وكان يحب اللحم، وأحبه إليه، الذراع وقدم الشاه، ولذلك سم فيه [2].

وأما هديه فى الشراب، فهو أكمل هدى يحفظ به الصحة، فكان يشرب العسل الممزوج بالماء البارد. وفى هذا من حفظ الصحة ما لا يهتدى إلى معرفته إلا أفاضل الأطباء. فإن شربه ولعقه على الريق يذيب البلغم، ويغسل حمل المعدة، ويجلوا لزوجتها، ويدفع عنها الفضلات، ويسخنها باعتدال، ويدفع سددها، ويفعل مثل ذلك بالكبد والكلى والمثانة. وهو أنفع للمعدة من كل حلو دخلها. وإنما يضر بالعرض لصاحب الصفراء، لحدته وحدة الصفراء، فربما هيجها. ولكن يدفع مضرته لها بالخل، فيعود حينئذ لهم نافعا جدا. وشربه أنفع من كثير من الأشربة المتخذة من السكر.

وقد أمر (ﷺ) بالشرب من أبوال وألبان الإبل لعلاج مرض الاستقساء. وهو مرض خطير يؤدى إلى الوفاة غالبا، إلا أن يشاء الله،

---

(1) نفس المرجع، ص 67.

(2) ذكر عبد الرازق، عن معمر، عن الزهرى، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: "أن امرأة يهودية أهدت إلى النبى (ﷺ) شاه مصلية بخيبر، فقال: ما هذا؟ قال: هدية. وحذرت أن تكون من الصدقة، فلا يأكل منها. فأكل منها النبى (ﷺ) وأكل الصحابة. ثم قال (ﷺ): أمسكوا. ثم قال للمرأة: هل سممت هذه الشاة؟ فقالت: من أخبرك بهذا؟ قال: هذا العظم – لساقها وهو فى يده – قالت نعم. قال: لم؟ قالت أردت إن كنت كاذبا أن يستريح منك الناس، وإن كنت نبيا لم يضرك. قال: فاحتجم النبى (ﷺ) ثلاثة على الكاهل، وأمر أصحابه أن يجتمعوا، فاحتجموا، فمات بعضهم. وفى طريقة أخرى: واحتجم رسول الله (ﷺ) على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة، حجمه أبو هند بالقرن والشفرة، وبقى بعد ذلك ثلاث سنسن، حتى كان وجعه الذى توفى فيه، فقال: ما زلت أجد من الأكلة التى أكلت من الشاه يوم خيبر، حتى كان هذا وإن انقطاع الأبهر منى. فتوفى رسول الله (ﷺ) شهيدا (ابن القيم، الطب النبوى، ص 96-97).

وأهم أعراضه الظاهرة، انتفاخ البطن نتيجة لوجود سائل مصلى داخل التجويف البريتونى. وأسباب هذا المرض عديدة، أهمها تليف الكبد نتيجة الإصابة بالبلهارسيا، هبوط القلب، الدرن البريتونى ...

فى الصحيحين، من حدث أنس بن مالك:"قدم رهط من عرينة وعكل على النبى (ﷺ)، فاجتووا المدينة، فشكوا ذلك إلى النبى (ﷺ)، فقال: لو خرجتم إلى إبل الصدقة، فشربتم من أبوالها وألبانها، ففعلوا. فلما صحوا، عمدوا إلى الرعاة، فقتلوهم واستاقوا الإبل وحاربوا الله ورسوله. فبعث رسول الله (ﷺ) فى آثارهن فأخذوا، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم، وألقاهم فى الشمس حتى ماتوا". والدليل على أن هذا المرض كان الاستسقاء، ما رواه مسلم فى صحيحه – فى هذا الحديث – أنهم قالوا: "إنا اجتوينا المدينة، فعظمن بطوننا، وارتهشت أعضاؤنا"، وذكر تمام الحديث. ولما كانت الأدوية المحتاج إليها فى علاجه هى الأدوية الجالبة التى فيها إطلاق معتدل، وإدرار بحسب الحاجة، وهذه الأمور موجودة فى أبوال الإبل وألبانها، أمرهم النبى (ﷺ) بشربها، فإن فى لبن اللقاح جلاء وتليينا، وإدرارا وتلطيفا وتفتيحا للسدد، إذ كان أكثر رعيها الشيح والقيصوم والبابونج والأقحوان والإذخر، وغير ذلك من الأدوية النافعة للاستسقاء.

وهذا المرض لا يكون إلا مع آفة فى الكبد خاصة. قال الرازى: "لبن اللقاح يشفى أوجاع الكبد وفساد المزاج". وقال صاحب القانون: "ولا يلتفت إلى ما يقال: من أن طبيعة اللبن مضادة لعلاج الاستسقاء. قال: وأعلم أن لبن النوق دواء نافع، لما فيه من الجلاء برفق، وما فيه من خاصية. وإن هذا اللبن شديد المنفعة. فلو أن إنسانا أقام عليه بدل الماء والطعام، لشفى به. وقد جرب ذلك فى قوم دفعوا إلى بلاد العرب،

فقادتهم الضرورة إلى ذلك، فعرفوا. وأنفع الأبوال، بول الجمل الأعرابى، وهو النحيب [1].

وعن الحمى وعلاجها قال (ﷺ) ما ثبت فى الصحيحين"إنما الحمى، أو شدة الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء". وهذا العلاج الذى أوصى به النبى (ﷺ) للحمى يتفق مع ما قاله جالينوس العرب بعد النبى (ﷺ)، وهو أبو بكر الرازى، حيث ثبت فى كتابه الحاوى: "إذا كانت القوة قوية والحمى حادة جدا – والنضج بين، ولا ورم فى الجوف، ولا فتق – ينفع الماء البارد شربا، وإن كان العليل خصب البدن والزمن حار، وكان معتادا استعمال الماء البارد من خارج فليؤذن فيه".

وإذا قبلتنا هذه الحقيقة، والتى مؤداها: أن الطب الحديث يأخذ بالعلاج النبوى للحمى، لأدركنا ما ينطوى عليه هذا الطب – الموحى به – من أمور جد عظيمة ومفيدة. فما زال علاج الحمى بالماء البارد ساريا لتهبيط درجة حرارة الجسم المرتفعة والعلاج على طريقتين:

(أ) خارجيا: ويكون على هيئة مكمدات مثلجة تلطف بها أجزاء الجسم وخاصة الدماغ، وفى بعض الحالات مثل ضربات الشمس ينصح بوضع المصاب كلية فى الثلج حتى تنخفض درجة حرارته المرتفعة التى من الممكن أن تؤدى بحياته إذا لم يفعل ذلك.

(ب) داخليا: ويكون بتعاطى الماء البارد بكثرة عن طريق الفم.

وعن الرمد وأمراض العين، وعلاجها قال سعيد بن زيد: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "الكمأة من المن وماؤها شفاء العين" [2]. وقد روى فى حديث مرفوع "علاج الرمد تقطير الماء البارد فى العين". وهذا

---

(1) راجع، ابن القيم، الطب النبوى، ص 35- 37.

(2) رواه البخارى.

الحديث وأن كان هناك شك فى صحته عن ابن قيم، إلا أنه يتفق مع ما يقول الطب الحديث من حيث إن غسيل العين المصابة بالرمد بالماء المغلى المعقم، يعمل على إزالة الإفرازات الالتهابية الصديدية [1].

وعن مرض الجزام الخطير قال الرسول (ﷺ) "... ولا هامة ولا صفر [2]
وفر من المجذوم فرارك من الأسد" [3].

وعن جابر بن عبد الله أنه كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إلى النبى (ﷺ) "أرجع فقد بايعناك" [4]. وفى الطب النبوى يورد ابن القيم هذين الحديثين عن النبى (ﷺ)، لاتديموا النظر إلى المجذومين" و"كلم المجذوم وبينك وبينه رمح أو رمحين" [5].

---

(1) هامة: مفرد هام: وقد زعم العرب فى الجاهلية أن الهامة طائر يخرج من جمجمة القتيل، ثم يظل يصيح: اسقونى حتى يؤخذ بثأر ذلك القتيل. قال ذو الأصبع العدوانى: يا عمرو، لا تدع شتمى ومنقصتى انظر حتى تقول الهامة: اسقونى.

(2) صفر: وقد زعموا أيضا أن العجائز يموتون فى شهر صفر.

(3) رواه البخارى فى صحيحه.

(4) رواه مسلم فى صحيحه.

(5) ابن القيم: الطب النبوى م، س، ص 136، 137، ويقول الطب الحديث: إن الجذام من الأمراض المزمنة التى يصاب بها الإنسان عن طريق نوع من البكتريا الباسيلية تعرف باسم "مايكوبكتريم ليبرا" وبمجرد دخول الميكروب إلى الجسم، فإنه يتوزع على أجزاء الجسن وأنسجته المختلفة. وتبدأ اعراض الإصابة بالجذام فى أحد شكلين.
الأول: تكون الإصابة فى بدايتها فى شكل بثرة مستديرة لها حواف، ثم يبدأ الجلد حولها بالإحمرار، وبعد فترة قصيرة تظهر بثور أخرى، ويتورم الجلد، ويبدو الوجه كأنه وجه أسد. وقد يصاب الأنف ببعض التشوهات..وقد يعانى المريض من حمى وتورم المفاصل.
أما الشكل الثانى: فإنه يكون فى الأعصاب حيث تصبح سميكة ويمكن الإحساس بها باللمس من فوق الجلد، ويبدو مكان الإصابة مخدرا عديم الإحساس خاصة فى الجانب=

وللنبى (ﷺ) آثار عظيمة فى علاج الكثير من الأمراض، وبعض الأدويةالمفردة ومنافعها، وفوائد الأطعمة، ولا سيما التمر، والأشربة، ولا سيما العسل واللبن. كذلك أشار (ﷺ) بالرقى بالقرآن والمعوذات للمرضى، ولمن أصابته العين، وللسعة الحية والعقرب، ونهى عن السحر.

فعن البلح والتمر مثلا روى النسائى وابن ماجه فى سننهما، من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: قال رسول الله (ﷺ): "كلوا البلح بالتمر. فإن الشيطان إذا نظر إلى ابن آدم يأكل البلح بالتمر، يقول: بقى ابن آدم حتى أكل الحديث بالعتيق". قال بعض أطباء الإسلام: "إنما أمر النبى (ﷺ) بأكل البلح بالتمر، ولم يأمر بأكل البسر مع التمر، لأن البلح بارد يابس، والتمر حار رطب، ففى كل منهما إصلاح للآخر. وليس كذلك البسرمع التمر: فإن كل واحد منهما حارن وإن كانت حرارة التمر أكثر". ولا ينبغى – من جهة الطب – جمع حارين أو باردين. وفى هذا الحديث التنبيه على صحة أصل صناعة الطب، ومراعاة التدبير الذى يصلح فى دفع كيفيات الأغذية

=الداخلى من الساعد، أما اليد والقدم، فإن الحركة فيهما تقل بدرجة كبيرة، وقد تتساقط الأطراف بعد امتصاص عظم الأصابع.

وهناك أيضا نوع ثالث من الإصابة يكمن فى تكون بثرة كبيرة، ويكون الجلد حولها باهت. وهذا النوع يشفى تلقائيا فى 75% من الحالات. وغالبا ما يكون تشخيص الجذام بفحص إفرازات الأنف، أو بحكة الأورام الجلدية والبحث عن الميكروب المميز. ويحتاج المريض لعلاج يستمر لعدة سنوات حتى يشفى وتستخدم لذلك بعض المضادات الحيوية مثل "الريفامبيسين". ومن الأمور البالغة الأهمية أن مريض الجذام يحتاج لعناية وفحوص مستمرة طوال حياته حتى بعد أن يشفى. راجع: داود الأنطاكى، التذكرة بالإضراف العلمى والإعداد للدكتور سامى محمود، المركز العربى للنشر والتوزيع، بدون تاريخ ص 214- 215.

والأدوية بعضها ببعض، ومراعاة القانون الطبى الذى يحفظ به الصحة" [1].

كذلك رغب النبى (ﷺ) فى أكل التمر. ففى الصحيحين، من حديث عامر بن سعد بن أبى وقاص، عن أبيه، قال: قال رسول الله (ﷺ): "من تصبح بسبع تمرات من تمر العالية، لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر". فالتمر يدخل فى الأغذية والأدوية والفاكهة، وهو يوافق أكثر الأبدان، مقو للحار الغريزى. ولا يتولد عنه من الفضلات الرديئة، وما يتولد عن غيره من الأغذية والفاكهة، بل يمنع لمن اعتاده، من تعفن الأخلاط وفسادها.

وقد أجمل النبى (ﷺ) التداوى والشفاء فى ثلاثة حيث قال: "إن كان فى شئ من أدويتكم ففى شربة عسل أو شرطة محجم أو لدغة من نار، وما أحب أن أكتوى" [2].

وقد كان النبى (ﷺ) مداوما على شرب العسل – كلما تيسر له – وقد احتجم على كاهله تارة، وفى رأسة تارة، وعلى ظهر قدمه تارة أخرى. فكان يستفرغ مادة الدم المؤذى من أقرب مكان إليه.

نكتفى بهذا القدر من الطب النبوى، فوصايا الرسول (ﷺ) فى هذا الميدان تحتاج إلى مؤلفات قائمة بذاتها، وقد أنجز بالفعل بعض منها، وتمثل هذه المجموعات سنن فى رسالة طبية منظمة".

ثانيا: تقييم الطب النبوى:

لقد اختلفت نظرة المؤرخين إلى الطب النبوى – كما سبق أن ذكرت – فعنهم من ربط فائدته بصحة العقد الإيمان والتبرك بالنبى (ﷺ

---

(1) ابن القيم، الطب النبوى، 221– 222.

(2) رواه البخارى فى صحيحه.

)، ويمثل هذا الفريق ابن خلدون. ومنهم من رأى أن هذا الطب النبوى يفوق طب الأطباء من حيث إنه صادر من الوحى ومشكاة النبوة. ويمثل هذا الفريق ابن قيم الجوزية.

لنعرض رأى الاثنين: ابن خلدون، وابن القيم، وذلك لترى أيهما أقرب إلى الطب المعاصر القائم على التجربة العلمية.

(1) رأى ابن خلدون:

مع أن ابن خلدون يأخذ بحديث النبى (ﷺ) "المعدة بين الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البردة" [1]، ويجعل مدار بحثه فى فصل صناعة الطب وأنها محتاج إليها فى الحواضر دون البادية" من مقدمته الشهيرة، إلا أنه يعود ليقرر فى نهاية فصل" علم الطب بأنه (ﷺ) إنما بعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعليم الطب ولا غيره من العاديات، وقد وقع له فى شأن تلقيح النحل ما وقع فقال: "أنتم أعلم بأمور دنياكم" فلا ينبغى أن يحمل شئ من الطب الذى وقع له من الأحاديث المنقولة على أنه مشروع، فليس هناك ما يدل عليه، اللهم إلا إذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الإيمانى، فيكون له أثر عظيم فى النفع" [2].

(2) رأى ابن القيم:

وليس طبه (ﷺ) كطب الأطباء، فإن طب النبى (ﷺ) متيقن قطعى إلهى صادر عن الوحى ومشكاة النبوة، وكمال العقل، وطب غيره أكثره حدث وظنون وتجارب [3].

---

(1) الحديث رواه البخارى، والبردة يتعنى إدخال الطعام على الطعام فى المعدة قبل أن يتم هضم الأول.

(2) ابن خلدون: المقدمة، طبعة القاهرة القديمة بدون تاريخ ص 415، ص 494.

(3) ابن قيم الجوزية: الطب النبوى، م. س، ص27.

ومعنى هذا – لدى ابن القيم – أن طبه (ﷺ) ليس من أمور الدنيا فقط كما ذكر ابن خلدون، مثله فى ذلك تأبير النحل، وحفر الخندق، أو غيرهما من الأمور الدنيوية والتى لا يحتم على النبى (ﷺ) الإلمام بها.

وإذا كان للباحث من رأى، فإنه يميل إلى رأى ابن القيم، وذلك استنادا إلى حديث"ما أنزل الله من داء، إلا وانزل له دواء". فمنذ اللحظة التى نطق فيها الرسول (ﷺ) بهذا الحديث، كان إلزاما عليه أن يجيب كل سائل عن دواء لداء أصلبه إذا ما سأله ذلك، وبالطبع فإنه "وما نطق عن الهوى أن هو غلا وحى يوحى" (1).. ومن أصدق من الله قيلا (2).

أن الإسلام يحث على النظرة العلمية للأمور، ومنها المرض الذى يحتاج إلى دواء وعلاج لكى يسترد المريض صحته التى اعتلت بسبب هذا المرض. وتتميز النظرة النبوية للعلاج بالدقة والعمق، وذلك بناء على الحديث السابق، والذى رواه أحمد ومسلم بهذا اللفظ، لكل داء دواء. فإذا أصيب دواء الداء، برأ بإذن الله عز وجل، بمعنى إذا قبل جسم المريض الدواء، حصل له الشفاء – بحول الله – وإذا لم يقبله، استمر فى سقمه. وهذا ما يعرف فى الطب الحديث بما يسمى بالحساسية للدواء.

وهذا الحديث له جانب نفسى عظيم، لا للمريض فقط، بل وللطبيب أيضا فإنه متى استشعر المريض أن لداءه دواء، ارتفعت روحه المعنوية Moral تلك التى يعلق عليها الطب أهمية كبيرة فى البرء. أمل الطبيب فإنه متى علم أن لهذا المرض دواء، جد فى طلبه والتفتيش عنه.

---

(1) سورة النجم، آيات 3، 4.

(2) سورة النساء آية 122.

فقد وصف النبى (ﷺ) العسل [1] كدواء لرجل أصابه الإسهال نتيجة لما أصاب المعدة من أخلاط لزجة تعمل على عدم استقرار الطعام فيها. وينحصر الدواء فيما يزيل تلك الأخلاط، ويجلى المعدة، وأصلح الأدوية لذلك، العسل، ولا سيما إذا أضيف إليه ماء ساخن.

وفى تكراره (ﷺ) سقيه العسل معنى من أبدع المعانى الطبية، وهو: أن الدواء لابد وأن تقدر كميته حسب حال صاحب الداء، فلا تنقص، ولا تزيد عن المقدار المطلوب. فما زال (ﷺ) يأمر بشرب العسل، وتكررت الشربات حتى وصلت إلى المقدار المقاوم للداء، فبرئ المريض بإذن الله. وفى قوله (ﷺ) صدق الله وكذب بطن أخيك" دلالة على نفع العسل كدواء، وأن استمرار الداء ليس لعيب فى الدواء ولكن لكثرة المادة الفاسدة فى البطن مما يتطلب تكرار الدواء.

وعلى ذلك بدأ الطب الحديث يدرك القيمة الغذائية العظيمة للعسل لأنه يحتوى على معظم العناصر اللازمة للجسم، ففيه مقادير من الحديد والمنجنيز، والصوديوم، والكالسيوم، والبوتاسيوم، والماغنسيوم، وفيتامين "ب" المركب،وفيتامين "ج" كما أن خمس وزنه ماء، وأربع اخماسه كربوهيدارت" كما تعطى كل مائة جرام من عسل النحل ما يقرب من 294 سعرا حراريا.. ورغم أن العسل له حلاوة تبلغ ضعف حلاوة السكر العادى، إلا أنه يعتبر أقل ضررا للمصابين بالسكر من السكر العادى، وذلك لأن العسل يتحول فى جسم النحلة إلى سكر بسيط سهل امتصاصه لا يحتاج إلى عملية هضم طويلة داخل

---

(1) روى البخارى فى صحيحه أن رجلا أتى النبى (ﷺ) فقال: أخى يشتكى بطنه، فقال أسقيه عسلا، ثم أتى ثانية فقال أسقه عسلا، ثم أتاه فقال أسقه عسلا، ثم أتاه فقال: فعلت، فقال: صدق الله وكذب بطن أخيك أسقه عسلا، فسقا فبرأ.

جسم الإنسان، وهو بذلك يعتبر ملين خفيف، ومهدئ جيد للأعصاب" (1).

ومن هنا بدأ الحديث داخل أروقة المعامل وقاعات البحث ، وكان نتيجة ذلك أن توصل العلماء إلى العديد من التراكيب النافعة لعسل النحل تدل فى علاج الكثير من الأمراض، كالتبول فى الفراش والجروح المتقيحة (2) والزكام والجيوب الأنفية، والتهاب الحلق، وقرحة المعدة، والأثنى عشر، وزيادة الحموضة.

وللعسل فوائد للكبد والقلب (3)، والأعصاب، والعيون، والتسمم الكحلى، والسعال (الكحة). وله أيضا فوائد للبشرة والجلد. ويفيد العسل وخاصة غذاء الملكات (الرويال جيلى) فى علاج حب الشباب، والدمامل التى تظهر بالوجه. كذلك ينفع المرضى الذين يشكون من عدم القدرة على التركيز الذهنى، وسرعة الشعور بالتعب. هذا بالإضافة إلى "الضعف الجنسى" وإنقطاع الدورة الشهرية فى السيدات اللاتى بلغن سن اليأس مبكرا.

وهذا قول مختصر فى عسل النحل، أردت وضعه كمثال لما ينطوى عليه الطب المحمدى من فوائد جد عظيمة. وصدق ربنا جل وعلى

---

(1) داود الأنطاكى: التذكرة، إشراف د. سامى محمود، م. س، ص 256.

(2) يستعمل المرهم الآتى بنجاح فى المستشفيات الروسية لعلاج الجروح المستعصية التى فشل علاجها بالمضادات الحيوية، ويتكون من 80 جرام عسل نحل و20 جرام زيت كبد الحوت (زيروفورم) انظر المرجع السابق ص 261.

(3) ظهر من الأبحاث التى أجريتها جامعة بولونيا بإيطاليا أن الانتظام على تناول وجبات العسل يوميا قد يشفى المرضى المصابين بالتهاب الكبد المزمن أو التهاب الحويصلة المرارية.. وثبت أيضا أن للعسل تأثيرا مقويا للقلب، ولرفع الضغط المنخفض .. وقد عمل من العسل مرهم بإضافة 3% من السلفا إليه، واستعمل فى علاج قرح القرنية البطيئة الالتئام، وكانت النتائج مذهلة. المرجع السابق ص 268.

إذ يقول: " .... يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون" [1] وصدق رسوله الكريم (ﷺ) حينما قال: "عليكم بالشفاءين العسل والقرآن" [2].

وفى الطب العلاجى النبوى هناك أيضا الحبة السوداء، أو حبة لبركة، والتى تعالج عددا كبيرا من الأمراض المعاصرة لما تحتويه من مواد وقائية مضادة لمعظم الأمراض مثل الفوسفات والحديد، والفوسفور، والكربوهيدرات، والمضادات الحيوية. وبها هرمونات جنسية مقوية ومخصبة ومنشطة ومدرة للبول والصفراء. وتحتوى على إنزيمات مهضمة ومضادة للحموضة وبها مواد مهدئة ومنبهة معا.

ولقد أثبتت الأبحاث أن بذور حبة البركة تحتوى على 43.3٪ كربوهيدرات، 21٪ بروتين، 35.5٪ دهون، و5.59٪ رطوبة، و3.7 رماد. وتحتوى هذه البذور أيضا على زيت طيار، وزيت ثابت.. أما الزيت العطرى الطيار والذى يتم الحصول عليه بواسطة التقطير بالبخار فتتراوح نسبته من 1 - 15٪ ويحتوى على مادة النجللون Nigellon والتى تستخدم لعلاج الربو الشعبى والنزلات المزمنة من شدة البرد والسعال الديكى. وكذلك يحتوى الزيت الطيار على مادى الثيموهيروكينون Zumohydrqauinone ونسبتها 5٪. وتستخدم ضد بكتريا التعفن المعوى كمادة مطهرة للفلورا المعوية الضارة.

أما الزيوت الثابتة فتتراوح نسبتها من 30 – 35٪ وتشمل الأحماض الدهنيةالمكونة منها: حمض اللينوليك 56٪، الأوليك 24.6٪.

---

(1) سورة النحل، آية 29.

(2) رواه البخارى.

والبامتيك 12٪، والأستيارك 3٪، والأيكوساونيك 2.5٪، والميرستيك 16٪ [1].

وتستخدم حبة البركة فى علاج معظم الأمراض تقريبا، وأشهرها: الحكة وأمراض الصدر إذا أضيف من زيتها 3 – 5 نقط إلى الشاى أو القهوة. والزيت مسكن معوى طارد للرياح، ومدر للطمث واللعاب. وقد استخدم بعض أطباء كلية الطب بجامعة الإسكندرية من حبة البركة مادة تستعمل فى علاج مرض الربو أسموها Nigellone.

وأمام هذه النتائج المبهرة التى توصل إليها العلم الحديث من الأبحاث التى أجريت على الحبة السوداء. لا نملك إلا أن نقف فى إجلال وتعظيم عند قول النبى (ﷺ): "الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا السام" قالت عائشة: وما السام؟ قال: "الموت" [2].

كانت هذه أمثلة قليلة لما يزخر به الطب النبوى من مواد طبيعية علاجية مفيدة فى الوقت الحالى. وهى تعتبر بمثابة الدليل الواضح الذى يخالف رأى ابن خلدون السالف الذكر والقائل بإن الطب النبوى لا ينبغى أن يؤخذ إلا من جهة التبرك وصدق العقد الإيمانى وما يخالف الرأى أيضا أن معظم المشتغلين بالأبحاث الحالية على بعض المواد العلاجية المذكورة فى الطب النبوى هو أناس من غير المسلمين لا يعنيهم التبرك بالنبى (ﷺ) وليس لديهم أدنى صدق إيمان به يحقق لهم الشفاء من الأمراض إذا ما تعالجوا بمثل هذه المواد.

---

(1) على الدجوى، موسوعات النباتات الطبية والعطرية، جزءان، مكتبة مدبولى 1996، ج 1، ص 257– 358.

(2) الحديث رواه البخارى فى صحيحه.

وبناء على كل ما سبق، فإن الباحث يرى أنه أذا ما وضع القائمون على أمر الطب والمشتغلين بالتراث نصب أعينهم مسألة التنقيب فى التراث الطبى الإسلامى العربى، ومن ضمنه الطب النبوى، فسيجدوا فيه ما يصلح فى عصرنا هذا.

وعلى ذلك فلا يجب أن نستهين بأمر بعض الممارسات الطبية التى ظهرت فى عصر الرسول (ﷺ)، وأثبت الطب الحديث اليوم صحتها، ولا سيما التطيب بالأعشاب وعسل النحل، واللبن، والحبة السوداء... وغير ذلك خاصة والعالم ينادى اليوم بالعودة إلى العلام بالمواد والأعشاب الطبيعية، والطب النبوى يقوم فى مجمله على العلاجات الطبيعية، والتى ثبت صلاحيتها للكثير من الأمراض المعاصرة، اللهم إلا بعض الأمراض الخطيرة التى ظهرت فى زماننا – بلاء من الله – كنتيجة لمعاصينا – وما أكثرها – وصدق معلم البشرية حينما قال: "... لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشى فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن قضت فى أسلافهم الذين مضوا". (رواه ابن ماجة فى سننه).

فيجب أن نهتم بالممارسات الطبية النبوية، وأن نتعامل معها حتى من جهة صدق الإيمان والتبرك بالنبى (ﷺ) كما ذهب إلى ذلك ابن خلدون، فتكون لها أثر عظيم فى النفع. وذلك لأن شريعة المبعوث بصلاح الدنيا والآخرة، مشتملة على صلاح الأبدان كاشتمالها على صلاح القلوب، وأنها مرشدة إلى حفظ صحتها ودفع آفاتها بطرق كلية.

ومع ذلك فقد أوضح الرسول (ﷺ) أن الأمور الكونية تستند إلى علوم لا تدخل فى مهمة رسالته (ﷺ)، وإن كان يشملها بالتوجيه الخلقى الإنسانى الربانى حتى تستخدم هذه العلوم لمنفعة الإنسان وصالح

الإنسانية ضمن الإطار الأخلاقى فقال (ﷺ) "أنتم أعلم بأمور دنياكم" (1).

ومع ترغيب الإسلام فى العلم النفع، أقبل المسلمون بعد عهد النبوة والخلفاء الراشدين على علوم البلاد التى فتحوها، وكان الطب من أوائل العلوم التى اهتموا بنقلها، وذلك فى العهد الأموى الذى دان للمسلمين فيه، نصف العالم آنذالك، وذلك مانطالعه فى الفصل القادم.

---

(1) الحديث رواه البخارى فى صحيحه.

فصل الطب فى الخلافة الأموية

يمكن الوقوف بصورة ما على مسيرة الطب الإسلامى فى الخلافة الأموية من خلال دراسة أشهر الأطباء الذين أبرزوا الطب فيها. ومنهم: **تياذوق**، كان فى أول دولة بنى أمية، طبيباً فاضلا مشهوراً، له نوادر وألفاظ حسنة فى صناعة الطب. صحب الحجاج بن يوسف الثقفى – الذى ولاه عبد الملك بن مروان – ، وخدمه بالطب، وكان الحجاج يعتمد عليه ويثق فى مداواته. ومن نصائح تياذوق للحجاج: لا تنكح إلا شابة، ولا تأكل من اللحم إلا فتياً، ولا تشرب الدواء إلا من علة، ولا تأكل الفاكهة إلا فى أول نضجها. وامضغ الطعام جيداً. وإذا أكلت نهاراً فلا بأس أن تنام، وإذا أكلت ليلاً فلا تنم حتى تمشى ولو خمسين خطوة .. ولا تأكل حتى تجوع ولا تتكارهن على الجماع. ولا تحبس البول. وخذ من الحمام (الاستحمام) قبل أن يأخذ منك. وقال أربعة تهدم العمر: دخول الحمام على البطنة، والمجامعة على الامتلاء، وأكل القديد الجاف، وشرب الماء البارد على الريق.[1]

واضح أن هذه الوصايا لا يوصى بها إلا طبيب ماهر مجرب، ذو خبرة بأمور الطب والمعالجة. وتتضح أهمية هذه الوصايا، وأهمية صاحبها كطبيب عربى، من أنها جميعاً تتفق مع ما هو معمول به فى الطب الحديث، اللهم إلا الوصية الأخيرة والتى أوصى فيها تياذوق بعدم شرب الماء البارد على الريق. فقد أثبت الطب الحديث أن الماء مليىء بالعناصر الغذائية التى يحتاجها الجسم، وعلى ذلك يكون شربه فى أى وقت ضرورى، ومفيد للجسم، كما أن شرب الماء على الريق مفيد لأنه ينبه المعدة ويجعلها تستعد لاستقبال الطعام.

---

(1) ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ص179.

والخلاصة أنه يجب على الإنسان أن يشرب الماء كلما أحس بالعطش، على الريق كان، أم على غيره، اللهم إذا كان بالإنسان علة تمنعه الماء.

ولما شاخ تياذوق وكبر سنه، وخشى أن يموت ولا يعتاض عنه، لأنه كان أعلم الناس وأحذق الأمة فى وقته بالطب، قال له أحد الملوك: صف لى ما اعتمد عليه فأسوس به نفسى، وأعمل به أيام حياتى، فلست أمن أن يحدث عليك حدث الموت، ولا أجد مثلك. فقال تياذوق: أيها الملك بالخيرات، أقول لك عشرة أبواب إن عملت واجتنبتها لم تعتل مدة حياتك، وهذه عشر كلمات:

1- لا تأكل طعاماً وفى معدتك طعام.

2- لا تأكل ما تضعف أسنانك عن مضغه، فتضعف معدتك عن هضمه.

3- لا تشرب الماء على الطعام حتى تفرغ ساعتين، فإن أصل الداء التخمة، وأصل التخمة الماء على الطعام.

4- عليك بدخول الحمام مرة كل يومين على الأقل، فإنه يخرج من جسدك ما لا يصل إليه الدواء.

5- أكثر الدم فى بدنك تحرص به نفسك.

6- عليك فى كل فصل قئية ومسهلة.

7- لا تحبس البول وإن كنت راكباً.

8- أعرض نفسك على الخلاء قبل نومك.

9- لا تكثر الجماع فإنه يقتبس من نور الحياة.

10- لا تجامع العجوز فإنه يورث الموت الفجأة.

فلما سمع الملك ذلك أمر كاتبه أن يكتب الألفاظ بالذهب الأحمر، ويضعه فى صندوق من ذهب مرصع، وبقى ينظر إليه فى كل يوم ويعمل به، فلم يعتل مدة حياته حتى جاءه الموت الذى لابد منه ولا محيص عنه.[1]

ولتياذوق من الكتب: كتاب كبير ألفه لابنه، وكتاب إبدال الأدوية وكيفية دقها، وإيقاعها وإذابتها، مع شيئ يسير من تفسير أسماء الأدوية.

لم يصل إلينا شيء من هذه الكتب، ولا نستطيع أن نقف على ذكرها، وعلى نصوص منها إلا فى موسوعة الحاوى فى الطب لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى، تلك التى حفظت لنا ولتاريخ الطب كثير من نصوص أطباء الحضارة الإسلامية – وغيرها من الحضارات – التى ضاعت أو فقدت عبر الزمن.

ومن هنا تأتى أهمية موسوعة الحاوى فى الطب للرازى، تلك التى انتهيت فى تحقيقى لها على مدار خمس عشرة سنة إلى العديد من الفوائد الجمة[2] التى تخدم، ليس تاريخ الطب العربى الإسلامى فحسب، بل تاريخ الطب الإنسانى كله، ومنها أنها تحتوى على أوراق ومتون كتب من الحضارات السابقة على الحضارة الإسلامية، كالحضارة الهندية، والحضارة الفارسية، والحضارة اليونانية، وأيضاً الحضارة العربية الإسلامية.ومن أهم نصوص تياذوق الحفوظة فى حاوى الرازى مايلى:

---

(1) المرجع نفسه 180.

(2) الرازى، الحاوى فى الطب ، دراسة وتحقيق خالد حربى، الطبعة الأولى ستين جزءا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية 2013.

اللقوة التى تكون من يبس يضع دهن بنفسج ويسعط بالزبد، ويختص على الرأس والعنق بالخطمى والبنفسج ويدهن اللحى والفقار بدهن الخطمى، ويوضع عليها وعلى الرأس مثانة فيها دهن مسخن ويجلب عليه، وينطل بطبيخ الراسن والأكارع ويمسح الفقارة واللُحى بشحم البط، ويسعط بدهن السمسم واللبن، ويدهن الصدغان بالزبد والشحم وشحم البط.

وإذا كان الصداع لضربة، فإن لم تكن جراحة فعالجه بالتكميد، وبالدهن المفتر، واحذر الحمام، والشراب، والغضب، والأغذية الحارة.

سعوط للصداع البارد: مسك قليل وميعة وعنبر، يُجعل الجميع حباً ويسعط بواحدة.

وينفع من الصداع السعوط بمخ شاة مع دهن بنفسج أو يسعط بالزبد. وينفع الصداع الكائن بعقب النعاس أن يضمد الصدغان والجبهة برماد معجون بخل.

الكمنة: رمد أحمر يابس مزمن ولا رمص معه، وعروق العين فيه ظاهرة، والسبل: امتلاء عروق العين وشبه غشاء عليها كلها.

مما ينبغى أن يدعه صاحب الماء: الحجامة، والسمك، ولحوم الضأن، والصوم، والنبيذ، والبقول، ويأكل مرة نصف النهار.

وينفع من بدء الماء، ويحد البصر، أن يسحق شيئاً من حلتيت بعسل، ويكتحل به ويأكل منه صاحب الوجع، أو يكتحل بشيىء من الفربيون أو كمادريوس.

كحل للغرب، يصوّل القليميا، ثم يسحق بالماء أياماً ويحل قلقديس بالماء ويؤخذ صفوته، ويجمد، ثم يؤخذ منها جزءان، بالسواء

ويجمعان ويسحقان، ويجعلان فى كوز من فخار جديد فى باطنه خل، ويشد رأسه بطبق ويترك المخلوط خمسة عشر يوماً حتى يدخل إليه فى الكوز ندى الخل، ويرطب ثم يخرج ويسحق حتى يجف، وعند الحاجة يجعل منه قليل فى المؤق نفسه بميل إن شاء الله.

ينفع من الرعاف وضع المحاجم على الفخذين، والجلوس فى الماء البارد إلى أن يخضر.

وليداف من الأفيون ويقطر فيه، وشم الروائح المنتنة يقطع الدم أيضاً.

مثقالان حنظل، أربعة مثاقيل حرمل يغليه بخل خمر، ثم يتمضمض به فإنه جيد مجرب لوجع الأسنان، وينفع منه أن يطبخ الإذخر والأيرسا وجوز السرو فى الشراب القوى ويمسك فى الفم مع المر.

وينفع من انقطاع الصوت لرطوبة كانت أو يبس: تين يابس جزء، فوتنج نصف جزء، يطبخان جميعاً ويصفيان ويخلط بهما شئ من صمغ عربى حتى يتعسل ويلعق منه عند النوم.

وينفع من بحة الصوت أن يمسك دهن البنفسج فى الفم يسيغه قليلاً.

ولذلك صار الإنسان من قبل أن يأكل أو يشرب صوته صاف، وإذا شرب أو تناول طعاماً رطباً نقص صفاء الصوت منه ومال إلى الإظلام، فإن أكثر من الشراب صار الصوت أبح.

والصوت الظلم مقدمة الصوت الأبح وكلاهما يعرضان للشيوخ كثيراً لكثرة الرطوبات العرضية فيهم، ومن قدر من الشيوخ أن يتحفظ حتى لا يتولد فيه فضول كثيرة صار صوته أجود من صوت الشاب وأصفى، وذلك ليبس آلات الصوت فيهم.

القيئ بعد الطعام تكون الأخلاط رقيقة لذاعة والمعدة قليلة وينفع منه غاية المنفعة أقراص ماريوش وهى جيدة للمعدة أيضاً أخلاطها: بزر كرفس ستة، أفسنتين أربعة، مر اثنان، فلفل مثله، دار صينى ستة فإن لم يجد فسليقة سوداء مقشرة من قشرها عشرة جندبادستر أفيون اثنان اثنان، الشربة نصف مثقال للصغير وللكبير مثقالان إلى مثقال بأوقيتى شراب قابض لوجع المعدة وللقئ بماء بارد، ثم ينفع بعد ذلك أن تنقيه بالأرياج لستأصل الوجع ولا يجب أن تقدم الأرياج قبل هذا القرص فإنه ربما أفسد لأنه يشتد الوجع واللذع حتى يعرض غشى وينفع من هذا الداء رب الخشخاش.

إذا كثر انصباب السوداء وإلى المعدة إلى الطحال كان منه الشهوة الكلبية، وإن جاز فى ذلك الوقت حتى تبرد المعدة فى غاية البرد كان منه سقوط الشهوة.

أكثر حدوث الخلفة عن تخمة، وعلاجه: تقليل الغذاء وجوارش السفرجل يطبخ السفرجل بعصير السفرجل حتى يتهرأ بشئ من الخل، ثم يصفى ويدق الثقل ويلقى على الماء عسل ويطبخ حتى يغلظ ويؤخذ فلفل أسود، أبيض، وزنجبيل، ونانخة، وقرفة وقاقلة وقرنفل ومصطكى بالسوية، كندر نصف يعجن الجميع بماء اللحم، ويستعمل أيضاً فى هذا سفرجل مقشر ستة أرطال، رمان حامض عشرون رطلاً، حب الآس ثلاثة أقفزة، سماق قفيز كمون نبطى قفيزان ثمرة الينبوت قفيز، قاقيا أوقية، سك مثله، زبيب قابض أربعة عشر دورقاً يطبخ الجميع حتى يغلظ ويصفى ويطبخ ثانية ثم يشرب.

ينفع من القولنج الريحى دلك البطن كله بدهن قد فتق فيه قنة وطبيخ جندبادستر، وللبلغمى: فربيون وفلفل وبورق وعاقرقرحا يطبخ العاقرقرحا والفلفل والجندبادستر ثم يفتق فيه البورق.

إيلاوس يقتل إلى سبعة أيام إلا أن يهيج الحمى فإنها صالحة له جداً إذا كان من خلط غليظ، وكذلك لكل قولنج غليظ.

وأعراضه الرديئة: القئ المتدارك والفواق والكزاز والاختلاط.

ألبان الإبل جيدة للجسد الذى فيه أخلاط رديئة حارة يابسة وتنفض الصفراء والسوداء المحرقين، وتنفع من الحبن وفساد المزاج، وادع بلقحة فتية واسقه مع الصبح قدحاً من لبنها سخناً كما يحلب وليقعد قليلاً ثم لينم حتى يمشى مقعداً أو ثلاثة، فإن كان الذى يمشى أصفرا منهضماً فاسقه مرتين أو ثلاثاً فى النهار فإن كان المشى أبيض فلا تسقه أو اسقه منه قليلاً، فإن أخذه العطش فاسقه من اللبن السخن واخلط بكل قدح ملعقتين من عسل منزوع الرغوة لئلا يجمد فى البطن ولا يحمض، وإذا اعترى منه العطش فضع على الرأس دهن البنفسج أو الخطمى المضروب بالماء البارد ودهن الورد وصب على الرأس فى الصيف الماء البارد وفى الشتاء طبيخ البابونج والبنفسج.

ومن أطباء الخلافة الأموية، ماسرجويه البصرى، طبيب بصرى اشتهر أمره فى الخلافة، خاصة على أيام الخليفة مروان بن الحكم (64- 65هـ) الذى قربه وصار طبيبه الخاص نظراً لما أبداه من مهارة فى تشخيص الأمراض، ووصف وتقديم العلاجات المناسبة.

وفضلاً عن كونه طبيباً فاضلاً، تولى ماسرجويه ترجمة كتاب "أهرن القس بن أعين" إلى اللغة العربية، وهو كُناش فاضل من أفضل الكنانيش القديمة، وجده عمر بن عبد العزيز فى خزائن الكتب،

فأمر بإخراجه ووضعه في مصلاه، واستخار الله في إخراجه إلى المسلمين للانتفاع به، فلما تم له ذلك أربعين صباحاً، أخرجه إلى الناس وبثه في أيديهم[1].

هذا النص الهام الذى أورده ابن جلجل عن ترجمة ماسرجويه لكتاب كُناش أهرن القس، قد اهتم به العلماء والمشتغلون بتأريخ الطب، وذلك لأنه يشير إلى قدم حركة ترجمة علوم الأمم الأخرى إلى اللغة العربية، ويشير أيضاً إلى وجود خزائن للكتب فى صدر الدولة الإسلامية.

وكان ماسرجويه ماهراً فى تشخيص الأمراض والوقوف على الحالة الصحية، فيذكر ابن أبى أصيبعة[2] أن ماسرجويه كان ينظر فى قواريره، فأتاه رجلاً قائلاً له: إننى بُليت بداء لم يبل أحد بمثله، فسأله ماسرجويه عن دائه، فقال: أصبح وبصرى على مظلم، وأنا أجد مثل لحس الكلاب فى معدتى، فلا تزال هذه حالى حتى أطعم شيئاً، فإذا أطعمت، سكن عنى ما أجد إلى وقت انتصاف النهار، ثم يعاودنى ما كنت، فإذا عاودت الأكل سكن ما بى إلى وقت صلاة الغمة، ثم يعاودنى فلا أجد له دواء، إلا معاودة الأكل. فقال ماسرجويه: وددت أن هذا الداء يحوّل إلىّ، وإلى صبيانى، وكنت أعوضك مما نزل بك منه مثل نصف ما أملك: فقال له: ما أفهم عنك؟ فقال ماسرجويه: هذه صحة لا تستحقها، أسأل الله نقلها عنك إلى من هو أحق بها منك.

---

(1) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، المعهد العلمى للآثار الشرقية بالقاهرة 1955، ص61.

(2) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص233 بتصرف.

ولماسرجويه من الكتب: كتاب قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها. كتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها[1]. كتاب فى العين. وقد ذكر بول سباط فى ملحق فهرسته ص60 كتاباً آخر لماسرجويه يدعى "كتاب فى الشراب". ومع أن هذه الكتب لم تصل إلينا ، إلا أن الرازى قد حفظ لنا كثيرا من نصوص ماسرجويه فى موسوعته الحاوى، ومنها[2]:

الماليخوليا إذا خف بعقب لين البطن ، وخروج الرياح والاستمراء التام، فالعلة مراقية، ومن كان من أصحاب الماليخوليا شديد الحزن، فألفه فى مجالسة الناس والشراب والغناء والأسفار الطويلة والنقلة.

جربت أنه ليس شيئ خير لاختلاط العقل، والأمراض الباردة فى الدماغ جملة، من أن يعطى العليل كل يوم دانقاً من الثبادريطوس غدوة ومثله عشية [ثلاثين] يوماً، فإنه يبرؤه البتة، وينفعه من الفالج أيضاً أى نفع.

متى أصاب الرأس حر من السعوط، فأسعطه بدهن بنفسج ولبن، وضع على رأسه خل خمر، وبياض البيض، وخطمى.

كبوب حار: مرزنجوش، نمام، ورق الغار، ورق الأترج، شيح ، سعد ، يطبخ ويكب عليه.

جملة علاج اللقوة: السعوط، والعطوس، والغرور، وينشق خلا حاذقاً، لينحدر الفضل من منخريه"، ويلزم بيتاً مظلماً ويغسل وجهه بالخل، فإن لم ينفع فاكوه على العرق الذى خلف أذنه.

---

(1) القفطى، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص130، والنديم، الفهرست، طبعة القاهرة القديمة 1948، ص413.

(2) خالد حربى، أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية "2" ماسرجويه البصرى،إعادة اكتشاف لنصوص مفقودة ومجهولة، دار الوفاء، الإسكندرية2010.

التشنج الذى يعرض للصبيان الذين بلغوا إلى سبع سنين من حمى حادة ما أقل ما ينجو منهم، وعلامات من يريد أن يبتدئ به منهم ذلك حمة حادة محرقة لا تفارق الجسم ويبس البطن وتغير الألوان إلى الصفرة والحمرة، ويجف ريقهم، وتسود ألسنتهم، وتمتد حلوقهم، وتكون أبوالهم أولا محمرة ، فإذا اشتدت الحمى، وصعدت إلى الرأس أبيض البول، ويسرع ضربان العروق جداً، ويجفف وحينئذ يتشنجون، فانظر إذا رأيت هذا، أن يصب أولا لبن الأتن، ودهن الورد والبنفسج المبرد واسعط بلبن جارية ودهن قرع، واسقه لعاب بزر قطونا مع دهن بنفسج، أفعل ذلك ثلاثة أيام ، فإذا كان الرابع فخبص رأسه بدقيق شعير وبنفسج وإكليل الملك وبابونج مطبوخة مخبصة بدهن الشيرج، وخذ الرأس من القحف إلى العنق كله وضمد العنق به كله، وإن اضطررت [فأقعده فى] دهن بنفسج مفتر، وإن لم يكن فانطل الدهن دائماً على خرز القفا ولين البطن بشيافة، وحسه بالشعير والسكر ودهن لوز بالغداة ، وبيته بالليل على بزر قطونا ودهن ورد، وإلا فاسقه لبن لمرضعة دائماً وليجلب على أوصاله ورأسه، ويضمد إن شاء الله تعالى .

وعالج العضو المتشنج من جميع الأسنان، بأن تلبسها ألية طرية مشرحة ولا تنزعها حتى تنتن، فإذا نتنت فأبدل غيرها، وبالمرهم المعمول من الشحوم والمروخات، وأعلم أن التشنج الذى يهيج من اليبس يجئ قليلاً قليلاً، والذى من الرطوبة يهيج بغتة، وقد ذكرنا علاج التشنج من رطوبة فى باب السكتة لأن علاجهما واحد فيما ذكر.

أنا أعالج الصداع المسمى البيضة بلب الصبر والمصطكى يديمه، واسعطه بأقراص الكوكب .

وعالجه بالفلونيا أيضاً اسعطه به فيسكن، وإن [كان]مع حرارة سقيت صاحبه لب خيارشنبر، ودهن لوز أياماً صالحة يديم عليه، وإن كان مع برد سقيته دهن الخروع ، واطله واطلب له النوم و[اهضم] الطعام الجيد القليل.

و إذا دام الصداع من حمرة فى العين ، ونخس ووجع فسل شريانى الأصداغ.

ضماد للورم الحار فى العين، يؤخذ عدس مقشر وورد أحمر وقردمانا فيطبخ حتى يصير ناعما و حتى يقوى، ويصفى الماء، ويضرب مع بياض البيض وصفرته ودهن ورد ويوضع على العين.

إذا حككت الجرب، فحكه أبداً إلى أن يذهب الغلظ ويرجع الجفن إلى حاله من الرقة، ثم ذر عليه الزعفران المطحون منخولاً بالحرير، وضع عليه مح بيض ودهن بنفسج على العين، وشده ثمان ساعات ، ثم افتحه واكحله من الغد بالأحمر اللين .

السبل يعرض فى البلدان الرطبة الومدة ويعدى بتوارث .

ليس للماء الأخضر والأسود والكدر علاج،والأصفر له علاج .

إذا جلس الرجل للقدح، فاجلسه على كرسى ومره أن يشبك أصابع يديه على ساقيه .

والمقدحة تدخل تحت القرنى، والرطوبة البيضية تحت العنبى .

إذا قدحته فضع على عينه مح بيض، ودهن بنفسج، مضروبين بقطنة، وينام على القفا ثلاثة أيام، ثم يغسل عينه، وإن كان ورم ووجع، فأعد عليه، وينام أيضاً على القفا سبعة أيام.

إذا كان الوجع فى الأذن من البلة والسدة، فقطر فى الأذن ماء الافسنتين رطباً كان أو يابساً أو ماء قشور الفجل. ومما يفتح الصمم:

يدق ورق الحنظل الرطب ويقطر منه فى الأذن وهو فاتر، أو قطر فيه شياف المرارات.

وينفع من الصمم بعقب البرسام التخبص المتخذ بدقيق الشعير، وإكليل الملك والبابونج ودهن خل فاتر ، يلين العصبة ويطلق السمع .

إذا كان وجع الأسنان من البرودة فادلكه بالزنجبيل والعسل، وإن كان من اليبس فاطله دائماً بالرمك وشحم البط، وإن كان من البلة فبالخل والملح ، وإن كان من سدة وخلط غليظ فبالخل وشحم الحنظل. والعاقرقرحا يمضمض به الأسنان، وإن كان من حرارة فبماء عنب الثعلب ونحوه، وأكثر ما تنتفع به الأسنان فى أكثر الأحوال التجفيف لأن طباعها يابس، وهو يحفظ عليها صحتها وتُتخذ هذه من الملح والعظام المحرقة، والأقاقيا، والأملج، والعفص، والفلفل ونحوها، والسك، والسعد.

وإذا رأيت فى الأسنان أكالاً شبه القروح فاكوه بالزيت المغلى يقطر عليه بصوفه فإنه يبرئه .

من أجود ما تداوى به البثور فى الفم واللسان، الماميران الصينى، ثم الفوتنج والورد والسماق والجلنار والكافور والطباشير.

فلدفيون للعفن والآكلة: فوتنج، ماميران، جلنار، زرنيخ، كافور، قاقله، كبابة، طباشير يذر على العفن ، فينفع ويسكن.

ما كان من القلاع أسود وهو الآكلة الرديئة فعالجه بالفلدفيون الذى هو على هذه الصفة : زرنيخان ، أقاقيا ، قاقلة ، ورد ، صندل ، كافور يذر المجموع على الموضع الأسود ، وإن كان أبيض فعالجه بالكزمازج وهو ثمرة الطرفا.

تعرف ما حدث فى اللسان من سوء المزاج بلون اللسان وبالحرارة والبرد والثقل، واللكنة إذا كانت من رطوبة وما عرض من يبس فبالقبض والصغر والتشنج ، وكذا الطعوم الحادثة فيه قد تدل على الأخلاط المستكنة فيه .

وامتناع الكلام فى الحميات الجلاءة لجفاف العضل وتشنجه يعالج بحلب اللبن على الرأس وتمريخ فقار الرقبة والنطل بالدهن ، وربما بقى بعد البرسام ثقل اللسان فافصد العرقين الذين تحته، ورطب الدماغ بسعوط دهن النيلوفر ونحوه.

وينقع للصبى إذا أبطأ كلامه وثقل اللسان من المرأة والرجل عاقرقرحا وقشور كندر، ميويزج ، فلفل، جندبادستر يدلك <بالجميع> تحت وفوق دلكا جيدا .

ولاسترخاء اللسان غرغره بالأيارج والخردل، وللصبيان إذا أبطأ كلامهم أدلك أطراف ألسنتهم وكلمهم واستدعهم الجواب.

إذا عرض الخرس بعد برسام فافصد العرقين اللذين تحت اللسان فإذا عرض تشنج فى أصله فعالجه وكمد العنق من غير القفا بماء البابونج والمرزنجوش وخبصه بدقيق حوارى وبابونج ودهن خل.

وأفضل علاج الخوانيق التى من دم وصفراء الفصد ، ثم خيارشنبر، والحقنة، ويعالج أولاً بسماق الورد وجلنار وماء عنب الثعلب ورب التوت ونحوها ، وفى الانتهاء بطبيخ الطين والخياشنبر واللبن الحليب الحار ونحوها، وفى الصعود بالحارة اللطيفة، كالثوم والحلتيت وعصير الكرنب والعسل والفلفل، والدارصينى ينقع فى سكنجبين وفى ماء العسل ويتغرغر به دائماً.

إذا عرض فى الحجاب ورم، وكان معه عسر النفس الشديد، والكرب الشديد، ثم تبع ذلك اختلاط مات فى الرابع، فإن اخضرت فى هذه العلة الشفتان وطرف الأنف، وكان البول فى ابتداء هذه العلة شديد الحمرة، فإنه يموت كما يخضر أنفه وذلك فى اليوم السادس أو السابع، وإذا عرض مع ذات الجنب غشى شديد، فإنه قاتل إن كان متدراكاً.

كثرة الجشاء يدل على سوء الهضم لأنه يولد الرياح فى المعدة، وإذا كان حامضاً متتابعاً كثير الرياح دل على البرودة، وإن كان دخانياً متفشياً دل على حرارة، وإذا كان سهكاً ينقبض الوجه من ردائته فيه حموضة ودخانية معاً فهو منهما، والضراط يدل على قوة البطن وحسن الهضم وخاصة إذا خرجت صلبة الصوت قوية قليلة الريح فذلك يدل على قلة النفخ فى الأمعاء وقوة عضل البطن مع جودة الهضم، وإذا خرجت ضعيفة منتنة غير متكاثفة كان الفساد أبين وتدل على رداءة الهضم.

الهيضة تعرض من التخم ومن شرب الماء الكثير على المالح لأن الفواق يسترخى عند ذلك وتندفع الأخلاط نحو الأمعاء وأصحابه يشربون الماء جداً ويتقيؤونه، متى فتر فى معدهم فليمسكوا عنه جهودهم حتى إذا سكن قليلاً ينقع لهم حب رمان وتمر هندى وأنجدان وأصله ويشربونه.

متى كانت القوة قوية والفضلة كثيرة، فأسهل ضربة واحدة، وإن كانت القوة ضعيفة والفضلة كثيرة فبمرات مع توق وتقوية القوة، واستعمل المسهل فى الأبدان الحارة والبلدان الحارة والأزمان الحارة اقل إذ هؤلاء يتحلل منهم شئ كثير وبالضد.

واستعمل الإسهال فى البلدان الباردة بأدوية أقوى وكمية أكثر، لأنه يتحلل فيها من الجسم أقل مما يتحلل فى الحارة، ولا تسهل صبياً ولا شيخاً ويحتمى من شرب مسهلاً فى يومين قبله ويومين بعده التعب والجماع والطعام الضار، ويقل من الشراب والطعام يوم الدواء الضعيف الطبيعة عن الهضم، ولا تسق ماءً حاراً مع دواء مطبوخ إلا فى آخره وإلا دفعة، وإخراجه ضربة ولم يعمل، وأما الحب فيجوز أن يشرب ويحرك بالماء الحار، وإن كان يراد من الحب أن ينزل شيئاً من الرأس فليعظم حبه، وإن كان يراد فى المفاصل فليصغر، فإذا أطال الوقوف فى المعدة، ويستدل عليه من الجشاء الذى فيه طعم الدواء فأعنه بماء حار ومص تفاح وماء ملح، فإن أبطأ فى الأمعاء وعلمت أن الجشاء لا طعم له فحركه بالحقن، ومن قصر الدواء فى عمله فتعاوده بالحمام أياماً ليكمل به خروج الفضول التى حركها الدواء، ويدفع الغشى الشديد عند أخذ المسهل بمص اللبن العتيق والبصل بخل، ودلك أسفل الرجلين بزيت وملح، ويدفع المغص بتكميد وشرب ماء حار مع عسل والتحرك بالمشى

الاختلاف إذا كان من ضعف الماسكة فى الكبد كان كماء اللحم، ثم يخرج بالضد فى المعدة، لأن الكيموس فيها غزير كثير إلا أن تضعف الكبد ضعفاً شديداً فعند ذلك لا تحبس حتى يجتمع، ثم يخرج ولكن يخرج أولاً فأولاً ومن أصابه استطلاق من تدبير لطيف فاطعمه سكباجاً ببطون البقر ولحمه وغلظ تدبيره، ومن أصابه اختلاف من أطعمة كثيرة فامنعه.

إذا كان الاختلاف مع فساد هضم فاخلط أدوية قابضة مسخنة مثل هذا القرص: خذ جفت البلوط وحب الآس والرمان والأقاقيا

والأنيسون ونانخة وكموناً منقعاً بخل وأفيوناً يتخذ قرصاً ويسقى غدوة وعشية ، والقمحة السوداء جيدة هاهنا ، إذا لم يكن معه برد فعليك بهذه.

تأخذ عفصاً وثمرة الطرفا وسماقا وأفيوناً يجمع <الجميع> برب الحصرم فإنه يعقد البطن، وإذا كان لين البطن مفرطاً فاسقه قمحة حب الرمان بالغداة، وبيّته على جوارش خوزى بالليل.

يكون الذبول البسيط من الامتناع من تناول الأغذية إما باردة وإما بغير إرادة يعنى بالبسيط ما كان من اليبس فقط، وأما الذبول الذى مع البرد فيعرض للشيوخ وأما الذى مع الحرارة فيعرض من حميات الدق، ولا يشمل الذبول على البدن، لئلا يذبل البتة، ولا فى حال الشيخوخة فغير ممكن، فأما إن امتد لذلك وقت أطول فممكن، وهذا [الجزء] من الطب يسمى تدبير للشيوخ، والغرض فيه مداواة جرم القلب ومنعه بقدر الطاقة أن يجف لأنه ما دام هذا العضو يتحرك فلا يموت، وكذلك الحيوان، وكذلك الحال فى الكبد، ولو أمكن أن تمسك هذه رطبة دائماً لأمكن دفع الشيخوخة، لكنه لما كان لا يمكن ذلك ، فإنه يمكن دفعها مدة طويلة .

القولن لكثرة تردده فى نواحى البطن يكثر أوجاعه وذلك أنه يأخذ نحو اليمين قريباً من الكبد، ثم يجئ إلى ناحية الكلى وإلى الأمام إلى العانة وأسفل منها إلى أصل الحالب .

الزبل ييبس فى المعى الأعور لأن مكثه فيها يطول .

والصفراء إذا كثر أنصبابها إلى الأمعاء يبست الثفل يبساً قوياً فيلبث فى المعى ومنعت الزبل والريح من الانحدار فيكون منه قولنج ردئ.

ويكون قولنج من بلغم غليظ لأن الأمعاء كلها داخلها ملبس بلغم ليغريها حتى لا ينكيها مرور الصفراء والفضول الحادة وإذا جاوز ذلك البلغم حده فى الأكثر كان عنه قولنج ردئ .

القولنج يكون إما من يبس الثفل، والثفل يتيبس إما من يبس الأطعمة، أو من شدة حر الكبد، أو من أجل حرارة الحمى، أو من كثرة صفراء تنزل فى الأمعاء، أو من ريح غليظة، أو من بلغم كثير يجتمع فى المعى، أو من حصى تتولد فى الأمعاء، أو من يبس البطن وهزاله، أو من دود، أو من ضعف العضل الذى على البطن، واعلم أن ما يبس جميع أجناس النجو فهو قولنج.

صاحب الكلى يسهله اليسير من الأدوية المسهلة وصاحب القولنج لا تسهله إلا القوية، ويضر صاحب الكلى الحقن وينفع أصحاب القولنج ويكون معه عسر بول ووجع الفقار ويجد الوجع فى آخر الأمر، وصاحب وجع القولنج لا يخف إلا بانحدار البطن أو خروج الرياح.

حد القرحة فى الأمعاء التى من سحيج الصفراء أسبوعان، والتى من البلغم المالح ثلاثون يوماً، وحد السوداوى أربعون يوماً فصاعدا وربما امتد أشهراً كثيرة وليس لها حد معلوم، وإذا كانت القرحة فى الدبر ولم يكن فى البطن مغس فذلك زحير، والقرحة فى المعى المستقيم عند الدبر قليلة الخراطة ورياحها تدل على أنها من الأمعاء الدقاق وكثرتها وغلظها وغزارتها على أنها من الغلاظ، والوجع فى العليا أشد وهو فوق السرة ويحسه العليل هناك، وإن كانت الخراطة مع الشحم فإنه من الغلاظ، وإذا كان يقوم ساعة يحس بالمغس فإنه من الغلاظ، وصاحب الزحير يكثر القيام والتواتر أكثر جداً من صاحب قروح الأمعاء.

الأمعاء تتقرح إما لبلغم مالح وإما لصفراء وإما لسوداء، وحد القرحة التى من الصفراء أسبوعان، والتى من البلغم المالح ثلاثون يوماً، وأما السوداوى فإنه يزمن ولا يكاد يفلت منه إلا بجهد وإذا وجد قرحة فى المقعدة وكان القيح يخرج خالصاً من غير ثفل البتة وإذا خرج الثفل أيضاً خرج هذا أيضاً أولاً ثم خرج النجو بعقبه فإن العلة قريبة من المقعدة، وإذا كان فى الأمعاء الدقاق نزل ضعيفاً قليلاً، وإذا كان فى الغلاظ نزل شئ كثير غليظ مع قطع لحم وشئ يشبه الثرب.

قد يكون الاستسقاء من ورم طرف الكبد حصر البول لأن الوريد الذى يأخذ الماء من الكبد إلى الكلى ينضم بالورم فيسد، فيرجع ماء الدم إلى الأمعاء .

اللحمى أقرب ضروب الاستسقاء من البرء، وقد رأيت خلقاً برؤا منه، فاسقوهم حب الراوند ولبن اللقاح، وقد يسهل الماء إذا كان مع حرارة ببول المعز ثلاثة أساتيرمع مثله ماء عنب الثعلب وإن لم ينتفع بذلك سقى ألبان اللقاح وأبوالها .

مما ينفع من صلابة الطحال إذا كان من حر: قشور القرع الرطب تجفف ويسقى منها درهم كل يوم بخل حامض قدر نصف أوقية واسقه كذلك من بزر البقلة الحمقاء.

والسل يكون عن القلب لورم فى حجابه أو لسوء مزاج فيه، وعلاجه علاج السل من الأطعمة والحمام وغيره، والخفقان علاج الفصد.

قد يكون الخفقان لفضل دم يصل من الكبد إلى القلب فيتولد لذلك فى حجابه خفقان، و علاجه الفصد وتلطيف التدبير

صاحب الورم فى الكبد يجد من الوجع أكثر من الثقل ، وصاحب السدد يجد من الثقل أضعاف ما يجده صاحب الورم، ويخرج

فى البراز من صاحب السدد أخلاط تدل على تولد السدد.

يستدل على فساد المزاج الحار فى الكبد بالعطش والبول الأحمر وقلة الشهوة، وعلى البارد ببياض الشفة وذهاب صبغها وكذلك اللسان وقلة الدم فى البدن وقلة العطش وقلة الشهوة وفساد اللون ويجد ثقلاً فى الكبد، والرطب بتهيج الوجه وتورمه، واليابس بتشنج فى مراق البطن وانقباضه، وصاحب السدد فى الكبد يجد ثقلاً أكثر جداً من صاحب الورم، وصاحب الورم يجد الورم أكثر، والسعلة اليسيرة وضيق النفس، وثقل الجانب الأيمن ووجع الترقوة والكتف الأيمن يدل على ورم الكبد، فإن كان الورم شديد الحرارة أحمّر اللسان أولاً ثم أسود وقلة الشهوة للطعام وكثرة العطش ويقئ المرة وتجيئ الحمى، وإن لم يكن هذه فالورم ساكن بارد، وإذا كان الورم فى تقعير الكبد كان ضيق التنفس والسعال.

فصل ترجمة مؤلفات طب الأمم الأخرى

ما أن أنطلق العرب شرقاً وغرباً لنشر الدعوة الإسلامية ، حتى تكامل مع هذه الإنطلاقة توجه أكيد الى علوم الحضارات القديمة ، فكان أن أنطلقت أكبر حركة علمية للترجمة فى العالم الإسلامي. لكن قد يتبادر الى الأذهان تساؤل مضمونة : هل يعد النقل فى تلك الفترة هو بداية اتصال المسلمين بثقافات وعلوم الحضارات القديمة ؟

قبل أن نجيب على هذا التساؤل ونعرف أبعاده المعرفية ، قد يكون من الضرورى أن نلقى الضوء على الموقف العلمى الذى وجده المسلمون وقت دخولهم الميدان العلمى كنوع من السباق الحضارى ، ولتأسيس حضارة جديدة تعتمد على العلم بقدر ما تعتمد على الدين .

إن انتشار المسيحية فى الأديرة الموجودة فى شبه الجزيرة العربية وشمال العراق وجنوب بلاد فارس، وما كان يقوم حولها من جدل فلسفى يمس صميم العقائد ، وانتقال مدارس الفلسفة الى فارس القديمة ، ثم فتح المسلمين لفارس والشام ، كل هذا هيأ نوعاً من الاتصال المباشر بين المسلمين وبين ثقافات البلدان التى فتحوها قبل عصر الترجمة الرسمي بفترة طويلة . إذ اتصل المسلمون بالرهبان فى الأديرة واستمعوا الى مناقشاتهم، واسمعوهم ما نزل إليهم من الوحى ،وذلك قبل عصر الترجمة .

أما حركة الترجمة نفسها فقد بدأت أيضاً فى وقت مبكر ودلالة ذلك ما يذكره ابن جلجل [1] من أن الطبيب اليهودى " ماسرجويه " قد ترجم للخليفة عمر بن عبد العزيز كُناش " أهرن القس " من السريانية الى العربية.

ويذكر أيضا أن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد وجد هذا الكنّاش فى خزائن الكتب . وهذا دليل على قدم حركة الترجمة والاهتمام بالعلم، والذى تمثل فى وجود خزانات للكتب فى صدر الدولة الإسلامية .

وترجع بعض الكتابات القديمة والحديثة أيضاً مسألة نقل علوم وثقافات الحضارات القديمة الى العربية للإسهامات التى قام بها الأمير الأموى خالد بن يزيد بن معاوية (ت 85 هـ / 704 م) الذى فقد أمله فى الخلافة ، فتحول الى علوم الصنعة ، إذ يذكر صاحب الفهرست [2] أن " خالدا بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلا فى نفسه ، وله همة ومحبة للعلوم ، خطر بباله الصنعة ، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى الى العربى ، وهذا أول نقل كان فى الإسلام من لغة الى لغة " .

وفى المؤلف الذى عُنى بإخراجه الأساتذة هولت ولامبتون وبرنارد لويس " نجد أن التصور الغربى يتفق مع رؤية ابن النديم حول ما ذكره عن خالد بن يزيد واهتمامه بحركة نقل العلوم . وفى هذا يتفقون مع ما يذكره ابن النديم فى قوله الذى يقرر فيه : " وكانت هذه هى المرة

(1) ابن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء ، ص 61.
(2) ابن النديم ، الفهرست ، ص 338 .

الأولى التى يتم النقل فيها فى تاريخ الإسلام " . ولكن هذا التأكيد يأتى مواكباً للأتصالات التى قام بها خالد فى محيط البيئة الجديد . ومن هذا أنه إذا كان قد أهتم بترجمة العلوم فإنه " يجب أن يكون قد تعلم الكيمياء فى الإسكندرية على يد مريانوس الذى كان بدوره تلميذا للكيميائي السكندري ستيفانوس " [1] .

لكن مع بداية القرن الثانى الهجرى أخذت حركة الترجمة شكلاً شبه منتظم ، ولم تقتصر على نقل علوم اليونان ، بل أقبل المترجمون على النقل من أمم أخرى لاسيما الفرس . فبعد أن نقلت الكتب الكيميائية من اليونانية الى العربية ، تم " نقل الديوان ، وكان باللغة الفارسية الى العربية فى أيام الحجاج . والذى نقله صالح بن عبد الرحمن مولى بنى تميم " [2] .

وفى أيام الرشيد (170 - 193 هـ / 786 - 808 م) أقبل المسلمون على الترجمة ، حتى إذا جاء عهد المأمون (198- 218 هـ / 813 - 938م) كانت هذه الحركة قد بلغت ذروتها . حيث ازدادت الترجمة عن اليونانية ازدياداً عظيماً ، وتم لها الأنتقال من الترجمة الحرفية التى تمتلئ بالعثرات والصعوبات اللفظية الى الترجمة النصية بالمعنى الدقيق . وهذا هو السر فى أننا نجد كثيراً فى ترجمات

---

(1)Holt , p. M. & Iambton , A . K . S & LEWIS , B . , (ed) the Cambridge history of Islam, VOL . 2B , Cambridge Universty press, London, 1970 , p . 774.

(2) الفهرست ، ص 338 . ويذكر الطبرى فى تاريخه أن تدوين الدواوين كان فى عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب ، إذ من تحليله للروايات التاريخية المختلفة ينتهى الى أنه أول من دون للناس فى الإسلام الدواوين . إذ أنه استشار المسلمين فى تدوين الدواوين ، فقال له على بن أبى طالب : تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال ، فلا تمسك منه شيئا . وقال عثمان بن عفان : أرى مالا كثيراً يسع الناس ، وإن لم يحصوا حتى تعرف من أخذ ممن لم يأخذ ، خشيت أن ينتشر الأمر ، فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : يا أمير المؤمنين قد جئت من الشام ، فرأيت ملوكها قد دونوا ديواناً ، وجندوا جنداً ، فدون ديواناً وجند جنداً . فأخذ بقوله (تاريخ الطبري ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة ، بيروت 1411- 1991 م ، جـ 2 ، ص 570) .

المترجمين إعادة لترجمة هذا الكتاب أو ذاك مما ترجمه الحجاج بن مطر من مترجمي العصر العباسي الأول [1].

وكان الطب من أوائل العلوم التى عنى المترجمون السريان واليعاقبة والنساطرة واليهود بنقلها الى اللغة العربية ، لأن الخلفاء والأمراء كانوا يطلبونها بإلحاح لعلاجهم وتمريضهم .

ولهذا كان أوائل الأطباء من هذه الأجناس التى تصدوا لتعريف العرب بالكتب الطبية ، ومنهم حنين بن اسحق ، وأبنه اسحق ، وماسرجويه ، ويوحنا بن ماسويه ، وحبيش بن الأعسم ... وغيرهم مما سيأتى ذكرهم .

ونأتى الآن الى تساؤل منهجى مؤداه : ما هى الدوافع التى دفعت المسلمين فى تلك الفترة بالذات دون غيرها الى " التعرف على " ونقل علوم الأمم الأخرى ؟

نشير هنا أولا الى أننا نستخدم التعبير " التعرف على " بصورة لا ترادف التعبير " نقل علوم الأمم الأخرى " . إن مسألة التعرف تقتضى الفهم والمعرفة ، والإحاطة بجوانب العلم الذى يتم التعرف عليه ، وإدراك جوانبه ، وفهم أبعاده . وهذه عملية معرفية تدخل ضمن إطار الموقف الإبستمولوجى(المعرفى) بصورة أساسية . فى حين أن " نقل " العلوم قد يتم بصورة آلية على يد مترجم ليست له خبرة أو دراية بأكثر من عملية الترجمة ، كما قد يتم على يد مترجم خبير بالموضوع ، ومن ثم فإن النقل يستلزم فى تصوره الثانى الخبرة بالموضوع ، فى حين أن " التعرف على " موضوع من الموضوعات وفهمه لا يستلزم نقله .

---

(1) شوقى ضيف ، العصر العباسي الثانى ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة 1973 ، ص 131.

وكان لتشجيع خلفاء الدولة العباسية لحركة الترجمة الدور البارز فى إنمائها وتقدمها ونجاحها . فلقد مال أفراد من الخلفاء فى العصر العباسي الى العلوم الفلسفية ، والخلفاء عادة أقدر الناس على الترغيب فيما أحبوا . والناس أسرع ما يكون الى تحقيق أغراضهم . وكان أكثر الخلفاء العباسيين ميلاً الى ذلك ، المنصور والرشيد والمأمون . فالأول طلب من إمبراطور بيزنطة أن يرسل إليه ما عنده من مخطوطات وكتب يونانية فأرسلها إليه . أما الرشيد فقد رباه البرامكة على حب العلم . والمأمون رباه الرشيد والبرامكة ، وكان يفضل الكتب العلمية عن الجزية فى البلاد التى يفتحها ، ومن ذلك أنه عندما انتصر على الروم عام 215 هـ / 830 م علم أن اليونان حينما انتشرت النصرانية فى بلادهم قد جمعوا الكتب العلمية من المكتبات وألقوا بها فى السراديب ، فطلب المأمون من ملك الروم أن يعطيه هذه الكتب بدلاً من الغرامة التى فرضها فقبل " ثيوفيلوس " ملك الروم بذلك ، وعده كسباً كبيراً له . أما المأمون فعد ذلك نعمة عظيمة عليه.

وقد حذا حذو الخلفاء كثير من أفراد الأسر النبيلة مثل بنى موسى بن شاكر .

هناك أيضاً خلفية تاريخية دفعت العباسيين الى الاهتمام بهذه المسألة ، فالدولة العباسية ، وإن كانت عربية الأصل ترجع أصولها الى العباس عم النبى ﷺ ، إلا أنها قد اشتملت على عناصر أخرى غير عربية ، لا سيما العنصر الفارسي . وكان للفرس ثقافة قديمة ، الأمر الذى كان له أثره فى إقبال العباسيين على العلم والاستزادة منه ، فبذلوا كل ما فى وسعهم لتشجيع العلماء والمفكرين ، لنقل الثقافات الأجنبية فى ميادين الأدب ، والسياسة ، والفلسفة ، والعلوم الطبيعية ، والفلك

والطب .

ومن هنا نشطت حركة الترجمة نشاطاً ملحوظاً فى العصر العباسين الثانى ، فكانت واسعة النطاق وشملت ما أنتجه الأقدمون من علم ؛ ولم يمض زمن طويل على تأسيس بغداد حتى كان العرب يقرأون بلغتهم معظم ما كتبه أرسطو ، وما نسب إليه ، ككتاب علم المعادن واستخراجها ، والميكانيكا ، والإلهيات . كما كان العرب يقرأون بلغتهم أكثر مؤلفات افلاطون ، والأفلاطونية الحديثة ، وأهم ما كتب أبقراط ، وجالينوس ، وإقليدس ، وبطليموس وغيرهم من الكتاب والشراح ، ولم يقفوا عند علوم اليونان ، بل تجاوزها الى الترجمة من الفارسية والهندية .

ويمكن التعرف بصورة موجزة على علوم اليونان التى نقلت الى العالم الإسلامي وخاصة الطب من خلال الإشارة الى دور السريان فى حركة الترجمة ، ثم يأتى ذكرها ثانية بصورة تلقائية عند الحديث عن أبرز أعلام التراجمة فيما سيأتى :

لقد كان للسريان دور واضح وملموس باعتبارهم حلقة من حلقات السلسلة التى انتقل عبرها التراث من اليونان القديمة الى المسلمين ، فقد قاموا بترجمة كثير من الكتب والمؤلفات المهمة من اليونانية . ونحن نعلم أن المجامع العلمية والفكرية التى تكونت فى مناطق الاتصال بين المسلمين واليونانيين كانت بحاجة الى جو من التسامح الفكرى والعلمى بعد ما تعرض له العلماء والمفكرون من اضطهاد فى ظل الحكم الرومانى ، وكان الدين الإسلامي الجديد يدعو للتسامح وحرية ممارسة الفكر والبحث العلمى ، فمارس العلماء والمفكرون حريتهم الفكرية كما يشاؤون ولم يتعرضوا لأنواع الاضطهاد

والتنكيل كما حدث من جانب الرومانيين [1].

وقد وجه السريان عنايتهم الى مؤلفى الرياضيات والفلك والطب من اليونان ، وكان الطب على وجه الخصوص بمثابة جسر بين العلوم واللاهوت ، وكان كثير من اللاهوتيين المسيحيين السريان قد تم إعدادهم على أنهم أطباء بدن وأطباء روح بالمثل .

ومن النقلة السريان يذكر ابن النديم [2] أسماء كثيرة كان أبرزهم على الإطلاق حنين بن اسحق الذى شكل جماعة ومدرسة علمية ضمت ابنه اسحق بن حنين ، وابن أخته حبيش بن الأعسم .. وغيرهم من عشرات التراجمة ، فكان لهذه المدرسة الفضل فى نقل الكثير من علوم اليونان الى العالم الإسلامى . - وسوف نتعرض لبنية تلك المدرسة بعد قليل- . ومنهم أيضا ثابت بن قرة الحرانى ، وعيسى بن يحيى ، وأبو عثمان الدمشقى ، وإبراهيم بن أبى الصلت ، ويحيى بن عدى التفليسى ، وأيوب بن أبى القاسم الذى نقل من السريانى الى العربى ، ومن نقله ، كتاب إيساغوجى . ومنهم دار يشوع ، كان يفسر لإسحق بن سليمان الهاشمي من السريانية الى العربية . ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكى ، جيد النقل فصيح باللسان اليونانى والسريانى والعربى معاً ، وقد نقل أشياء ، وأصلح نقولات كثيرة .

فلقد اهتم المسلمون اهتماماً كبيراً بنقل وترجمة المؤلفات الطبية اليونانية ، وخاصة مؤلفات أبقراط وجالينوس، والإسكندروس، وروفس الإفسى وديسقوريدس .. وغيرهم.

---

(1) ماهر عبد القادر محمد ، حنين بن اسحق ، العصر الذهبى للترجمة ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية1991،ص 26.
(2) الفهرست ص 341.

فعرف العرب والمسلمون من مؤلفات أبقراط، وعدوا منها ثلاثين أصلاً، والتى أوصوا بدراسته لمن يقرأ صناعة الطب اثنى عشر كتاباً، أطلق عليها مؤرخوا تاريخ الطب "المجموعة الأبقراطية Corpus hippocraticum" وكان لهذه المجموعة شأن كبير عند أطباء العرب، فترجموا معظمها مع تفسير جالينوس لها فى الغالب إما ترجمة مباشرة إلى العربية، أو بواسطة السريانية، يقول ابن أبى أصيبعة[1]: والذى انتهى إلينا ذكره ووجدناه من كتب أبقراط الصحيحة يكوّن نحو ثلاثين كتاباً، والذى يدرس كتبه لمن يقرأ صناعة الطب إذا كان درسه على أصل صحيح وترتيب جيد، اثنا عشر كتاباً، وهى المشهورة من سائر كتبه، وهى[2]: كتاب الأجنة " On thefoelus"، كتاب طبيعة الإنسان " On the nature of Man" كتاب الأهوية والمياه والبلدان[3] "On airs، water and places" كتاب الفصول، كتاب تقدمه المعرفة " The boo of progsnostics"، كتاب الأمراض الحادة " Regimen in acute diseases"، كتاب أوجاع النساء، كتاب الأمراض الوافدة ويسمى ابيديميا"on the epidemics"، كتاب الأخلاط "on the humours"، كتاب الغذاء" on the nutriment"،كتاب قاطيطريون، أى حانوت(مكان)الطبيب "The physician's Establishment"،كتاب الكسر والجبر"on fractures".

---

(1)عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص45.
(2) نشره شبلى شميل سنة 1884 بالقاهرة.
(3) خالد حربى، دور الحضارة الإسلامية فى حفظ تراث الحضارة اليونانية (1) أبقراط، إعادة اكتشاف لمؤلفات مفقود، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية 2009، ص10.

بيد أن أشهر رسائل أبقراط على بكرة أبيها، هى قسمه المشهور الذى ظل رمزاً للأخلاق الطبية الراقية وارتفاعها عن الاندماج فى الشبهات التجارية، فأصبح هذا القسم أهم وثيقة طبية خلدت على مدى العصور حتى غدت دستوراً يقرن الطب بالأخلاق. وقد سمى العرب هذا القسم "عهد أبقراط" وترجمه حنين بن اسحق، وعرفه العالم الإسلامى ممتزجاً بالروح الإسلامى، بعد أن حذف منه بعض التعبيرات الوثنية.

أما كتب جالينوس، فهى بحسب الفهرست نحو ثمانية وخمسين كتاباً عدا الكتب الستة عشر المشهورة التى كانت تقرأ على الولاء فى مدرس الإسكندرية، حيث ذكر ابن أبى أصبيعة أن المختار بن بطلان قال: "إن الإسكندرانيين الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر وفسروها كانوا سبعة هم: إصطفن، وجاسيوس، وتادريوس، وأكيلاوس، وانقيلاوس، ويحيى النحوى ..." وكان هؤلاء الإسكندرانيون يقتصرون على قراءة الكتب الستة عشر لجالينوس فى موضع تعلم الطب بالإسكندرية، وكانوا يقرأونها على الترتيب، ويجتمعون فى كل يوم على قراءة شيىء منها وتفهمه، ثم صرفوها إلى الجمل والجوامع ليسهل حفظهم لها ومعرفتهم إياها، ثم انفرد كل واحد منهم بتفسير الستة عشر[1].

ويذكر أبو الحسن على بن رضوان فى كتابه "المنافع فى كيفية تعلم صناعة الطب، أن الإسكندرانيين قد اقتصروا على الكتب الستة عشر من سائر كتب جالينوس فى التعليم، ليكون المشتغل بها إن كانت له قريحة جيدة، وهمة حسنة، وحرص على التعليم، فإنه إذا نظر فى هذه الكتب اشتاقت نفسه بما يرى فيها من

---

(1) خالد حربى، دور الحضارة الإسلامية فى حفظ تراث الحضارة اليونانية (2) جالينوس، إعادة اكتشاف لمؤلفات مفقودة، ط. الأولى، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية 2009، ص9.

عجيب حكمة جالينوس فى الطب، إلى أن ينظر فى باقى ما يجد من كتبه".

وقد ترجمت معظم كتب جالينوس إلى العربية، فقد كان (أى جالينوس) أحب الأطباء اليونانيين إلى العرب، ومن أشهر تراجمته: حنين بن اسحق، وحبيش الأعسم، وعيسى بن يحيى، وإصطفن بن بسيل.

لقد سيطر منهج جالينوس على مدرسة الإسكندرية الطبية بمصر حتى أن الإسكندرانيين انتخبوا من كتبه ستة عشر كتاباً كانت تقرأ على الولاء لمن أراد أن يتعلم صناعة الطب، وذلك بعد مرحلة تحضيرية أو إعدادية تشتمل على دراسة أربعة أجزاء من كتاب المنطق لأرسطو، المقولات، والقياس، والبرهان، والخطابة، وأربعة كتب من مؤلفات أبقراط، هى الفصول، وتقدمه المعرفة، والأهوية والبلدان والمياه، والأمراض الحادة. أما كتب جالينوس الستة عشر فقد وضعت فى سبع مراتب تعليمية، يتوالى الطالب فى تعلمها كما يلى:

المرتبة الأولى: كتاب الفرق – كتاب الصناعة الصغير – كتاب النبض الصغير – كتاب إلى أغلوقن.

المرتبة الثانية: كتاب الاستقصات – كتاب المزاج – كتاب القوى الطبيعية – كتاب علاج التشريح، ويعرف بالتشريح الكبير.

المرتبة الثالثة: كتاب العلل والأعراض.

المرتبة الرابعة: كتاب تعرف علل الأعضاء الباطنة – كتاب النبض الكبير.

المرتبة الخامسة: كتاب الحميات – كتاب البحران – كتاب أيام البحران.

المرتبة السادسة: كتاب حيلة البرء.

المرتبة السابعة: كتاب الحيلة لحفظ الصحة.

يلاحظ فى هذه المراتب التعليمية السبع، والكتب المقررة فيها، تدرجها بالمتعلم، فالمرتبة الأولى تعد بمثابة تمهيد نظرى، أو مدخل عام لدراسة الطب. والثانية يدرس فيها المتعلم الأمور الطبيعية كالاستقصات (النار والهواء والماء والتراب)، وما يتصل بالجسم البشرى من عوامل التغير كالاخلاط (الدم والبلغم والمرتين الصفراء والسوداء) والمزاج. وينتقل المتعلم فى المرتبة الثالثة إلى دراسة العلل وأسبابها وأعراضها، لينتقل منها إلى المرتبة الرابعة كى يقف على علامات وأعراض الأمراض فى الأعضاء الباطنية، وبعدها يكون مهيئاً للانتقال إلى المرتبة الخامسة لدراسة الحميات، وأسبابها وأعراضها، وأوقات نوباتها، ثم ينتقل المتعلم بعد اجتيازه للمراتب الخمس السالفة إلى المرتبة السادسة وفيها يتعلم قوانين العلاج، ويختم دراسته بتعلم حفظ الصحة على الأصحاء فى المرتبة السابعة والأخيرة.

لا يكاد يخلو مصدر من مصادر تاريخ العلم العربى من بيان أثر جالينوس وأهميته وكتاباته وترجماتها وتأثيرها والردود عليها والرد على هذه الردود ... فعلم جالينوس يسرى فى الثقافة العربية ويمثل مصدراً من مصادر تكوين العقل العلمى العربى، فقد ترجم العرب ودرسوا وفسروا كتبه وناقشوا وأضافوا وعدلوا وانتقدوا، ودخلوا فى حوار طويل على امتداد عدة قرون مع كتابات جالينوس، بل ومازال يشغل الباحثين حتى اليوم.

وقد ذكر المؤرخون فى تاريخ الطب كثيراً من مؤلفات جالينوس، منها ما هو حقيقى، ومنها ما هو منسوب إليه، وبعض هذه

المؤلفات وصل إلينا عبر الترجمات من اليونانية إلى العربية، أو من اليونانية إلى العربية عبر السريانية، والبعض الآخر لم يصل.

ومن أهم مظاهر تميز الحضارة الإسلامية، تدوين الموسوعات، وتعد موسوعة الحاوى فى الطب لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى أول وأضخم وأهم موسوعة طبية فى تاريخ الطب العربى الإسلامى، بل فى تاريخ الطب الإنسانى كله. وتحتوى موسوعة الحاوى على مؤلفات من الحضارات السابقة على الحضارة الإسلامية، ومن بين هذه المؤلفات، مؤلفات جالينوس.

أما علم الطب الهندى فيقدم ابن النديم ثبتا يحتوى على أسماء كتب الطب الهندية التى وصلت الى العالم الإسلامي يتضمن [1] : كتاب سسرد ، عشر مقالات ، أمر يحيى بن خالد بتفسيره لمنكه الهندى فى البيمارستان ويجرى مجرى الكناش ، كتاب استانكر الجامع تفسير ابن دهن ، كتاب سيرك فسره عبد الله بن على من الفارسي الى العربي ، لأنه نقل أولا من الهندى الى الفارسي . كتاب سندستاق ، معناه كتاب صفوة النجح ، تفسير ابن دهن صاحب البيمارستان ، كتاب مختصر للهند فى العقاقير ، كتاب علاجات الحبالى للهند ، كتاب توقشتل ، فيه مائة داء ومائة دواء ، كتاب روسا الهندية فى علاجات النساء ، كتاب السكر للهند ، كتاب أسماء عقاقير الهند ، فسره منكه لاسحق بن سليمان ، كتاب رأى الهندى فى أجناس الحيات وسمومها ، كتاب التوهم فى الأمراض والعلل لتوقشتل الهندى .

(1) الفهرست ، ص 421.

وفى موضع آخر من الفهرست يذكر صاحبه أن الذى عنى بأمر الهند فى دولة العرب ، يحيى بن خالد وجماعة البرامكة ، واهتمامها بإحضار علماء طبها وحكمائها . ومن ذلك أن يحيى بن خالد البرمكى بعث برجل الى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة فى بلادهم ، وأن يكتب له أديانهم فكتب له هذا الكتاب : " كتاب فيه ملل الهند وأديانها " .

تلك كانت صورة عامة عن سير حركة الترجمة والنقل فى المجتمع العلمى الإسلامي ، والتى بدأت فى العصر الأموى ، ثم تطورت شيئا فشيئاً الى أن بلغت ذروتها فى العصر العباسي .

ومما لا شك فيه أن هذا التطور قد أدى بطبيعة الحال الى خلق جو علمى نشط يعمل فى إطاره المترجمون ولديهم برامج علمية معينة يسيرون وفقاً لها فى أثناء نقلهم وترجمتهم لعلوم الأمم الأخرى الى العالم الإسلامي .

وعند هذا الحد يتبادر الى الذهن سؤال منطقى ومنهجى عن أهم وأشهر التراجمة الذين عملوا فى المجتمع العلمى الإسلامي ، وكان لهم دور كبير فى انفتاح المسلمين على علوم ومعارف الآخر ؟

الحقيقة أن المجتمع العلمى الإسلامي قد شهد وجود أعداد غفيرة ، تصل الى مئات ، من التراجمة الذين عملوا فى جو علمى نشط يسوده التنافس العلمى الشريف . وإذا كان المقام لا يتسع للحديث عن كل هذه الأعداد ، فلابد من الوقوف على أبرز وأشهر التراجمة ، وخاصة فى المجال الطبى.ومن أبرزهم وأشهرهم: حنين بن اسحاق العبادى ، ولد عام 194 هـ / 809 م ، وتوفى عام 260هـ / 875 م ، وذلك بحسب معظم

المصادر التى أرخت له [1] ، والتى تكاد تتفق على هذه التواريخ .

شب حنين ولديه رغبة قوية فى دراسة الطب والصيدلة وذلك سيرا على درب أبيه الذى كان يعمل صيدلانياً فى الحيرة فانتسب الى أكاديمية الطب المشهورة فى جنديسابور آنذاك وتتلمذ على " يوحنا بن ماسويه " (ت 243 هـ / 857 م) . لكن سرعان ما ترك أستاذه لكراهية الأخير لأهل الحيرة ، هؤلاء الذين لا يصلحون لدراسة الطب فى نظره .

فخرج حنين باكياً مكروباً لم ييأس ، بل أكب على دراسة اللغة اليونانية حتى حذقها تماماً . وعندما حقق أمنيته ، قصد البصرة ، فاتقن لغة الضاد ، وبذلك استطاع أن يستقى العلوم الطبية من أساطينها الأصليين ، وهم : أبقراط وجالينوس ... وغيرهم كثيرون [2] .

وبعد إلمامه باللغات اليونانية والسريانية والعربية ، قصد بغداد ، وعمل مع جبرائيل بن بختيشوع طبيب المأمون الخاص ، فترجم له من كتب جالينوس كتاب " أصناف الحميات " وكتاب " فى القوى الطبيعية " فأدرك جبرائيل ما لحنين من فطنة وكفاية لغوية ، فامتدحه وشهد عند المأمون بأنه " عالما بلسان العرب ، فصيحا باللسان اليونانى ، بالغاً فى اللسانين بلاغة بلغ بها تمييز علل اللسانين " [3] . وهو أيضاً " أعلم أهل زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية. وقد كان لذلك أكبر الأثر فى تقديمه للمأمون الخليفة العباسي الذى اشتهر بمحبة

---

(1) أنظر ، ابن النديم ، الفهرست ، ص 409 ، القفطى ، الأخبار ، ص 119 ، ابن جلجل ، الطبقات ، ص 68 ، الشهرزوري ، نزهة الأرواح ، ص 491 ، ابن أبى أصيبعة ، العيون ص 257.

(2) حنين بن اسحق ، المسائل فى الطب ، تحقيق محمد على أبو ريان وأخرين ، دار الجامعات المصرية 1978 ص 8 ، 9.

(3) ابن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء ، ص 68.

العلم وتقريب العلماء ، بقطع النظر عن جنسياتهم أو ديانتهم .

وقد قلده المأمون رئاسة " بيت الحكمة " ذلك المعهد العظيم الذى يعزى إليه والى منشئيه(الرشيد والمأمون) الفضل فى انطلاقه علمية مذهلة ، أثمرت ما أطلق عليه " العصر الذهبى للعلوم الإسلامية " .

جمع " حنين " حوله فريقاً ممتازاً من المترجمين ، وفاق نشاطه الخاص كمترجم الخيال [1] . وكان العمل فى بيت الحكمة برئاسته يجرى على قدم وساق ، وساد بين المترجمين المشتغلين فيه من نصارى ، وسريان ، وفرس ، وغيرهم " أخلاقيات العلماء من حب وتقدير وتسامح ... ولم تعرف هذه المؤسسة صور التعصب لجنس معين أو دين معين. فكانت تضم حوالى تسعين شخصاً من المترجمين المدربين تلاميذ حنين ، عملوا فى حرية تامة وتحت إشراف أبنه " اسحق " وابن أخته " حبيش بن الأعسم " . وقد ترجم الأول أعمال بطليموس وأقليدس ، وترجم الثانى أعمال أبقراط وديسقوريدس [2] . وكانت نتيجة ذلك أن أخرج علماء بيت الحكمة بفضل الحرية الفكرية التى عاشوها نفائس الكتب من اللغات المختلفة الى اللغة العربية .

ويمكن استخلاص مميزات وخصائص العمل العلمى لمدرسة الترجمة من البرنامج الذى اتبعه رئيس المدرسة ، وحاول الأعضاء الألتزام به .

عمل حنين بن اسحق على إرساء قواعد علمية ثابتة ومكينة يمكن بفضلها أن ينتقل العمل العلمى الجاد الى الآخرين ، فكان أن التف حوله الأتباع الذين عملوا معه ، وأنس بهم ، وأكملوا مسيرته من

---

(1) The Cambridge History Of Islamic Civilization, Vol 2 , p 678 .
(2) Stephen F. Mason , A history of the sciences , first collier books edition , New york 1962 . p. 103.

بعده . عمل مترجماً ، وكلف بإصلاح ترجمات غيره من النقلة .. فأخذ ينقل الكتب لكل طالب ، وينقح ما ينقله الاتباع والنقلة الذين وجدوا المتسع فى " بيت الحكمة " لإظهار مواهبهم العلمية والفكرية . وكان التسابق بينهم فى الجودة عنواناً للدقة والاتقان ، فضلاً عن حلاوة الأسلوب ، وفصاحة اللغة ، ورصانة العبارة ، وتجانس التركيب . وكانت يد الأستاذ تمتد الى أعمالهم لتزيدها حلاوة وتهذيباً [1] . وإلى جانب اتساع مجال نشاط حنين ، فإن ميزته تكمن فى الطريقة اللغوية التى استعان بها فى تحقيق النصوص الإغريقية التى يمكن الوثوق بها ، وفى فهمه الممتاز للأصول. كان حنين يراجع دائماً ترجماته السابقة ليقدم ترجمة أكثر دقة.

وكان يحترم النص الأصلى من حيث المضمون ، وفى كثير من الأحيان كان يلتزم بالشكل أيضاً . وهذا يعنى أنه يتميز بعمق النظرة وصحة الأستدلال ، وإصابة الفكرة ، فضلا عن التعبير الأنيق والتنغيم العذب ، وكان يوفى الفكرة حقها ، ولا يتسرع فى اعتبار هذه الكلمة أو تلك حشواً أو تزيداً . وقد برهن على أن المترجم عليه أن يقاوم ميله الى الاختصار مضحيا بجملة هناك وكلمة هنا . ومن حيث أدوات الربط ، وجدناه فى كثير من الحالات ينقل الصور الخيالية والأقوال الدارجة والكلمات المأثورة ووجوه البلاغة الأخرى من لغة الى أخرى ، وربما كان السبب الحقيقي فى هذا أن لكل لغة رصيدها واختلافاتها ، وتباين نظرة الناطقين بها الى الكون والأشياء [2] .

وقد كان عمل حنين فى مجال الترجمة حافزاً له على الاشتغال بالطب ، وهذه مسألة ينبغى النظر اليها فى الحكم على جهوده . كان

---

(1) ماهر عبد القادر محمد ، حنين بن اسحق ، ص 147.
(2) المرجع نفسه ، ص 140 - 141.

الهدف الأساسي لجهود حنين بن اسحق - فيما يبدو - نقل مؤلفات الأطباء اليونان الى اللغة العربية ، على أن تكون الترجمة عربية واضحة ومفهومة على قدر الإمكان . فقد اعتمد حنين على ترجمة نصوص الكتب ، كما اعتمد أيضاً على الشروح المصنفة عليها والملخصات التى أعدت لها . وقد أطلق حنين على نتاج هذه الجهود عدة عناوين ، صدرها بكلمة " ثمار " أو كلمة " تفسير لكتاب .." أو " جوامع كتاب ..." أو شرح كتاب ..." [1] .

لقد امتدت جماعة حنين بن اسحق لتشمل عددا كبيرا من المترجمين الذين أجادوا فن الترجمة ، وشكلوا قوام المدرسة ، ومنهم حبيش بن الأعسم ، واسحق بن حنين ، وغيره ممن عملوا تحت إشراف حنين بن اسحق بصورة دقيقة .

لقد تمثل كل هؤلاء الطريقة العلمية التى وضعها حنين بن اسحق لنقل وترجمة الكتب من علوم الحضارات الأخرى الى اللغة العربية . وقد أدى هذا الى نشاط ملحوظ فى وضع مؤلفات وكتابات العلماء السابقين أمام العلماء العرب .

ومما لا شك فيه أن الأتباع الذين عملوا مع حنين بن اسحق فى " بيت الحكمة " شكلوا مدرسة ذات طابع مميز . والمدرسة هنا نشأت داخل العمل الذى ترأسه حنين ، والذى أنبثق عن الدولة أصلا . وربما جاءت الإشارات التى أوردتها الكتابات المختلفة لتؤكد أن قوام التلاميذ الذين التفوا حول الاستاذ وعملوا معه يتراوح عددهم بين التسعين والمائة. وسوف نرجئ الحديث عن بنية تلك الجماعة الى موضع لاحق من هذا الكتاب، وذلك بعد تناولنا للجماعات الأخرى التى عملت فى حقل

---

(1) حنين بن اسحق ، المسائل فى الطب ،ص 449.

الترجمة ونقل علوم الحضارات الأخرى. .

ومن أهم العائلات التى قدمت الى بغداد ، ولعبت دورا مهماً فى حركة الترجمة، عائلة بختيشوع، وتكاد تكون هى الجماعة الوحيدة التى انفردت بالترجمة الطبية دون غيرها ، ساعدها على ذلك أن جميع أفرادها كانوا أطباء مهرة . كما أختصت الجماعة بنوع آخر من العمل العلمى ، وهو التعليم الطبى . فرئيس أطباء جنديسابور، جورجيس بن بختيشوع استقدمه الخليفة المنصور الى بغداد ، وصار طبيبه الخاص الى أن توفى فى خلافته . ونقل له كتباً كثيرة من اليونانية الى العربية . لكن صاحب هذه الرواية [1] لم يذكر أيا من أسماء الكتب التى نقلها . فى حين يذكر له بعض الكتب المؤلفة مثل: رسالة الى المأمون فى المطعم والمشرب . كتاب المدخل الى صناعة المنطق . كتاب الباه . رسالة مختصرة فى الطب . كُناشه . كتاب فى صنعة البخور ، ألفه لعبد الله المأمون . وذكر له ابن النديم كتاب الكُناش المعروف .

أما بختيشوع بن جورجيس ويكنى أبا جبريل ، استقدمه الخليفة المهدى من جنديسابور ليحل محل أبيه جورجيس ، فظل فى خدمته وخدمة الهادى والرشيد [2] . وكان طبيباً حاذقاً . ولما ملك الواثق الأمر كان محمد بن عبد الملك الزيات ، وابن أبى داود يعاديان بختيشوع ، وكان يضرمان عليه الواثق حتى نكبه وقبض أملاكه ونفاه الى جنديسابور . ولما اعتل الواثق بالاستسقاء وبلغ الشدة فى مرضه ، أنفذ من يحضر بختيشوع ، فمات الواثق قبل أن يوافى بختيشوع . ولما ولى المتوكل صلحت حال بختيشوع حتى بلغ فى الجلالة ، والرفعة ، وعظم المنزلة ، وحسن الحال ، وكثرة المال ، وكمال المروءة ، ومبارة الخليفة

---

(1) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص 183.
(2) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، هامش ص 64.

فى اللباس والزي والطيب والفرش والتفسح فى النفقات مبلغاً يفوق الوصف [1].

وفيما يتعلق بدوره فى حركة الترجمة ذكر ابن أبى أصيبعة أن حنيناً بن اسحق نقل له كتباً كثيرة من كتب جالينوس الى اللغة السريانية والعربية. وأسهم بختيشوع أيضاً فى حركة التعليم الطبي - كباقى أفراد الجماعة - يدلنا على ذلك أن ما ذُكر له من الكتب ، كتابان تعليميان ، هما : كتاب التذكرة ، عمله لابنه جبريل [2] . كتاب فى الحجامة على طريق السؤال والجواب [3] .

وكان جبرائيل بن بختيشوع فاضلاً عالماً متقناً لصناعة الطب ، جيداً فى أعماله ، حسن الدراية بها . يذكر ابنه عبيد الله فى كتاب له أن أبيه " جبرائيل " قصد طبيباً من أطباء المقتدر وخواصه كان يعرف بترمزه ، فلازمه وقرأ عليه ، وقرأ على يوسف الواسطى الطبيب ، ولازم البيمارستان والعلم والدرس فنبغ فى حياة أبيه وصار طبيباً لجعفر البرمكى ، حتى قدمه الى الخليفة الرشيد فصار طبيبه الخاص ونزل لديه منزلة ممتازة وجعله رئيسياً للأطباء . وظل على ذلك زمن الأمين والمأمون حتى توفى فى خلافته.. ولجبرائيل من الكتب : كناشه الكبير الملقب بالكافى . رسالة فى عصب العين . مقالة فى ألم الدماغ بمشاركة فم المعدة والحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس المسمى ذيافرغما. الروضة الطبية ، نشره بول سباط سنة 1927.

تلك كانت أمثلة لجماعات الترجمة ومدارسها التى شهدها المجتمع العلمى الإسلامى، والتى تعد بمثابة جسر عبور المسلمين الى

---

(1) القفطى ، الأخبار ، ص 72.
(2) الفهرست ، ص 413.
(3) عيون الأنباء ، ص 209.

علوم ومعارف الأمم الآخرى. وقد ركزنا الحديث فى جماعة حنين بن اسحاق ومدرسنه، وجماعة بختيشوع ومدرسته من حيث إن جل اهتمامهما كان موجها نحو المجال الطبى.

الباب الثانى

الطب الإسلامى من الخلافة العباسية

وحتى الخلافة الأموية فى الأندلس



فصل عيسى بن حكم الدمشقى

يمثل عيسى بن حكم الجيل الثالث لأسرة طبية عاشت وعملت فى الإسلام من صدر الدولة الأموية إلى صدر الدولة العباسية، فجده أبو الحكم الدمشقى اشتهر فى صدر الدولة الأموية عالماً بأنواع العلاج والأدوية، استطبه معاويه بن أبى سفيان، وسيّره مع ابنه يزيد أمير بعثة الحج إلى مكة طبيباً للبعثة. وطبب أبو الحكم أيضاً عبد الملك بن مروان، وخاصة فى مرض وفاته، حيث أصيب بحمى منعته من شرب الماء، وأعلمه أبو الحكم أنه إذا شرب الماء قبل نضح علته، توفى، فامتنع الخليفة عن شرب الماء لمدة يومين وبداية اليوم الثالث، ثم شرب الماء، فوافته المنية لساعته.

وخلف أبو الحكم ابنه الحكم (105–210هـ/723 –826م) الذى تعلم على أبيه، ولحق به فى التطبب، ومعرفته بالمداواة فى صدر الدولة العباسية، وخرج مع عبد الصمد بن عبد الله بن العباس طبيباً إلى مكة، وصارت له شهرة ومكانة طبية فى صدر الدولة العباسية.

وخلف الحكم ابنه عيسى الذى تطبب على أبيه، وصار طبيباً فاضلاً فى دولة بنى العباس، وعُرف فى تاريخ الطب العربى بـ"مسيح" صاحب الكُناش الكبير الذى يُعرف به، ويُنسب إليه، وله أيضاً "كتاب منافع الحيوان".

تناول عيسى بن حكم فى كُناشه الأمراض التى يمكن أن تصيب الإنسان من الرأس إلى القدم، وقدم لها من العلاجات المناسبة. ويُعد الكُناش من الكتابات الطبية العربية المهمة فى فترة مبكرة من تاريخ الطب العربى الإسلامى، وليس أدل على ذلك من أن معلوماته جاءت مفيدة للاحقين من أجيال العلماء، فنقلوا منها فى مؤلفاتهم، لا

سيما الرازى الذى أقر كثيراً من معارف عيسى بن حكم، ودوّنها فى موسوعته "الحاوى" فحفظها من الضياع.ومنها مايلى[1]:

إذا عرض التشنج للصبى بغتة من غير انخراط بدنه، فهو من رطوبة لا محالة.

إذا كانت العين ليست بكثيرة الورم والبثور ، وكان اللذع شديداً ، فاعتمد على تعديل المزاج بالأغذية التفهة ، وصب الماء العذب على الرأس والعين وبياض البيض واللبن فيه والألعبة .

ضماد نافع من الوجع الشدبد والوردينج ، يؤخذ زعفران ، وإكليل الملك ، وكزبرة رطبة ، ومح بيض ، ولب الخبز ، وعقيد العنب ، وأفيون ، وماء ورد ، يتخذ منه ضماد.

للشعيرة يحل السكبينج ، وليطلى عليه ، فإنه يذهب به البتة.

إذا اتسع الناظر من غير أن يتغير لونه ، رأى صاحبه الأشياء الأصغر ، فافصد قيفاله فى ذلك الجانب ، أو احجم أخدعيه، ثم أسهله ، ثم انطل رأسه وعينه بماء البحر ، أو بماء وملح وخل ممزوج ، وقطر فى العين لبن امرأة بعد أن يكحل بالأكحال التى تعرف بالسنبلية ، وأما من يرى الأشياء الأصغر فليداوم غمز رأسه وعينه ، وينطل بماء عذب فاتر ، ويدهن الرأس بدهن البنفسنج والخيرى ، ويكحل بكحل مضاد حاد .

إذا كانت الخيالات ترى من نوع واحد دائماً ، فالعلة بجفن العين وبالضد .

و إذا كان الماء مستحكماً، فلم يبصر العليل لا بالليل ولا بالنهار ، وكان صحيحاً قوى البدن ، ليس به صداع ولا سعال ولا

([1]) الرازى وتحقيق خالد حربى، الحاوى فى الطب.

زكام، وكان ممن يضبط نفسه عند الغضب ، والحركة ، والشراب ، والجماع فليقدح، وإلا فإن علاجه فضل ، لأنه إما أن يرجع الماء بهذه الأسباب التى ذكرنا ، وإما أن يشتد وجعه لاسيما إن كان به صداع .

ينفع من وجع الأذن فى الجملة ، قلة الغذاء ودودة الهضم، والأغذية الخفيفة كالبقول، وتليين البطن بالحقنة فى كل وقت، والراحة وترك الجماع والحذر للريح، ويلزم رأسه قلنسوة أو عمامة تأخذ الأذن، أو يضمد بدقيق شعير، وبزر كتان، وإكليل الملك، وحلبة، وبابونج، ومرزنجوش، وشبت، وبنفسج، وأصول الخطمى تخبص بدهن وخل وماء على النار ويضمد به فاتراً .

المر يمنع تآكل الأسنان إذا دلك أو حشى فيها وذلك أنه بالغ التجفيف مع قليل إسخان فاعتمد عليه المصكى جيد لوجع الفم واللثة.

دواء خاص لثقل اللسان: دارصينى ، قسط ، حماما ، سنبل بالسوية ، ساذج ، زراوند ، بزر كرفس ، نانخاه ، بزر الشبت ، مر ثلث جزء من كل واحد لوفسطيقون ، جلنار ، سيساليوس ، دوقو ، كمون ، أنيسون من كل واحد ثلث جزء ، لؤلؤ ، كهربا من كل واحد ثلثا جزء يعجن <الجميع> بعسل ويعطى قدر بندقة .

للورم فى الحلق مراتب فإذا رأيت أنه قد نضج فأجهد أن تفجره الغرغرة والغمز عليه .

قد تكون ذهاب الشهوة لقلة التحلل من شئ قبض الجسد كدهن وما أشبهه ، وتكثر لضد ذلك الشهوة حتى تصير كلبية ويكون لحر فى الهواء أو برد ذلك.

وللفواق الشديد : بزر سذاب المحرق يسحق كالكحل بشراب وربما خلط معه جندبادستر ويمسح فم المعدة بزيت [عُتق] فيه جندبادستر

ويسقى طبيخ المصطكى والدارصينى.

ينفع من الإسهال الذريع قانصة نعامة تجفف فى الظل، ثم تبرد بمبرد ويسقى منها أربعة دراهم برب الآس، والسفرجل يعقل بخاصته.

وإذا لم يكن مع الإسهال مغص ولا حرقة ولا دم ولا كان عن المعدة لكن علمت أن سببه ملاسة الأمعاء فاحقن بماء البلح أو بماء يمصل من الزيتون، واحقن قبلاً بماء الزيتون .

صفة سقى الترياق للمستسقين: يدخل العليل غدوة الحمام وليكن ماؤه كبريتياً أو بورقياً فإن كانت حمة فهو خير وإن لم تكن حمة فليدخل الحمام حتى إذا لان جلده وحمى ذلك بالكبريت والبورق والزيت فإن عرق عرقاً كثيراً غسل بماء قد طرح فيه كبريت وبورق ويكون ذلك على ساعة من النهار ويخرج ويشرب قدر حمصة من الترياق بماء قد طبخ فيه فودنج وكرفس، ويأكل العصر مرقا بزيت أو دهن خل أو مرق دراج ولا يأكل لحمه ويشرب سكنجبيناً أو شراباً رقيقاً ثلاثة أسابيع.

الرائب نافع من الدق وضعف المعدة والإسهال الصفراوى والالتهاب الشديد القديم واليرقان يؤخذ ثلاث أواق من رائب البقر فيصب على عشرة دراهم سميذ مجفف فى التنور جيد التخمير جريش الدق ويؤكل بمعلقة ويمسك إلى العصر عن الطعام ثم يأكل زيرباج دراج ويشرب شرابا رقيقاً قليلاً ممزوجاً، وفى اليوم الثانى الرائب عشرة دراهم وانقص من الكعك درهماً حتى يصير إلى أن يأخذ محضاً وعند قطعه تزيد فى الكعك وينفض من الرائب حتى يرجع إلى حاله هذا للدق فإن كانت بواسير وضعف معدة وإسهال طرحت فيه خبث الحديد وبورقاً وأشياء ممسكة للبطن.

متى حدث فى الثدى ورم فضمد بدقيق الحلبة ونحوه وانطل بالماء الحار، ومما ينفع من الورم الحار فيها حجر المسن يحك بخل ويطلى، ومتى بط فليكن فى غاية السعة.

ومما يحبس لبن المرأة بعقب الولادة متى احتيج إلى ذلك: كمون فنجنكشت سذاب يطبخ ويسقى ماؤه وينطل به الثدى أيضاً، أو يطلى بالأشق بالشراب أو بعصارة البزرقطونا وليحلب كل يوم قليلاً لئلا يتقرح، فأما الزائدة فيه فالحمص والشبت وبزر الرطبة واللبن والسمن والعسل والخشخاش والشونيز والباذنجان مع سمن غنم، ومتى يسحق كمون كرمانى بعسل لطخ به، أو أخذت أصول الكرنب فدقت وضمد بها، أو دقيق العدس والباقلى والزعفران والجوزجندم والملح ويضمد بها بماء بارد فتقطع اللبن وتجففه.

الأدوية الخاصة بالقلب: دواء المسك دواء قيصر شليثا مثروديطوس كزبرة إهليلج أسود كهربا بسد لؤلؤ طين دارصينى سنبل زرنباد باذروج باذرنجويه لسان الثور إبريسم برادةالذهب والفضة أشنة سليخة مر قرنفل مرزنجوش فلنجمشك طباشير بسبائج غاريقون ملح هندى لازورد مصطكى قاقلة كبابة قشور الأترج عود راسن مسك كافور سك ميبة ماء الخيار بزر الشبت أفسنتين نارمشك ماء الرمان المز شراب الحماض شراب التفاح والسفرجل ورد سعد زعفران آملج.

قد يكون يرقان عن شدة حرارة المرار والكبد.

وهذا يصفر منه جميع البدن خلا الوجه فإنه يسود ويجف الجسم مع ذلك ويبيض اللسان ويحتبس البطن وينتفخ ويكون البول أولاً أبيض رقيقاً ثم أنه إن تزايدت العلة غلظ وأسود، ومن علاجه الفصد والتطفئة والتضميد بما يطفئ، والإغذاء بما يعدل .

فصل عبدوس

كان طبيباً مشهوراً ببغداد على أيام الخليفة المعتضد (ت289هـ)، حسن المعالجة، جيد التدبير، ويعرف كثيراً من الأدوية المركبة، وله تجارب حميدة، وتصرفات بليغة في صناعة الطب، وله من الكتب كتاب التذكرة فى الطب[1]، بحث فيه مختلف الأمراض التى يمكن أن تصيب الإنسان من الرأس إلى القدم، وقدم لها من العلاجات الفاعلة ما استمرت فاعليتها لدى أجيال الأطباء اللاحقين له.وهذه التذكرة فى الطب تُعد من الكتابات المهمة لتاريخ الطب فى الإسلام، يدلنا على ذلك كثرة النصوص التى اقتبسها الرازى منها فى موسوعته الأهم، الحاوى، ومنها مايلى[2]:

لوجع العصب الشديد: يمسح بدهن الغار أو بدهن السوسن ويطعم لحوم الأفاعى ويسقى قنطريون دقيق بماء حار.

غرغرة نافعة من الفالج واللقوة، خردل، سعتر، زنجبيل، فلفل، دار فلفل، عاقرقرحا، بورق أرمنى، فاشرسين، ايرسا، ميويزج، مرزنجوش، يغرغر به بسكنجبين.

سعوط للقوة جيد: قسط، ومر، وجندبادستر وشونيز، وشيح، وجاوشير، وفربيون يسعط بماء القثاء البرى المعصور، أيضاً: جاوشير، كندس فلفل، صعتر، شحم حنظل، شونيز، صبر، مُر جندبادستر، اسطوخوذوس، يسعط بماء آذان الفار.

الكزاز وميل الرقبة يسعط لهما بالميومياء مع دهن السوسن أو النرجس أو دهن الخيرى ويمسح الخرز بشحم السلحفاة.

([1]) ابن أبى اصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص312.

([2]) الرازى وتحقيق خالد حربى، الحاوى فى الطب.

لتشنج العصب: حلبة ، وشبت مع دهن سمسم أو دهن ألية ، وشحم الأوز ، ومخ ساق البقر ، وشحم الأيل ، ومخ ساقه، مع دهن نرجس أحمر ويضمد به الموضع وينطل عليه بماء قد طبخ فيه الحلبة وبزر الكتان وأصول السوسن وإكليل الملك ، ويسقى طبيخ الأصول بدهن الخروع،

أو يطلى بدهن السوسن وعسل مع أصول السوسن.

للصداع الحار طلاء: صندلان، وورد ، وزعفران، وشياف ماميثا ، وأفيون، وبزر خس، وأصل اللفاح، وورق نيلوفر، وماء ورد ، وماء الخلاف يطلى عليه .

ينبغى فى الرمد أن يجتنب الجماع والغضب، لأنهما يرفعان بخاراً كثيراً إلى الرأس وكذلك الحركة، ويلين البطن ويحجم النقرة والأخدعين والكاهل، ويلزم السكون وقلة الغذاء وترك النبيذ البتة .

الانتفاخ أربعة أنواع: أحدها ريحى، والثانى من فضلة بلغمية ليست بغليظة ، والثالث من فضلة مائية، والرابع من فضلة غليظة سوداوية ، وتمييز بعضها من بعض على ما أقول.

أما الأول وهو الذى من ريح، فإنه يعرض بغتة، وأكثر ذلك يعرض فى الصيف قبله فى المآق ما يعرض من عضة ذباب أو بقة ، وأكثر ما يعرض فى الصيف للشيوخ ، ولون هذا الانتفاخ على مثل لون الأورام الحادثة من البلغم.

والنوع الثانى أردء لونا والثقل فيه أكثر والبرد اشد ، إذا غمزت عليه أصبعك برود عجيب ينشف الدمعة: توتيا شجرى، والهندى خير، ثمانية دراهم، كحل أصفهانى درهم، قيليما الذهب أربع دوانيق، شاذنة درهم ونصف، يدق

الجميع وينخل بحريرة، ثم يسحق فى هاون نظيف، ويؤخذ هليلج أصفر فيرض وينقع هليلجة واحدة بخمسة دراهم، فى ماء مطر وماء سماق من كل واحد نصف درهم وقيراط كافور ، ويستعمل فإنه عجيب .

لثقل السمع ، إذا أنت عالجته بالفتيلة المعمولة من الخردل والتين ، فأعقب ذلك بدهن قد أغلى فيه أصل الخنثى وهو حار.

نافع لنتن الأنف: مر، وراتينج، وعفص، ونحاس، محرق ، وكزمازك، كندر، رمان، بورق، ملح، عاقرقرحا، قردمانا، قشور أصل الكبر، دبق، قيصوم، كمون كرمانى، زراوند، طويل، شيح، كندر، كبريت، زبد البحر، حب الغار، ورق الكرم يابس، خمير ، علك، دهن بنفسج يعمل [مرهما] ويحتمل بفتيلة .

للداء المسمى بسفائج وهو كثير الأرجل: جوز السرو وتين مدقوقين، تبله وتجعله فى الأنف .

للرعاف: باقلى ، وقشور كندر ، ومر ، وقرطاس محرق، وزاج يسعط به ، أو ينفخ فى الأنف رماد الضفادع المحرقة، أو يسعط بماء الثلج، أو بماء القثاء المر مع كافور، أو يجعل فى الأنف فتيلة مغموسة فى الحبر والزاج والكافور .

لوجع الأسنان: يطبخ الخربق الأسود بخل ويتمضمض به، أو البنطافلن أو ميويزج يطبخ بخل ويمسك فى الفم، أو ورق اللب، أو ورق الغار يطبخ بخل أو عفص ويمسك فى الفم .

يغرغر للخوانيق بخيارشنبر مهروس بماء ، كزبرة رطبة و معصور ومغلى ومصفى، وبلعاب بزر قطونا ودهن بنفسج وبلبن حليب أو بماء الجميز مع دهن ورد ، أو بماء ورد وسماق منقع فيه فإن تقيح

فغرغره بخرء كلب أو خرء دجاج .

للفواق الحار الحادث من استفراغ : دهن ورد أو دهن لوز حلو أو دهن بنفسج أو دهن قرع حلو وبزرقطونا يؤخذ لعابها وماء بارد وضمد باضمدة باردة .

يقيأ المحرور بماء الشعير مع سكنجبين والملح والسرمق مع أصول البطيخ المجفف مدقوقة وعسل أو بأصول البطيخ مع ماء وسكر، والبلغمى بفجل مطبوخ مع شبت وملح وحرف وبزر السرمق مع سكنجبين .

والتى تسهل القئ: ماء الكرفس مع السمسم ، وماء العسل والملح الجريش والماء الحار وأصول النرجس بماء حار أو تفسيا يسحق ويجعل فى مرق دسم ، أو دهن سوسن مع ماء الشبث .

ينفع إيلاوس ماء ورق الخطمى وخيارشنبر ودهن لوز أو ماء الجبن أو ماء عنب الثعلب يمرس فيه خيارشنبر، ويدل على ورم المعى العطش وحرارة لمس البطن مع ثقل فى ذلك الموضع لازم وشدة حرارة الجسد والحمى.

دواء للنفخة عجيب: نانخة فلفل ورق السذاب اليابس، دارصينى كندر قرنفل جندبادستر سكبينج صعتر كرويا كمون شونيز أفتيمون وج زرنباد حب الغار قسط راوند يجمع ويسقى منه مثقال بشراب قوى صرف.

دواء نافع للمغس الحادث بلا إسهال: حب بلسان قردمانا درهمان درهمان، بزر كرفس ثلاثة، حرف أبيض خمسة، الشربة بعد نخلها بماء حار.

الاستسقاء إذا لم تكن معه حرارة أى صنف كان، فاسق الكلكلانج وحب المازريون بماء الأصول مع الكلكلانج الصغير البارد.

انظر إن كان معه نخس فالفصد واسق أقراص الأميرباريس، وإذا كان بلا نخس فأقراص الكبر بسكنجبين، وإن كان الغلظ حديثاً فيكفيك تضميده بالخل والأشق، وإن كان مزمناً فالمتخذة بالنورة والقردمانا ونحوها، وإن كان مع وجع الطحال يبس وسواد فى الجسد فليسق مطبوخ الأفتيمون .

الطحال يحتمل أدوية أقوى من أدوية الكبد نحو أقراص الكبر، ويضمد بالوج والأشق وبعر الماعز ثلاث أواق تين <و> لحم أسقولوقندريون ولوز، ينقع التين بخل ثقيف ويسحق نعماً وينثر عليه سائر الأدوية ويطلى على خرقة ويضمد به.

ضماد يتخذ لصلابة ثدى النساء: يتخذ من سلق وموم وشحم البط والدجاج ومخ الإيل والرجلة ودقيق الشعير ودهن الخيرى وصمغ اللوز ودقيق الحلبة ودقيق الباقلى وورد البنفسج والبابونج وقفر اليهود.

للخفقان فى فم المعدة: دواء المسك المر المعمول بالإفسنتين، والذى فى القلب بدواء مسك حلو، وإذا كان الخفقان مع حرارة سقى الكهربا والبسذ واللؤلؤ والشبت والحجارة الأرمينية وكزبرة يابسة، فإن كان مع الخفقان عسر وغشى ونخس سقى الباذرنجويه والفنجمشك، وإن كان فى الجنب زيد فيه فوذنج جبلى وسقى بماء تفاح وميبه.

إذا كان مع ورم الكبد لين مفرط سقى أقراص راوند وأقراص الأميرباريس، وإن كان مع الورم فى الكبد حمى سقى ماء الشعير، وإن

كانت حمى وسدد فى الكبد وبول أحمر سقى ماء البقول مع خيارشنبر ودهن لوز، فإن كان يرقان سقى ماء الشعير وأقراص الكافور بعد إسهاله بماء الفواكه ويضمد بالصندلين، هذا إذا كان فى الكبد نخس شديد.

فصل الساهر

اسمه يوسف، ويُعرف بيوسف القس، كان طبيباً متميزاً على أيام الخليفة المكتفى .. وكان فى رأسه سرطان يمنعه يمنعه النوم، فلقب بالساهر، وصنف كُناشاً يذكر فيه أدوية لأمراض، وذكر فى كُناشه أشياء تدل على أنه كان به هذا المرض. وهذا الكُناش مما استخرجه الساهر وجرّبه فى حياته، وجعله مقسوماً على قسمين [1].

لم يصل إلينا كُناش الساهر مثله مثل كثير من مؤلفات الطب العربى الإسلامى، إلا أن الرازى حفظ لنا كثيراً من نصوصه فى موسوعته الحاوى، الأمر الذى يشير إلى أهمية كُناش الساهر من ناحية، وأهمية موسوعة الحاوى من ناحية أخرى.ومن نصوص الكناش مايلى[2]:

لا يسقى المفلوج شيئاً من الأدوية القوية إلى اليوم الرابع أو السابع إن كانت العلة ضعيفة ، وأما إن كانت قوية فإلى الرابع [عشر] لأنى [رأيت] سقى الأدوية فى أول العلة كثير ما يزيدها ، واقتصر على أن تعطى فى كل يوم وزن عشرة دراهم جلنجبين عسل بماء جار ودانقين مثل الترياق بالإرياج ويغرغر ، وإذا كان بعد الرابع عشر، سقى حب الشيطرج ويسعط بالسعوطات الموافقة، ثم سقى دهن الخروع بماء الأصول والإيارجات الكبار، وحقن ودبر بجميع التدبير الموافق.

ينفع من الصرع الغاريقون، والساساليون، والحى، والزراوند المدحرج، فأما الكبار فعالجهم بالقيئ والإسهال والأدوية المبدلة المزاج ،

---

(1) ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء، ص278.

(2) خالد حربى،أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية "5" الساهر،إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة، دار الوفاء، الإسكندرية2010 .

ويُتخذ للصبيان نفاخة من هذه يدمنوا شمها ويعلق منها مخنقة عظيمة فى رقابهم ويبخروا بها أيضاً.

أبرأت ظلمة البصر الحادثة فى عقب الأمراض الحادة ، بماء الجبن، ثم باللبن والدهن على الرأس، والحمام والترطيب بالأغذية. والمسك يقوى العين وينشف رطوباتها .

لنواصير العين: تتخذ فتائل من الأشق والزنجار وتجعل فيه.

قطور جيد مجرب لوجع الأذن الحار، دهن ورد [جزء] ، خل خمر مثله يطبخ حتى يذهب الخل ويقطر فى الأذن .

قطور ينضج البثور التى فى الأذن: طبيخ التين والحنطة يقطر فى الأذن وتملأ وتوضع فيه فتيلة فيسرع نضجه .

قطور جيد مجرب لوجع الأذن الحار، دهن ورد [جزء] ، خل خمر مثله يطبخ حتى يذهب الخل ويقطر فى الأذن .

قطور ينضج البثور التى فى الأذن: طبيخ التين والحنطة يقطر فى الأذن وتملأ وتوضع فيه فتيلة فيسرع نضجه .

للقلاع الأحمر: بزر ورد ، ونشا ، وطباشير، وصندل، وكزبرة، وبزر الرجلة، وجلنار، وزعفران، وكافور، وسماق، وكبابة بالسوية .

اعتمد لخفة اللسان على الغراغر الجالية، كزنجبيل، وخردل، وبورق، وشحم حنظل ، وفلفل ونحوها . وحب الشيطرج جيد لثقل اللسان ، وايارج فيقرا نافع من ثقله إذا دلك به اللسان أو شرب.

جوارش مسهل، للساهر: سفرجل حامض ينقع فيما يغمره خلاً ويطبخ فيه حتى [يتهرأ] ثم يعصر ويؤخذ مثله سكراً أبيض فيعقد فى طنجير بنار لينة ويلقى لكل رطل منها قبل العقد سبعة سقمونيا فإنه قوى، والشربة خمسة عشر درهماً ، ويؤخذ من التربد المحكوك [جزء]

ومثله من حب النيل ويطبخ حتى يغلظ ويرفع ويسقى من درهم إلى ثلاث على قدر ما تريد ، ومتى أردت ذلك بسرعة فخذ من السفرجل فغله بخل أحمر حاذق حتى ليتهرأ] وصفه وخذ سكراً مثل ما وصفت مرتين ، وألقه فيه واطبخه حتى يغلظ ، وخذ دانق سقمونيا ودرهم تريد ونصف درهم من حب النيل واعجنه بدرهمين من حب النيل واعجنه بدرهمين من الذى طبخت وخذه فإنه جيد.

معجون يسهل السوداء الخالصة: أفتيمون ستة دراهم تعجن بأوقية سكنجبين ويشرب سكنجبين فإنه يسهل خمسة عشر مجلساً. ويذهب بالكلف: أوقية فودنج تغلى بنصف رطل ماء حتى يبقى الثلث ويصفى ويشرب .

شراب بارد مسهل يصلح للبرسام: ثلاثون إجاصة قوسية ، تمر هندى ثلاثون درهماً ، بنفسج يابس عشرون درهماً ، تريد عشرة دراهم يطبخ بعشرة أرطال من ماء حتى يبقى رطلان ثم يصفى ويلقى عليه من الترنجبين الطبرزد ويعقد ويداف فيه درهمان من السقمونيا ، وإن كان فى الصدر خشونة فأسقه التمر الهندى وزد فيه أصل السوسن، وإن كان العطش غالباً والغثى ولا خشونة فى الصدر فلا ، وقد يزاد فيه ماء القصب .

للقولنج إذا كان بارداً: جندبادستر أفيون عسل خردل شيطرج نانخة شونيز خرء الذئب شحم حنظل، يسقى [من الجميع] درهم، وللحار: ورد نيلوفر خرء الذئب صمغ خطمى رب السوسن كثيرا سقمونيا ، يسقى منه مثقال. <و>ما يشرب لهذه العلة الحارة: تين مخيطة يطبخ ويداف فيه خيارشنبر ويصب عليه دهن لوز مر ويشرب .

حقنة لينة باردة مسكنة للذع: بنفسج شعير مهروس نخالة خطمى تين سلق فانيد ملح شحم بط بنفسج لعاب بزرقطونا يهيأ على ما يجب وللقولنج الريحى : يحقن بقطران وجندبادستر.

سقيت الوشجانى لبن اللقاح بسكر العشر فكان بقدر ما احتاج فى الإسهال وبرئ عليه برءً تاماً، وكان قد شرب ماء البقول والأميرباريس أياماً كثيرة فلم يره نفع.

وإذا لم تكن حرارة فاسقه لبن اللقاح والكاكلانج والمازريون، ورأيت أكثر ما يعتمد عليه بولس فى إسهال المستسقين على بزر المازريون يسميها باسم هكرا، ثم يستعملها فى الأشربة والحبوب لهم.

لنفث الدم: تعلف الكزبرة والحماص ولسان الحمل والرجلة ويسقى معه الطين والصمغ، وإذا لم تسقيه عرض ذرب البطن فاعلف الأتان كزبرة وجاورسا مع الشعير والأرز واسق اللبن مع قرص حماض.

ماء الجبن يفتح سدد الكبد ويجب أن يتخذ بالسكنجبين ويسقى مع بعض الأشياء القابضة الجيدة.

فصل آل بختيشوع

من أهم العائلات التى قدمت إلى بغداد، ولعبت دوراً مهماً فى حركة الترجمة، وتكاد تكون هى العائلة الوحيدة التى انفردت بالترجمة الطبية دون غيرها، ساعدها على ذلك أن جميع أفرادها كانوا أطباء مهرة. كما اختصت بنوع آخر من العمل العملى، وهو التعليم الطبى[1].فجورجيس بن بختيشوع هورئيس أطباء جنديسابور، استقدمه الخليفة المنصور إلى بغداد، وصار طبيبه الخاص إلى أن توفى فى خلافته. ونقل له كتباً كثيرة من اليونانية إلى العربية. لكن صاحب هذه الرواية[2] لم يذكر أياً من أسماء الكتب التى نقلها. فى حين يذكر له بعض الكتب المؤلفة مثل: رسالة إلى المأمون فى المطعم والمشرب، كتاب المدخل إلى صناعة المنطق، كتاب الباه، رسالة مختصرة فى الطب، كُناشه، كتاب فى صنعة البخور، ألفه لعبد الله المأمون، وذكر له النديم[3] كتاب الكُناش المعروف.

أما بختيشوع بن جورجيس،ويكنى أبا جبريل، فاستقدمه الخليفة المهدى من جنديسابور ليحل محل أبيه جورجيس، فظل فى خدمته وخدمة الهادى والرشيد. وكان طبيباً حاذقاً، ولمّا ملك الواثق الأمر كان محمد بن عبد الملك الزيات، وابن أبى داود يعادبان بختيشوع، وكان يضرمان عليه الواثق حتى نكبه وقبض أملاكه ونفاه إلى جنديسابور، ولمّا اعتل الواثق بالاستسقاء وبلغ الشدة فى مرضه، أنفذ من يحضر بختيشوع، فمات الواثق قبل أن يوافى بختيشوع. ولمّا ولى المتوكل صلحت

---

(1) خالد حربى، الأسر العلمية ظاهرة فريدة فى الحضارة الإسلامية، ط. الثانية، الكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية 2010، ص35.

(2) ابن أبى أصبيعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص183.

(3) النديم، الفهرست ، ص412.

حال بختيشوع حتى بلغ فى الجلالة، والرفعة، وعظم المنزلة، وحسن الحال، وكثرة المال، وكمال المروءة، ومبارة الخليفة فى اللباس والزى والطيب والفرش والتفسح فى النفقات مبلغاً يفوق الوصف[1]. وفيما يتعلق بدوره فى حركة الترجمة ذكر ابن أبى أصبيعة[2] أن حنيناً ابن اسحق نقل له كتباً كثيرة من كتب جالينوس إلى اللغة السريانية والعربية.وأسهم بختيشوع أيضاً فى حركة التعليم الطبى – كباقى أفراد العائلة – يدلنا على ذلك أن ما ذُكر له من الكتب، كتابان تعليميان، هما: كتاب التذكرة، عمله لابنه جبريل[3]. كتاب فى الحجامة على طريق السؤال والجواب[4].

وكان جبرائيل بن بختيشوع فاضلاً عالماً متقناً لصناعة الطب، جيداً فى أعمالها، حسن الدراية بها. يذكر ابنه عبيد الله فى كتاب له أن أبيه "جبرائيل" قصد طبيباً من أطباء المقتدر وخواصه كان يعرف بترمزه، فلازمه وقرأ عليه، وقرأ على يوسف الواسطى الطبيب، ولازم البيمارستان والعلم والدرس فنبغ فى حياة أبيه وصار لجعفر البرمكى، حتى قدمه إلى الخليفة الرشيد فصار طبيبه الخاص ونزل لديه منزلة ممتازة وجعله رئيساً للأطباء. وظل على ذلك زمن الأمين والمأمون حتى توفى فى خلافته[5].

ومما يدل على تضلع جبرائيل، أنه شارك فى نوع معين من النشاطات العلمية التى انتعشت فى العالم الإسلامى آنذاك، وأعنى بها،

([1]) القفطى، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص72.

([2]) عيون الأنباء، ص258 – 259.

([3]) النديم، الفهرست، ص413.

([4]) عيون الأنباء، ص209.

([5]) ابن جلجل، الطبقات، ص64.

مجالس المناظرات التى كانت تعقد لامتحان أحد العلماء فى علمه بحضرة الخليفة أو أحد الوزراء.

ومن أخبار جبرائيل فى هذا النوع المميز من النشاط العلمى ما روى عن الصاحب بن العباد أنه عرض له مرض صعب، فأمر عضد الدولة بجمع الأطباء البغداديين وشاروهم فيمن يصلح أن ينفذ إليه، فأشار الجميع – على سبيل الأبعاد له من بينهم وحسداً على تقدمه – إلى جبرائيل بن بختيشوع .. فاستدعاه ضد الدولة .. وقد أعد عنده أهل العلم من أصناف العلوم، ورتب لمناظراته إنساناً من أهل الرأى، فقرأ طرفاً من الطب، وسأل جبرائيل عن أشياء من أمر النبض. فبدأ (جبرائيل) وشرح أكثر مما تحتمله المسألة، وعلل تعليلات لم يكن فى الجماعة من سمع بها، وأورد شكوكاً ملاحاً وحلها، فلم يكن فى الحضور إلا أكرمه وعظمه، وخلع عليه الصاحب خلعاً حسنة، وسأله أن يعمل له كُناشاً يختص بذكر الأمراض التى تعرض من الرأس إلى القدم ولا يخلط بها غيرها. فعمل كناشه الصغير وهو مقصور على ذكر الأمراض العارضة من الرأس إلى القدم حسبما أمره الصاحب به.

وحمله إليه، فحسن موقعه عنده ووصله بشئ قيمته ألف دينار. وكان يقول دائماً: "صنفت مائتى ورقة أخذت عنها ألف دينار"[1].

وهاك تضلع علمى أفظع عرف به جبرائيل، فقد بلغ به العلم حداً إلى الدرجة التى معها كان يناظر، ويجادل لا فرداً واحداً، بل مجموعة من الأفراد قد يصل عددهم إلى عشرة. فمن أخبار جبرائيل أنه اجتمع فى بعض الأوقات مع عشرة أطباء من أهل زمانه، وفيهم داوود بن سرافيون وتحادثوا طويلاً وجرى حديث شرب الماء عند الانتباه من النوم فقال داوود

([1]) ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء، ص211 – 212 بتصرف.

بن سرافيون: ما فى الدنيا أحمق ممن يشرب الماء عند الانتباه من نومه: فقال جبرائيل: أحمق منه من يتضرم نار على كبده فلا يظفئها. فقال غلام: فكأنك تطلق شربُ الماء عند الانتباه من النوم. فقال له جبرائيل: أما محرور المعدة ومن أكل طعاماً مالحاً، فأطلقه له وأمنع مرطوبى المعدة، وأصحاب البلغم المالح فإن فى منعهم شفاء لما يجدونه، فقال الحدث: وقد بقيت الآن واحدة، وهى كيف يفهم العطشان من الطب مثل فهمك فيعرف عطشه من مرارة أو من بلغ مالح، فضحك جبرائيل، وقال متى عطشت ليلاً فأبرز رجلك من دثارك، فأصبر قليلاً، فإن تزيد عطشك فهو من حرارة أو من طعام تحتاج إلى شرب الماء عليه، فأشرب، وإن نقص عطشك، فامسك عن شرب الماء، فإنه بلغم مالح[1].

ولجبرائيل من الكتب: كناشه الكبير الملقب بالكافى، رسالة فى عصب العين. مقالة فى ألم الدماغ بمشاركة فم المعدة والحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس المسمى ذيرفرغما[2]. الروضة الطبية: نشرة بول سباط سنة 1927 فى القاهرة سنة 1927، وكتابه "مقالة فى العين" الذى رأى سباط مخطوطته فى مكتبة الجراح الخاصة بحلب.

تكاد تكون مؤلفات عائلة بختيشوع غائبة أو مفقودة. ومن أحسن السبل التى تساعد على الوقوف على نصوص منها "حاوى" الرازى. فلقد اقتبس الرازى من مؤلفات العائلة كثير من النصوص، ودوّنها منسوبة إلى أصحابها فى موسوعته الأهم، الحاوى، ومنها مايلى[3]:

([1]) القفطى، الأخبار، ص101.

([2]) عيون الأنباء، ص214.

([3]) الرازى وتحقيق خالد حربى، الحاوى فى الطب.

جورجس، اعتمد فى الفالج على النفض كل أسبوع بالقوقايا وجوارش البلاذركل يوم، وإيارج ترمس فيكون هذا للنفض، وذاك لتبديل المزاج فإنك لا تلبث إلا مديدة حتى يصلح مع المسح بدهن القسط، فإن كانت الحواس مع الفالج مظلمة فمل إلى الغرورو والسعوط، وامرخ الهامة بدهن القسط، ولطف الأغذية، واجعل الشراب ماء العسل، وخمرا عتيقاً .

الداء الذى يسمى أم الصبيان إنما هو تشنج يعرض مع حمى محرقة يابسة قشفة، ويكون البول مع ذلك أبيض . والصغار يصلون [إليه] أكثر لرطوبة عصبهم ، ومن جاوز سبع سنين ثم حدث عليه منه شئ قوى لم يغلب منه ، فعليك بالآبزن وحلب اللبن

الداء الذى يسمى أم الصبيان إنما هو تشنج يعرض مع حمى محرقة يابسة قشفة، ويكون البول مع ذلك أبيض . والصغار يصلون [إليه]أكثر لرطوبة عصبهم ، ومن جاوز سبع سنين ثم حدث عليه منه شئ قوى لم يغلب منه ، فعليك بالآبزن وحلب اللبن على الرأس والسعوط بدهن الورد والقرع والبنفسج ولبن جارية، ولا تفارق الهامة الدهن واللبن ويضمد خرز الصلب كله والعنق بالخمطى، ودهن بنفسج ، ودقيق بزر الكتان يفتر ويوضع عليه، ومتى برد مرخ بدهن بنفسج مفتر، وأسخن الضماد وأعده عليه ويسقى، أو تسقى المرضعة ما تسقى فى الأمراض الحادة وليكن فى موضع فيه سرداب أو ما يعدله فى البرد والرطوبة.
صليبياً على إن كان الصداع يخف ويهيج ويكثر بعقب التخم والشراب، ويهيج أكثر ذلك بالغدوات والأيام الباردة، والجشاء فاسد ويقيئ بلغما ومرة فالآفة من المعدة، وإن كان دائماً وكثير السيلان من مجارى الدماغ، وكان فى العين ظلمة أو دمعة، وكثرة النوم، والكسل، فإن

ذلك خاص بالدماغ، وعلاجها جميعا التلطيف والإسهال بحب الصبر، والسعوط بمرارة الكركى والثليثا والمومياء، ويضمد الصدغان بضماد المرزنجوش، وورق الغار والشبت ونحوه فعالجه بهذا العلاج ثلاثة أيام، فهذا علاج الصداع الذى مع ثقل وبرد.

بختيشوع: ضماد نافع لوجع العين المفرط، صفاربيض مسلوق ودهن ورد، وزعفران، وحماما يضمد به فيسكن الوجع الشديد جداً .

يجب إذا لقط السبل، مضغ ملح وكمون وقطر فيه بخرقة، ويضمد بصفرة البيض، وينبغى أن يحرك العليل عينيه برفق إلى كل ناحية، لئلا يتشنج وينقبض إلى "جانب واحد" ويكحل من غد للقط بالاقراماطيقان الأكبر، ثم بعد ذلك بالأشياف .

ينفع من العشاء فصد القيفال، ثم فصد الآماق والإسهال والحقن الحادة، ثم الحجامة على القفاء، والعلق على الأصداغ، والأغذية اللطيفة السريعة الهضم، والأدوية المعطسة فى آخر الأمر، والقيئ على الريق، والأكحال الجالية بعد هذه الأشياء .

إن الانتشار من ضربة، وهذا يعمل بخاصيته وينفعه الورد الرطب واليابس، والصندل، والفلفل، والقرنفل، والنيلوفر، وورق الخلاف نافع جداً، وزهرته، فإذا سكنت الحدة فدقيق الباقلى بالشراب يعجن ويوضع عليه، قال : وإنه نافع للانتشار .

إن حشى بالآس ناصور العين أبرأه : الجوز الفج يحشى به ناصور العين يبرئه إن شاء الله .

جبرئيل يشدد ويجلو ويطيب، دقيق شعير وملح عجين بالسوية يلت بعسل ويعجن بمطبوخ ريحانى وقطران شامى ويخبز فى تنور على آجرة حتى يحرق ويسحق ويلقى عليه وزن عشرين درهماً كزيازك،

وسعد وفوفل أربعة أربعة دراهم، زنجبيل أربعة دراهم ويستعمل ويسكن الضرس المأكول أن يحشوه بأفيون أو فلونيا .

بختيشوع: يجعل فى الأكال حلتيت يسكن من ساعته ويجعل فيه موم لئلا ينحل وكذلك الجاوشير .

جورجس : الورم فى الحلق إما من ورم، يظن صاحبه أن فمه مملوؤة خمراً عتيقاً أو من صفراء، ويظن أن فى حلقه خلا حاذقا، أو من بلغم ويظن أن فى فمه ملحاً أو بورقاً ولا يكون من المرة السوداء <و> لا يعرض بسرعة لكنه يجئ أولاً فأولاً .

بختيشوع للسل العتيق وللحدبة وهو أجود شئ له: يطبخ لهم كل يوم سرطان مع ماء الشعير، وطعامه مخ بيض وأسفيذباج لين بشحم دجاج ودهن لوز ويجلس فى الآبزن بعد الطعام قليلالا يطيل وليمرخ بعد بدهن بنفسج.

جبريل : جربت للفواق الذى بالمبطون من خلاء : شخزنايا بماء بارد فوجدته نافعاً، والقرع أيضاً ينفع، والصبر رعلى العطش يقطعه، وينفع من الفواق الذى من اختلاف واستفراغ : لعاب بزرقطونا وماء الصمغ العربى وبزركتان وبزر مر ونحوها يسقى مرات بالنهار ويحل صمغ ثلاثة دراهم فى ماء حار ويسقى منه .

بختيشوع : الكرسنة إذا قليت وطحنت وأخذ منها كالجوزة معجونة بعسل نفعت من الهزال، ماء لسان الحمل نافع لمن غلب على مزاجه اليبس، وكذلك السمك الطرى والقرع والسويق وخاصة فى الصيف والأحشاء .

جورجس : إذا كان الوجع فى العانة فإنه قولنج، وإذا كان فى ناحية الظهر فإنه وجع الكلى .

ضماد نافع من القولنج الشديد : متخذ بأفيون وخبز ولبن وزعفران، وإذا اشتد القئ فاسقه رب الرمان بالنعنع .

ضماد نافع من القولنج الشديد : متخذ بأفيون وخبز ولبن وزعفران، وإذا اشتد القئ فاسقه رب الرمان بالنعنع .

حقنة نافعة من السحج الطرى، صفار ثلاث بيضات غير مسلوقة تسحق فى هاون نظيف مع أوقية دهن ورد خام ونصف درهم مرداسنج ودرهم ونصف اسفيذاج، ثم يفتر <المجموع> ويحقن <به>.

جبريل :دواء خاص بالاختلاف الكائن عن الكبد الشبية بماء اللحم، ورد صندل، سعد ، قصب الزريرة أجزاء سواء يعجن بماء أطراف الآس أو برب الحصرم وتضمد <به> الكبد ويسقى رب الريباس ورب السانق، وأقراص الزرانيخ تنفع من الخلفة التى تكون من أجل البواسير وكل خلفة عتيقة .

جورجس: اسق العليل فى الحبن الزقى لبن الإبل مع أبوالها ، رطلين لبن وأوقية من بولها ويتمشى قليلاً ، ثم ينام وزده حتى يبلغ ثمانية أرطال فإن رأيت أنه يمشيه فلا ترد على أوقية بول، فإن لم يسهله فلا تسقه فإنه غير ملائم له، واخلط به إهليلجاً وسكراً فإن أمكن أن يأكل كل يوم مرتين فذلك وإلا فليأكل خبزاً مثروداً فى شراب لطيف أو ماء ولحم دجاج إن أكل لحماً لضعفه أعطه يوماً دراجاً ويوماً خبزاً ومأقا يابساً قد أنقع بطلاء ممزوج فإذا سقيته أسبوعين ونفض الماء كله فاكوه على البطن ولا تؤخره أكثر من عشرة أيام لئلا يقبل بعد ذلك الماء.

والحبن يعرض إما ليرقان كبدى حدث أو حميات طويلة دامت أو لكثرة شرب الماء البارد أو لكثرة التخم، فالكى ينفع اللحمة وربما

نفع الزقى.

بختيشوع: أقراص تسمى العجلانية نافعة جداً من الاستسقاء: لحا عروق شبرم هليلج أصفر بالسوية ينخل <المجموع> بحريرة ويعجن بماء الهندباء ويوضع فى صلاية ويقرص من دانق ويسقى كل يوم قرصة مع درهمى سكر أبيض.

جبريل: من أجود ما وجدنا للطحال أن يسقى وزن خمسين درهماً من بزر الفنجنكشت وثلاثين درهماً من قشور أصل الكبر ينقع بخل ثقيف أسبوعاً و يجدد ذلك كل يوم ويجفف فى الظل ثم يسحق ويسقى كل يوم ثلاثة دراهم بسكنجبين مغلى فإنه أجود شئ عملناه للطحال.

جورجس: إذا كثرت الحرارة والدم فى القلب كثر الغشى، فعالجه بالفصد والإسهال والأغذية اللطيفة المطفئة وماء الشعير ونحوه، وإن كان فيه سوء مزاج بارد فإنه يجمد النبض، فعالجه بدواء المسك والدواء سهران وجوارش العنبر، وجوارش كسرى جيد بالغ وهو أفضلها، ودواء قباد الملك والحمام والطيب والشراب الريحانى.

بختيشوع: الهندباء متى دق و ضمد به القلب نفع من الخفقان، وكذلك الفودنج والسنبل إذا شرب نفع من الخفقان.

جورجس: علامات ضعف الكبد قلة الشهوة وتغير اللون إلى الخضرة والصفرة والبياض والقئ المرى ويبس اللسان وسواده ووجع فى الأضلاع اليمنى والتراقى مع سعلة وبياض الشفة ومرارة الفم وتهيج الوجه وينفع ضماد الاصطماخيقون إذا برد الكبد برداً شديداً، وضماد الصندلين إذا كان حاراً، والهندباء وخيارشنبر وعنب الثعلب للحارة، وماء الأصول ودواء اللك للبرودة وهو أحمر.

فصل الطبرى

وقع الطبرى ضحية أخطاء قدماء المؤرخين[1]، فلم يحددوا ولادته وزمانها ومكانها، بل حرفوا فى اسمه وغيروا اعتقاده ومذهبه الدينى، فقالوا: كان يهودياً طبيباً منجماً من أهل طبرستان، وكان متميزاً فى الطب، عالماً بالهندسة، وأنواع الرياضة، وحل كتباً حكيمة من لغة إلى لغة أخرى، وكان والده على بن ربن طبيباً مشهوراً انتقل من طبرستان إلى العراق، وسكن سر من رأى. وربن هذا كان له تقدم فى علم اليهود، والربن والربين والراب أسماء لمقدمى شريعة اليهود، وهو أستاذ الرازى فى الطب.

إذن فالطبرى عند قدماء المؤرخين وتبعهم فى ذلك كثير من الكتاب المحدثين والمحققين – ابن على بن ربن، ويهودى النحلة، واشتهر لديهم بكنيته (الطبرى) دون اسمه الأول والحقيقة أن اسمه الصحيح: على بن ربن بن سهل النصرانى على ما انفرد به محمد جرير الطبرى فى تاريخه.

والربن من ربَّان لقب دينى يعنى بالسريانية "المُعلم"، وقد حصل عليه والدة "سهل" بفضل علمه وشهرته علمية، فى الطب والفلسفة واللاهوت، فالطبرى، إذن هو على بن ربن (المُعلم) سهل.

حرص والده سهل على تربيته وتنشأته نشأة، فعلّمه بنفسه الطب واللغات والفلسفة، وورث الابن عن أبيه حبه وشغفه بالعلم، وخاصة الطب. ولما انتقل به والده الطبيب المشهور إلى طبرستان على أيام الخليفة "المأمون" لُقب الابن على بن سهل، "بالطبرى"، وما لبث إن ذاع صيته فى

([1]) النديم فى الفهرست، وابن القفطى فى إخبار العلماء بأخبار الحكماء، والبيهقى فى تتمة صوان الحكمة، وابن أبى أصيبعة فى عيون الأنباء فى طبقات الأطباء.

الطب بين الإمارات الإسلامية، وانتقل بعد خمس سنوات قضاها مع مازيار بن قارن — أمير طبرستان من قبل المأمون — إلى الرى، ثم انتقل إلى بلاط الخليفة العباسى المعتصم ببغداد، وظل بها طبيباً ممارساً مشهوراً يتمتع بحظوة الخلفاء من الواثق حتى المتوكل الذى اعتنق الطبرى الإسلام على يديه، وشجعه الخليفة على تأليف كتاب "الرد على النصارى" وكتاب "الدين والدولة". وفى نفس الفترة وبالتحديد سنة 235هـ، انتهى أيضاً من تأليف أهم كتبه الطبية وهو كتاب فردوس الحكمة.

وتوفى الطبرى سنة 236هـ، وولد محمد بن زكريا الرازى سنة 250هـ، فكيف تعلم الرازى على الطبرى كما زعم المؤرخون القدامى، ومن تبعهم من الكتاب المحدثين؟! فلا يمكن أن يكون الرازى تلميذاً للطبرى إلا بمعنى واحد، وهو التتلمذ عليه من خلال مؤلفاته، يؤكد ذلك ما اقتبسه الرازى من نصوصها فى موسوعة الحاوى.

كتب الطبرى مؤلفات كثيرة فى الطب وغيره، بقى منها كتاب حفظ الصحة (مخطوط اكسفورد)، وكتاب اللؤلؤة (مخطوط استانبول)، فضلاً عن فردوس الحكمة[1]. وضاع منها: كتاب أرفاق الحياة، كتاب تحفة الملوك، كتاب كُناش الحضرة، كتاب منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير، كتاب فى الحجامة، كتاب فى ترتيب الأغذية.

إلا أن أهم وأشهر كتبه الطبية التى وصلتنا، هو كتاب "فردوس الحكمة"، أقدم تأليف عربى جامع لفنون الطب، وأول

---

(1) نشرة محمد زبير الصديقى فى برلين سنة 1928، ونشر المادة الطبية فقط ورنرشموكر Warner Schmuker بجامعة بون سنة 1969.

موسوعة طبية عربية اعتنت بالطب وعلومه، وما يلزم لدراستها، فاحتوت علم الأجنة، وعلم السموم، والطب الباطنى، والعقلى، وطب النساء، والتشريح كما لخص الطبرى فيها آراء الأقدمين فى الطب والعلوم الطبيعية. ويقع الكتاب كما يقول الطبرى: فى سبعة أنواع من العلم، ولهذه الأنواع ثلاثون مقالة، ولمقالاتها كلها ثلاث مائة وستون بابا، ومنها مايلى[1]:

اللقوة التى تكون من يبس يضع دهن بنفسج ويسعط بالزبد، ويختص على الرأس والعنق بالخطمى والبنفسج ويدهن اللحى والفقار بدهن الخطمى، ويوضع عليها وعلى الرأس مثانة فيها دهن مسخن ويجلب عليه، وينطل بطبيخ الراسن والأكارع ويمسح الفقارة واللُحى بشحم البط، ويسعط بدهن السمسم واللبن، ويدهن الصدغان بالزبد والشحم وشحم البط.

إذا كان الصداع لضربة، فإن لم تكن جراحة فعالجه بالتكميد، وبالدهن المفتر، واحذر الحمام، والشراب، والغضب، والأغذية الحارة.

سعوط للصداع البارد: مسك قليل وميعة وعنبر، يُجعل الجميع حباً ويسعط بواحدة.

وينفع من الصداع السعوط بمخ شاة مع دهن بنفسج أو يسعط بالزبد. وينفع الصداع الكائن بعقب النعاس أن يضمد الصدغان والجبهة برماد معجون بخل.

([1]) خالد حربى، أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية، "7" الطبرى، إعادة اكتشاف نصوص مفقودة ومجهولة، دار الوفاء، الإسكندرية2010.

الكمنة: رمد أحمر يابس مزمن ولا رمص معه، وعروق العين فيه ظاهرة، والسبل: امتلاء عروق العين وشبه غشاء عليها كلها.

مما ينبغى أن يدعه صاحب الماء: الحجامة، والسمك، ولحوم الضأن، والصوم، والنبيذ، والبقول، ويأكل مرة نصف النهار.

وينفع من بدء الماء، ويحد البصر، أن يسحق شيئاً من حلتيت بعسل، ويكتحل به ويأكل منه صاحب الوجع، أو يكتحل بشيىء من الفربيون أو كمادريوس.

كحل للغرب، يصوّل القليميا، ثم يسحق بالماء أياماً ويحل قلقديس بالماء ويؤخذ صفوته، ويجمد، ثم يؤخذ منها جزءان، بالسواء ويجمعان ويسحقان، ويجعلان فى كوز من فخار جديد فى باطنه خل، ويشد رأسه بطبق ويترك المخلوط خمسة عشر يوماً حتى يدخل إليه فى الكوز ندى الخل، ويرطب ثم يخرج ويسحق حتى يجف، وعند الحاجة يجعل منه قليل فى المؤق نفسه بميل إن شاء الله.

ينفع من الرعاف وضع المحاجم على الفخذين، والجلوس فى الماء البارد إلى أن يخضر.

وليداف من الأفيون ويقطر فيه، وشم الروائح المنتنة يقطع الدم أيضاً.

مثقالان حنظل، أربعة مثاقيل حرمل يغليه بخل خمر، ثم يتمضمض به فإنه جيد مجرب لوجع الأسنان، وينفع منه أن يطبخ الإذخر والأيرسا وجوز السرو فى الشراب القوى ويمسك فى الفم مع المر.

وينفع من انقطاع الصوت لرطوبة كانت أو يبس: تين يابس جزء، فوتنج نصف جزء، يطبخان جميعاً ويصفيان ويخلط بهما شئ من صمغ عربى حتى يتعسل ويلعق منه عند النوم.

وينفع من بحة الصوت أن يمسك دهن البنفسج فى الفم يسيغه قليلاً.

ولذلك صار الإنسان من قبل أن يأكل أو يشرب صوته صاف، وإذا شرب أو تناول طعاماً رطباً نقص صفاء الصوت منه ومال إلى الإظلام، فإن أكثر من الشراب صار الصوت أبح.

والصوت الظلم مقدمة الصوت الأبح وكلاهما يعرضان للشيوخ كثيراً لكثرة الرطوبات العرضية فيهم، ومن قدر من الشيوخ أن يتحفظ حتى لا يتولد فيه فضول كثيرة صار صوته أجود من صوت الشاب وأصفى، وذلك ليبس آلات الصوت فيهم.وبالجملة فإن صفاء الصوت تابع ليبس الحنجرة.

القئ بعد الطعام تكون الأخلاط رقيقة لذاعة والمعدة قليلة وينفع منه غاية المنفعة أقراص ماريوش وهى جيدة للمعدة أيضاً أخلاطها: بزر كرفس ستة، أفسنتين أربعة، مر اثنان، فلفل مثله، دار صينى ستة فإن لم يجد فسليقة سوداء مقشرة من قشرها عشرة جندبادستر أفيون اثنان اثنان، الشربة نصف مثقال للصغير وللكبير مثقالان إلى مثقال بأوقيتى شراب قابض لوجع المعدة وللقئ بماء بارد، ثم ينفع بعد ذلك أن تنقيه بالأرياج لستأصل الوجع ولا يجب أن تقدم الأرياج قبل هذا القرص فإنه ربما أفسد لأنه يشتد الوجع واللذع حتى يعرض غشى وينفع من هذا الداء رب الخشخاش.

إذا كثر انصباب السوداء إلى المعدة وإلى الطحال كان منه الشهوة الكلبية، وإن جاز فى ذلك الوقت حتى تبرد المعدة فى غاية البرد كان منه سقوط الشهوة.

أكثر حدوث الخلفة عن تخمة، وعلاجه: تقليل الغذاء وجوارش السفرجل يطبخ السفرجل بعصير السفرجل حتى يتهرأ بشئ من الخل، ثم يصفى ويدق الثقل ويلقى على الماء عسل ويطبخ حتى يغلظ ويؤخذ فلفل أسود، أبيض، وزنجبيل، ونانخة، وقرفة وقاقلة وقرنفل ومصطكى بالسوية، كندر نصف يعجن الجميع بماء اللحم، ويستعمل أيضاً فى هذا سفرجل مقشر ستة أرطال، رمان حامض عشرون رطلاً، حب الآس ثلاثة أقفزة، سماق قفيز كمون نبطى قفيزان ثمرة الينبوت قفيز، قاقيا أوقية، سك مثله، زبيب قابض أربعة عشر دورقاً يطبخ الجميع حتى يغلظ ويصفى ويطبخ ثانية ثم يشرب.

ينفع من القولنج الريحى دلك البطن كله بدهن قد فتق فيه قنة وطبيخ جندبادستر، وللبلغمى: فربيون وفلفل وبورق وعاقرقرحا يطبخ العاقرقرحا والفلفل والجندبادستر ثم يفتق فيه البورق.

إيلاوس يقتل إلى سبعة أيام إلا أن يهيج الحمى فإنها صالحة له جداً إذا كان من خلط غليظ، وكذلك لكل قولنج غليظ. وأعراضه الرديئة: القئ المتدارك والفواق والكزاز والاختلاط.

أدم المحاجم على أسفل البطن وافصده إن أمكن، وينفع منه أقراص الكوكب وشراب الخشخاش.

ألبان الإبل جيدة للجسد الذى فيه أخلاط رديئة حارة يابسة وتنفض الصفراء والسوداء المحرقين، وتنفع من الحبن وفساد المزاج، وادع بلقحة فتية واسقه مع الصبح قدحاً من لبنها سخناً كما يحلب وليقعد قليلاً ثم لينم حتى يمشى مقعداً أو ثلاثة، فإن كان الذى يمشى أصفرا منهضماً فاسقه مرتينى أو ثلاثاً فى النهار فإن كان المشى أبيض فلا تسقه أو اسقه منه قليلاً، فإن أخذه العطش فاسقه من اللبن السخن

واخلط بكل قدح ملعقتين من عسل منزوع الرغوة لئلا يجمد فى البطن ولا يحمض، وإذا اعترى منه العطش فضع على الرأس دهن البنفسج أو الخطمى المضروب بالماء البارد ودهن الورد وصب على الرأس فى الصيف الماء البارد وفى الشتاء طبيخ البابونج والبنفسج.

فصل يحيى بن ماسويه

أبو زكريا يحيى (يوحنا) بن ماسويه، ولد حوالى 160هـ - 1776م لأب طبيب وصيدلانى سريانى من جنديسابور أعظم مركز للطب عصرئذ.

شب ابن ماسويه فى وسط علمى، وتعلم الطب من والده الذى هاجر به إلى بغداد عاصمة الدنيا فى ذلك العصر، واشتغل بالطب، وبعد وفاته أصبح يحيى رئيسا للمستشفى الذى كان يعمل فيه ببغداد.

كان يحيى طبيباً ذكياً خبيراً بصناعة الطب، وخدم به من الخلفاء: الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وتوفى فى خلافة الأخير سنة 243هـ - 857م.

أما عن أعماله، فتروى لنا المصادر أنه كان غزير الإنتاج الطبى، فسجل له ابن أبى أصيبعة أسماء اثنين وأربعين كتاباً فى الطب، لكن لابن ماسويه كتباً أخرى لم يذكرها ابن أبى اصيبعة، ولا غيره من المؤرخين، ولم يرد ذكرها، وكذلك نصوص منها إلا فى موسوعة الحاوى فى الطب لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى، تلك التى حفظت لنا ولتاريخ الطب كثير من نصوص أطباء الحضارة الإسلامية — وغيرها من الحضارات — التى ضاعت أو فقدت عبر الزمن.

رصد ابن أبى اصيبعة مؤلفات يحيى بن ماسويه على النحو التالى:

1- كتاب البرهان ثلاثون بابا.
2- كتاب البصيرة.
3- كتاب الكمال والتمام.
4- كتاب الحميات مُشَجرْ.
5- كتاب فى الأغذية.

6- كتاب فى الأشربة.

7- كتاب المنجح فى الصفات والعلاجات.

8- كتاب فى الفصد والحجامة.

9- كتاب فى الجذام لم يسبقه أحد إلى مثله.

10- كتاب الجواهر.

11- كتاب الرجحان.

12- كتاب فى تركيب الأدوية المسهلة وإصلاحها وخاصة كل دواء منها ومنفعته.

13- كتاب دفع مضار الأغذية.

14- كتاب فى غير ما شئ مما عجز عنه غيره.

15- كتاب السر الكامل.

16- كتاب فى دخول الحمام ومنافعها ومضرتها.

17- كتاب السموم وعلاجها.

18- كتاب الديباج.

19- كتاب الأزمنة.

20- كتاب الطبيخ.

21- كتاب فى الصداع وعلله وأوجاعه وجميع أدويته والسدد والعلل المولدة لكل نوع منه وجميع علاجه.

22- كتاب السدر والدوار.

23- كتاب لمَ امتنع الأطباء من علاج الحوامل فى بعض شهور حملهن.

24- كتاب محنة الطبيب.

25- كتاب معرفة محنة الكحالين.

26- كتاب دغَلَ العين.

27- كتاب مجسة العروق.

28- كتاب الصوت والبحة.

29- كتاب ماء الشعير.

30- كتاب المرة السوداء.

31- كتاب علاج النساء اللواتى لا يحبلن حتى يحبلن.

32- كتاب الجنين.

33- كتاب تدبير الأصحاء.

34- كتاب فى السواك والسنونات.

35- كتاب المعدة.

36- كتاب القولنج.

37- كتاب النوادر الطبية.

38- كتاب التشريح.

39- كتاب فى ترتيب سقى الأدوية المسهلة بحسب الأزمنة وبحسب الأمزجة، وكيف ينبغى أن يسقى، ولمن ومتى وكيف يعان الدواء إذا احتبس، وكيف يمنع الإسهال إذا أفرط.

40- كتاب فى تركيب خلق الإنسان وأجزائه وعدد أعضائه ومفاصله وعظامه وعروقه، ومعرفة أسباب الأوجاع، ألفه للمأمون.

41- كتاب الأبدال فصول كتبها لحنين بن اسحق بعد أن سأله ذلك.

42- كتاب الماليخوليا وأسبابها وعلاماتها وعلاجها.

43- كتاب جامع الطب مما اجتمع عليه أطباء فارس والروم.

44- كتاب الحيلة للبرء.

تلك هى مؤلفات يحيى بن ماسويه كما وردت عند ابن أبى أصيبعة، اثنان وأربعون كتاباً فى الطب، خلاف كتابين آخرين، والموجود من هذه المؤلفات بحسب رواية بركلمان[1] لا يتعدى ثمانية كتب[2] وبعض مصنفات أخرى مترجمة إلى العبرية، وكتابين لم يذكرهما ابن أبى اصيبعة، الأول هو كتاب "المُشجَّر" عرض فيه الطب كله فى هيئة جداول، ومنه نسخة مخطوطة فى بنكيبور 174، وأخرى فى رامبور أول 493: 204، والآخر هو كتاب الكامل فى الطب Perfectumde de Medicina من المخطوطات العبرية فى باريس 379 و 408.

إن من أهم مظاهر تميّز الحضارة الإسلامية، تدويين الموسوعات، وتعد موسوعة الحاوى فى الطب لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى أول وأضخم وأهم موسوعة طبية فى تاريخ الطب العربى الإسلامى، بل ربما فى تاريخ الطب الإنسانى كله. وقد ذكرت من قبل أن موسوعة الحاوى تحتوى على مؤلفات طبية من الحضارات السابقة على الحضارة الإسلامية، وكذلك مؤلفات من الحضارة الإسلامية، و

([1]) كارل بروكلمان تاريخ الأدب العربى، الترجمة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993، 674/4.

([2]) كتاب نوادر الطب. كتاب الحميات. كتاب جواهر الطبيب المفردة. كتاب ماء الشعير. كتاب إصلاح الأدوية المسهلة. كتاب الأزمنة، نشره بول سباط فى مجلة المجمع العلمى المصرى، المجلد 15، ص235 – 257. كتاب العين المعروف بدغَلَ العين أو معرفة العين وطبقاتها، حققته وحصلت به على درجة الماجستير من كلية الآداب – جامعة الإسكندرية 2009، الباحثة دعاء العربى.

من بين هذه المؤلفات، مؤلفات يحيى (يوحنا) بن ماسويه، وهاك ما حفظه الحاوى من مؤلفات يحيى بن ماسويه الموجودة والمفقودة[1]:

كتاب الكمال والتمام، ومنه: لتشنج العصب، شمع أحمر جزءان، شحم خنزير ثلاثة أجزاء، شحم الأوز وشحم بط جزءان شحم أسنان البقر جزءان مخ ساق البقر جزءان دهن الآلية جزء ونصف، شحم الأيل ومخ ساقه، كل واحد جزءان يطبخ بدهن النرجس ويمسح بها العضو، وينطل بطبيخ الحلبة وبزر كتان وأصول السوسن، وإكليل الملك ويشد عليه جلد الألية ويسقى أيضاً دهن الخروع المطبوخ به الدواء.

فى آخر العلاج للصداع، يبل الشريان الذى فى الصدغ والكى على أم الرأس، والصداع الذى من ضربه، يخرج الدم من القيفال أربع مرات فى يومين أو ثلاثة قليلاً قليلاً، لتنجذب المادة ثم ضمد الرأس بورق الخلاف، وعنب الثعلب، والزعفران، والصندل ويسقى ماء الشعير، وماء الرمان الحلو.

إذا كان صداع دموى وأزمن، وفصد فلا يمنع من وضع المحاجم ويشرط على القفا والأخدعين وخاصة إن رأيت عروق الرأس ممتلئة.

عصارة قثاء الحمار نافعة جداً من الصداع العتيق المعروف بالبيضة إذا سعط بها.

شياف المرارات ينفع فى الظلمة والانتشار والماء ولم يزد فيه سوى المرارات، وسلخ الأفاعى، وخطاطيف محرقة، وزنجبيل وفلفل أبيض، وسكبينج، ومُر.

إن كانت القروح فى الأنف رطبة، فيخلط بقيروطى، دهن ورد أو آس ومرداسنج وخبث الفضة واسفيداج ويطلى، وإن كانت يابسة

([1]) الرازى، وتحقيق خالد حربى، الحاوى فى الطب.

فيخلط القيروطى مع مخ ساق البقر، ويكون القيروطى بدهن بنفسج أو دهن سمسم أو دهن لوز حلو وهو أجود، ويخلط مع شئ من كثيرا، أو رغوة حب السفرجل ورغوة الخطمى والبزرقطونا، يطلى عليها فى اليوم مرات، واستعمل فيها حجامة النقرة والإسهال، ويحذر العبث بالأنف.

وللنتن فى الأنف، يطبخ دارشيشعان بشراب ريحانى ويستنشق أياماً كثيرة. يدق جوز السرو ويجعل فيه أياماً كثيرة يذهب.

دماغ الدجاج إن شرب بشراب، قطع نزف الدم العارض من حجب الدماغ.

إن جعل فى مائة دقاق الكندر مسحوقاً وخل واستعط به قطع الرعاف.

مما ينفع من الدم الذى يخرج من الدماغ من سقطة أو ضربة، اسقه أدمغة الدجاج، وأكثر منه مرات كثيرة واسقه ماء الرمان الحامض، وضع على رأسه البرشيان دار وبعد دقه مع دهن الورد.

للخوانيق واللهاة: جوز السرو وملح درانى، ونشادر، ونورة، وعفص، وسماق، وأقاقيا، وشب، وورق السوسن، وماميران، وحضض، ومر، وثمرة الطرفا، وعروق، وجلنار، وورد، ورماد الخطاطيف، وقيصوم محرق، تحرق كلها وينفخ منها فى الحلق كانت نافعة من الخوانيق وورم اللهاة.

وللخوانيق يجعل زفت فى رب التوت ويتغرغر به.

كتاب فى الصداع وعلله وأوجاعه وجميع أدويته والسدد والعلل المولدة لكل نوع منه وجميع علاجه، ومنه: إذا كان الصداع عن المعدة كان فى اليافوخ وسط الرأس قبالة المعدة، والذى يكون من الكليتين فيؤخذ فى النقرة ومؤخر الرأس، والذى يكون عن عضو ما فى البدن

فإنه يحس بألم ذلك العضو، ثم يكون الصداع كأنه عرض لازم، فالصداع الكائن لعلة تختص الرأس ثابت، والذى بمشاركة يزول بزوال تلك الحال وليس بثابت فى جميع الأحول.

علامة الصداع الذى من الصفراء، أن يحدث حرارة شديدة فى الرأس، ويبس فى الخياشيم، وسهر من غير ثقل فى الرأس، ويصفر الوجه ويجف اللسان، ويلزمه عطش، والنبض متواتر، واطلب مع ذلك الأشياء المتقدمة والسن والمزاج.

والذى من الدم أن يحس مع الحر بثقل، وحمرة فى الوجه، وعروق العين، وتدر عروق الجبهة، ويعظم النبض، واستدل بالزمان والسن.

والبلغمى تجد معه سباتاً وثقلاً فى غير درور العروق ورطوبة الفم والمنخرين، وضم إليه سائر الاستدلال.

والذى من السوداء فاليبس يلزم صاحبه من غير حرارة ظاهرة وضم إليه سائر الدلائل.

والذى من الريح أن يجد هو شيئاً وانتقال الصداع من مكان إلى مكان ويستلذ بالأشياء الحارة، والذى يكون من ورم فى الرأس يكون فى غاية الشدة ويبلغ إلى عند العين، ويعرض معه اختلاط وجحوظ العين وينتوء، وربما كان بعقب سقطة وضربة، وقد يصيب الرأس أيضاً صداع بعقب الجماع، وهذا يكون لضعف الدماغ، وامتلاء البدن، ويكون الصداع للبحران الجارى، والباجورى لا يعالج.

كتاب الحميات، ومنه: الرعاف الذى من مرض حاد اسعطه بماء الثلج وماء الكافور ولطخه بالصندل وماء الورد، واسعطه بماء القثاء المر مع الكافور، فإنه يقطع قطعاً شديداً، وانفخ فى أنفه

كافوراً ولطخ جبهته بأفيون وماء ورد، واعلم أن إدمان شم الكافور يقطع الرعاف، وإذا كان الرعاف من غير حمى، فإنه يقطعه الفصد ويخرج الدم فى اليوم الأول ثلاث مرات قليلاً قليلاً، وكذلك فى اليوم الثانى وحجامة الساق أيضاً تقلعه.

إذا كان الجسم قد برد ويبس كالشيخ فاطعمه صفرة البيض مع خبز السميذ، واسقه قليل شراب وماء، فإذا ناله ثلاث ساعات فأطعمه خبزاً مبلولاً بماء وشراب وأدخله الحمام، وليكن غرضك ترطيبه فقط، وأخرجه وأغذه إسفيذباجة بلحم حمل يحمص وشبت، ثم اسقه شراباً ممزوجاً، ولا تكثر منه ولا تجعله قوياً فيصدع ودعه كى ينام وبخره بالعود المعطر أو بخر به أمامه أيضاً ولين وطأه واتكاءه، ولا تبطئ فى الحمام ولا يكن شديد الحرارة، واحقنهم بحقنة الرأس والأكارع والجنب السمين والحنطة والحمص والشبت يؤخذ ماؤه ودسمه ويجعل فيه شئ من دهن بان ويحقن به ثلاثة أيام ويترك خمسة أيام، ثم يعاود هذا الليل ينام عليه ليلة ويبكر على حساء صفرة البيض والتدبير، فإذا دخل الحمام بعد أن يأكل صفرة البيض والخبز والشراب، فهو جائز، ويشرب شربه بماء ساخن فى الشتاء، ويدلك أعضاؤه بدهن خيرى، والذين يسمنون وتحمر ألوانهم قد يهيج بهم العصب فى الأحيان من سوء التنفس.

كتاب جامع الطب مما اجتمع عليه أطباء فارس والروم، ومنه: لنفث الدم يؤخذ ورد بأقماعه وعدس مقشر، وطراثيث، وجلنار، وطين أرمينى، وكافور يعجن بماء الورد ويطلى به الصدر والجنبان ويبرد بخرق كتان باردة كل ساعة.

ينقى صاحب الفواق من الامتلاء بالقىء ثم بمربى الهليلج المعمول بالأفاوية والشراب الريحانى وبعد القئ يشرب أيارج فيقرا مثقال وعصارة أفسنتين مثله وملح هندى دانقان حتى تنقى معدته، ثم يأخذ الهليلج ويكون فيه أشياء ملطفة.

شراب الفاكهة نافع من القئ والإسهال: حب رمان وقطع سفرجل وزعرور وسماق وحب الآس الأخضر وغبيراء ونبق وتفاح وكمثرى وحماض الأترج يطبخ حتى يتهرأ ويصفى ويطبخ حتى يصير كالجلاب ويطرح عليه بعد نزوله عن النار رامك البلح أوقية إلى رطل الشربة كالشربة من السكنجبين بماء بارد.

شراب الفاكهة للهيضة: حماض الأترج منقى من حبه مائة مثقال، سفرجل منقى مائتان وخمسون مثقالاً، تفاح منقى من حبه ثلاثمائة مثقال، سماق منقى من حبه مائتا مثقال، حب رمان حامض منقى أربعمائة مثقال، زعرور أصفر مائتا مثقال، حب حصرم مائتان وخمسون مثقالا، غبيراء بلا قشور مائتا مثقال، سويق النبق مائة وخمسون مثقالاً، كمثرى يابس مائتا مثقال، دقيق الطلع وماء الطلع المعصور من كل واحد مثقال ينقع بما يغمره ماء قليل يوماً وليلة ثم يطبخ حتى يذهب نصفه ويصفى ويطبخ ثانية حتى يصير كالجلاب السخين ويجعل فيه سك وعود فى خرقة.

كتاب فى تركيب الأدوية المسهلة وإصلاحها وخاصة كل دواءمنهاومنفعته، ومنه: من اعتاد مسهلاً فهو أصلح له. ولتكن كمية مراتب الإسهال، وقدره بحسب القوة، فإذا كانت القوة قوية فالإسهال قوى مرة واحدة، وإذا كان الفضل كثيراً والقوة ضعيفة فمرات كثيرة قليلاً قليلاً، وإذا كان الفضل كثيراً والقوة ضعيفة فقل ما يحتاج إلى

الإسهال بالعدل، وأهل البلاد الحارة أقل حاجة إلي الإسهال وأقل احتمالاً له، وكمية دوائهم يجب أن تكون أقل وكيفته أضعف وبالضد، وليستحم قبله بيومين وبعده بيومين ويلطف الغذاء ويقل مقداره بعد الإسهال، والمطبوخ لا يشرب عليه ماء حار حتى يتم عمله لأنه يحركه بسرعة إن شرب عليه الماء الحار، والحب يشرب عليه الماء الحار لينحل ويعمل بسرعة، والحب الكبير طويل اللبث، فمتى أردت جذب شئ من المفاصل فلتكن صغاراً لتنفذ بسرعة، وأدخل شارب الدواء بعده بيوم الحمام فإن ضجر منه ولم يحب اللبث فيه فأخرجه واعلم أن الدواء قد بالغ فى التنقية، وإن استلذ الحمام وأحب الكون فيه فليطل فيه ليستنظف الفضلة الباقية، ولا تعط مسهلين فى يوم إذا قصر الأول فإنه ربما دفع بعنف.

من أراد القئ بالخريق الأبيض، فليأكل قبل ذلك طعاماً خفيفاً يسيراً.

إذا كانت القوة قوية، فأسهله دفعة من غير حذر، وإن كانت ضعيفة فقيئه مرات قليلاً قليلاً.

الإسهال فى البلدان الحارة أقل مقداراً من الأدوية المسهلة، وكذلك الحال فى الأسنان والأزمان وبالضد، وأحم من تريد سقيه بعد الدواء يومين وقبله يومين من الأطعمة والأشربة والجماع والتعب، ويأكل اسفيذاجاً خفيفاً، وبعد الإسهال إن كان معتدلاً فزيرباجا، وإن كان مفرطاً فنيرباجا ولا يكون لحماً غليظاً.

واسق المطبوخ فاتراً والحبوب بماء فاتر، ولا يشرب على المطبوخ ماءً فاتراً إلا بعد تمام عمله، ومتى أريد بالحب الرأس فليكن كباراً وبالضد.

وجملة إن أحببت أن يطول بقاء الحب فكبره، وإن أردته لتنقية المفاصل فصغره، وما خرج من الإسهال صافياً فهو من الأوردة والأقاصى، وما خرج من المعدة كان كدراً، وإذا أبطأ الدواء عن الإسهال فحركه بماء حار وعسل أو بماء حار وملح، وإن كان إبطاؤه فى الأمعاء السفلى فاحقن واسق الأدوية المخرجة للأخلاط اللزجة.

كتاب المسائل، ومنه: العطش الذى من بلغم مالح يعالج بالقئ والماء الساخن. والآملج يقطع العطش جداً وهو بليغ فى ذلك.

حب للعطش: بزر قثاء بستانى جزء، كثيرا نصف جزء بزر الخيار ثلثا جزء، حل الكثيرا ببياض البيض الرقيق واسحق البزور وأعجنها بماء السوسن وجففها فى الظل وتمسك تحت اللسان، وينفع منه ماء قد أنقع فيه زعرور وكمثرى وسفرجل ورمان.والكمثرى الصينى يقطع العطش والصفراء.

الأنيسون يقطع العطش، وإذا شرب ورق الباذروج وماؤه فعل ذلك، والبقلة اليمانية تقطع العطش إذا طبخت مع رمان مز وطيب بدهن لوز، وكزيرة رطبة فخاصته قطع العطش الصفراوى. السويق إذا شرب بماء وسكر قطع العطش، الكمثرى متى أكل سكن العطش، متى امتص ماء أصول السوسن قطع العطش. ورب الحصرم قاطع للعطش الصفراوى، القرع إذا أكل ولد فى المعدة بلة وقطع العطش.

استخراج: يجب أن يشرب ماء الحصرم ونحو ذلك ماء الشعير جيد لتسكين العطش.والتين الرطب يقطع العطش.

كتاب المنجح فى الصفات والعلاجات، ومنه: الحموضة على الصدر ينفع منها جلنجبين بماء حار وكذلك الوجع فى المعدة.

ينفع من النفخ والقراقر جوارش البزور، وينفع من الفواق العارض من امتلاء هذه القرصة: قسط أيارج فيقرا أصل الإذخر وفقاحه، نمام يابس، فوتنج برى، فلنجمشك، سذاب، بزر كرفس، كندر ذكر، مصطكى علك القرنفل، فطراساليون، كرويا كمون مرماحور، ملح هندى، بسباسة يعجن الجميع بماء النعنعة ويقرص كل قرص وزن مثقال ويشرب بشراب الأفسنتين والطعام دراج مطبوخ فى شراب عتيق ريحانى وميبة.

حقنة جيدة للريح وللبلغم اللزج: كمون نبطى، قنطوريون، دقيق، شحم حنظل، لباب القرطم، بزر القريص، شبت، بابونج، لوز، مر مقشر، حب الخروع، مقل، سكبينج، كرنب، سلق، جندبادستر، نانخة، أنيسون، قطران، مرى.

وينفع من إيلاوس الحار أن يحجم على ساقيه ويفصد له الصافن والباسليق ويخرج الدم قبل سقوط القوة، ممروسا وفيه دهن لوز يلزم ذلك أياماً، وليكن طعامه بقولاً بدهن لوز، وشرابه، شراب بنفسج.

إن شرب منه خمسة دراهم بماء حار أطلق القولنج وأدر الريح ويشرب بعد سحقه نعما فإنه عجيب، والكمثرى يروث الإكثار منه القولنج بخاصة فيه وكذلك الكمة تورث القولنج.

الكراث النبطى متى طبخت رؤسه مع دهن القرطم أو شيرج نفع من وجع القولنج وكذلك إذا كان مع دهن اللوز الحلو. اللوز الحلو نافع للقولنج.

الذين تسقيهم دهن الخروع ويحتاجون إلى الآبزن لا تقعدهم فيه حتى ينحدر الدهن عن معدهم لأنه يجلب غثياً فيقذفونه، وإن كانت العلة قوية فامرخ الموضع بعد الخروج من العلة بدهن قسط ونحوه وضع

عليه أضمدة محللة للرياح القوية وبدل دهن الخروج بدهن الفجل أو دهن القرطم مع دهن لوز مر.

علامة القولنج الصفراوى: قئ صفراوى وعطش دائم ولهيب، علاجه: ماء اللبلاب والخيارشنبر أو بماء ورق الخطمى، وإن أفرط فبماء الهندباء وعنب الثعلب ودهن اللوز ويطبخ فى الآبزن ببنفسج.

كناش ابن ماسويه(*)، ومنه: تفقد ما فى الاختلاف وسل عنه إن كان قد انقطع مع الخراطة اختلاف أشياء صفراء وكان بعقب دواء يخرج الصفرا فالعلة من سحج صفراوى، وكذلك لمن رأيت فى الطشت أشياء حريفة حادة ومراراً مختلفة خضراء وغير ذلك، فإن رأيت مع الخراطة خلطاً أبيضا لزجاً وكان قبله ذلك فالعلة بلغمية، وإن رأيت معها خلطاً أسودا فالعلة رديئة فتفقد حال ذلك الخلط حينئذ فإن رأيت مرة سوداء فاعلم أنه إن كان قد أزمن فإنه لا يبرأ وإن كان لم يزمن فإنه يبرأ بالأشياء المعدلة المقوية.

اسق صاحب السحج المرى الحاد لبناً مغلى حتى يغلظ ويذهب النصف مع وزن ثلاثة دراهم صمغ عربى فإنه جيد بالغ، وإذا حقنته فاطبخ تلك المياه حتى تغلظ كالعسل، وإن احتاج العليل إلى دخول الحمام فاطعمه قبل ذلك خبزاً منقعاً فى شراب قابض أو فى رب سفرجل.

والسحج يحدث إما من بلغم مالح وعلامته أن يكون فيما يختلف شئ أبيض لزج كثير وتقل معه الحرارة والعطش، وإما من مرة صفراء وعلامتها أن يكون فيما يختلف مراراً وزبد وكثرة عطش وحرارة، وإما من السوداء وعلامته أن يكون فيه شئ أسود وشديد النتن جداً.

(*) لم يذكره المؤرخون.

كتاب السدر والدوار، ومنه: إن البخار الغليظ الكثير إذا صعد إلى الرأس ولم يمكنه التنفس والتحلل منه ولد السدر وهذا البخار إما أن يتولد فى الرأس إذا كان مزاجه رطباً مولداً للبخار وإما أن يصعد عن المعدة أو بعض الأعضاء الأخرى كالساق والفخذ والكلى ونحوها فدليل السدر الذى يخص الرأس يكون إنما يتولد إذا سخن الرأس بالشمس والنار والدثار ونحوه. وإما الكائن عن المعدة فإنه يولد السدر فى مقدم الرأس خاصة، ويكون معه تهوع وغشى وتكسر، ويشتد مع الطعام ويكثر التبزق والبصاق.

وأما الذى يرتفع من عضو ما، فإنه يجد الذبيب يرتفع من ذلك العضو حتى يبلغ الرأس ثم يسدر، وهذا البخار يحدث عن جميع الأخلاط فاستخرج ما الغالب عليه من الدلائل الظاهرة والتدبير المتقدم، فإن رأيت أمارات الدم، فافصد، وإن رأيت أمارات الصفراء فاسهل.

ينفع من السدر حب البلسان مثقالين، يسقى بنقيع الصبر، أو بنقيع الإيارج، أو بنقيع الحمص، فى ثلاث أواق ماء الافسنتين وللسدر العارض من البلغم والصفراء بنقيع الصبر والافسنتين.

قال: يكون من بخار كثير يملأ الدماغ، إما يتولد فى الرأس، أو يصعد من المعدة، أو من بعض الأعضاء، فاستدل على الذى من عضو ما، أنه يجده يصعد منه أولا، ويعرف حال البدن، ثم انفض ذلك الخلط الغالب.

كتاب الماليخوليا وأسبابها وعلاماتها وعلاجها، ومنه: سقوط الشهوة فى هذه العلة رديئة، لأنها تكون من اليبس، وقلة الأكل تجفف جداً. والقرطم والسلق والحاشا يصلحوا للريع، وبالجملة لمن يحتاج أن ينقى من الخلط الأسود دائماً.

حب يخرج السوداء الخاصة، ويبرئ بقوته مرض الكلب والماليخوليا: إهليلج أسود افتيمون مثقالين، مثقالين ملح هندى نصف مثقال بسفانخ مثقال، حجارة أرمينية مثقال، غاريقون مثقال، خربق أسود مثقال، الشربة مثقالين. قال: الهليلج الكابلى نافع للسوداء. وأكل البصل إذا أكثر وأدمن، يفسد العقل ويورث النسيان.

الزم لصاحب النسيان الانقرويا كل يوم درهماً بماء حار على الريق، واجعل غذاءه لحوم الطير اليابسة الخفيفة قليلة السمن كالعصافير والشفانين والقنابر والطيهوج وشرابه ماء العسل.

كتاب الإسهال(*)، ومنه: الإسهال يكون إما من المعدة وإما من الأمعاء وإما من المقعدة، والإسهال إذا كان مع حرارة تنقع كزبرة يابسة فى خل خمر يوماً وليلة، وينقع الكمون أيضاً ثم ينقعان بعد ذلك فى رب حصرم أو مائة أو ماءرمان حامض يوماً وليلة، ويؤخذ بلوط مقلو قليلاً عشرة من كل واحد، وسماق بلا حب، يقلى قليلاً ويحذر على القلو لئلا يحترق فتضعف قواها، وسويق النبق والغبيراء والزعرور المجفف وحب الزبيب المقلو وطباشير وورد وبزر حماض، وبزر الرجلة عشرة من كل واحد، يستف ثلاثة أيام على الريق برب التفاح أو السفرجل والريباس.

يطعم قطا وشفانين وفواخت مصوصا بخل وكزبرة. لحم الدراج متى أكل مشوياً "أو مطبوخاً" نفع المعدة وعقل جداً.

سحج المعى يكون إما من المرتين، أو بلغم مالح، أو شرب أدوية معدنية، أو حريفة فاستدل على الخلط بأن تنظر ما يخرج من الإسهال فإن كان خلطاً صفراوياً أو سوداوياً أو بلغمياً فدبر كلا بما يصلح.

(*) لم يذكره المؤرخون.

وبرّد فى السحوج الكبد لئلا يخرج منها مرار إلى المعى فيكون سبباً لدوام السحج، وقوه بأن تفصد الباسليق وتضمد بالأشياء الباردة القابضة عليها.

وإذا كان سبب السحج فى أسفل المعى المستقيم وهو الزحير فقوه بالأشياء القابضة يجلس فيها أو بمراهم المرداسنج والجلنار، وإسفيذاج الرصاص، ودهن الورد، ومح البيض.

وإن رأيت ما يخرج من البطن لزجا أبيضا فعالجه بحقن الزرانيخ، وإذا رأيت الدم والمرار أغلب فلا تقربه بهذه الزرانيخ، وجملة فلا تستعمل حقن الزرانيخ إلا عند خروج الشئ اللزج الأبيض، وإن رأيت الدم أغلب فيما يخرج فمل إلى القوابض المبردة، وإذا كانت المرة أقل فإلى اللزوجة وما يجلو قليلاً ويجفف.

كتاب الأزمنة، ومنه: خاصة شحم الحنظل تنقية الدماغ وأغشيته من الرطوبات الرديئة، وخاصة الصبر تنقية المعدة والأمعاء من الثقل.

كتاب ماء الشعير لإخراج الزبل من البطن، ومنه: يؤخذ لبن الشبرم، فيقطر فى تينة يابسة سبع قطرات، ويُطعم على الريق.

كتاب فى الأغذية، ومنه: يسقى للريح الغليظة فى البطن نقيع الصبر ودهن خروع أو دهن لُوز مر ثلاثة دراهم مع ماء الأصول ونانخواه، وكاشم وأنيسون أو شخزنايا وجوارش البزور ودواء المسك ويجعل فى طعامه توابل ويشرب ماء العسل أو شرابا عتيقاً، ويدهن المعدة بدهن الناردين ويحذر المنخفة كالبقول والحبوب والكشك والسمك ويقلل شرب الماء ويشرب منه ما قد غلى حتى ذهب نصفه ويطرح فيه شئ من مصطكى.

شيافة تفش الرياح: شونيز، وج، راسن مجفف، قشور الكبر، فوتنج جندبادستر جاوشير تشيف وتحتمل الليل كله. وخاصة النانخواه ذهاب المغص الريحى. وبزر نمام البرى إذا شرب بشراب سكن الفواق.

ينفع من الفواق العارض من الامتلاء أن يقيأ بسكنجبين وماء حار قد طبخ فيه شبت وفجل وملح ويسقى بعد ذلك بيوم أيارج فيقرا مثقالا مع نصف درهم ملح بعد عجنه بشهر ويؤخذ بماء حار قد طبخ فيه نعنع ونمام وكرفس، ويلزم هذا الدواء وهو: جندبادستر وبزر كرفس جبلى من كل واحد درهم يشربان بماء الفوتنج، ويسقى أيضاً من الراوند الصينى المطبوخ فى الماء مثقالين، ويسقى مثقال من زراوند طويل بماء نعنع مدقوق معصور ثلاث أواق، ويلطف تدبيره ويطعم طيهوجاً ومخاليف الدجاج والدجاج والشفانين زيرباجاً بشبت ونعنع، ويسقى شراباً صرفاً ويدمن الحمام على الريق.

فصل حنين بن اسحاق

إن اللافت للنظر فى معظم الدراسات التى صدرت فى حنين[1] اهتمامها بإبراز جهوده فى الترجمة على حساب جهوده فى الطب، اللهم إلا بعض الدراسات القليلة مثل تحقيق ونشر كتاب "المسائل فى الطب" بمعرفة الدكتور محمد على أبو ريان وآخرين، ونشر كتاب "المسائل فى العين" بتحقيق الأب سباط، ونشر كتاب "العشر مقالات فى العين" بتحقيق ماكس مايرهوفى الذى ذكر أنه منسوب لحنين، وذلك بناءً على شهادة المستشرق بيرجشستراسر الذى قرأ النص العربى للكتاب، وقرر أن لغته ليست لغة حنين دائماً حين كتبه على مدار أكثر من ثلاثين سنة، وربما تكون صياغته النهائية قد أعدها حنين، أو كتبها جُيش بن الأعسم ابن أخت حنين، أو تلاميذ آخرين .. ومع ذلك فإن كتاب العشر مقالات فى العين قد لعب دوراً مهماً فى طب العيون العربى الإسلامى، فقد أفاد منه أعلام الكحالة العرب والمسلمين، أمثال على بن عيسى الكحال، وعمار بن على الموصلى أشهر جراحى المسلمين عبر العصور، بل أحد أهم جراحى التاريخ، وكذلك أفاد منه أصحاب أهم مؤلفين تدريسيين فى علم الكحالة العربى الإسلامى، وهما خليفة بن أبى المحاسن، وصلاح الدين بن يوسف الحموى. وفى أول كتاب فى علم الكحالة فى الإسلام كُتب بالفارسية، وهو كتاب "نور العيون" الشهير، اقتبس صاحبه أبو روح بن منصور الجرجانى "المعروف بذى اليد الذهبية" اقتباسات من "العشر مقالات فى العين"، وفى الأندلس إبان

---

(1) أنظر ترجمة حنين بن اسحاق وجهوده فى الترجمة فيما سبق من فصل الترجمة من هـذا الكتاب.

القرن السادس الهجرى نقل منه الغافقى، وكذلك فعل كل من ابن الأكفانى والشاذلى بمصر فى القرن الثامن الهجرى.

إلا أن أهم الاقتباسات وأكثرها قد جاءت فى موسوعة الحاوى فى الطب لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى، تلك الاقتباسات التى ساعدت يوليوس هيرشبرج (1843 - 1925) أستاذ طب العيون فى جامعة برلين، فى كشف زيف وجود كتاب العشر مقالات فى العين لحنين فى ترجمتين لاتينيتين مختلفتين ظهرتا فى العصور الوسطى، الأولى هى "كتاب جالينوس فى العين" نقل دميتريوس، والثانية هى "كتاب قسطنطين الإفريقى فى العين"، إذ وجد هيرشبرج أن معظم المادة العلمية لهذين الكتابين قد عثر عليها فى الترجمة اللاتينية لكتاب الحاوى منسوبة لصاحبها حنين بن اسحق، وليس لدميتريوس ولا لقسطنطين الإفريقى.

ونورد فيما يلى قطوف مؤلفات حنين الطبية الحقيقية والمجهولة والمنحولة[1].

المؤلفات الحقيقية، ومنها: كتاب الترياق، ومنه: قد يكون كزاز من التعب والنوم على الأرض اليابسة، وحمل شئ ثقيل، ولسقطة أو خراجات، أو كى، أو نار، فيعرض معه شبيه الضحك بغير إرادة، وليس به حمرة فى الوجه وعظم فى العين. وإما أن لا يبولوا أصلاً وإما أن يبولوا شبيهاً بماء الدم فيه نفاخات، ويعتقل البطن، ويعرض السهر، وكثيراً ما يسقطون من الأسرة، بسبب التمدد، وربما عرض لهم الفواق فى الابتداء ووجع الرأس، ومنهم من يعرض له الوجع فى المنكبين أيضاً

---

(1) خالد حربى، أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية، "9" حنين بن اسحق، إعادة اكتشاف لنصوص مفقودة ومجهولة، دار الوفاء، الإسكندرية2010.

والصلب، ومنهم من يعرض له الرعشة. وعلاج هؤلاء مثل علاج من يعرض له التمدد من الاستفراغ.

ومن عرض له التمدد الكزازى فافصده أولاً فى ابتداء العلة ثم ضع على تلك الأعضاء صوفاً مغموساً فى زيت عتيق أو فى دهن قثاء الحمار مع جندبادستر وأملأ إناءً عريضاً زيتاً حاراً، ويوضع على عصب العنق، ويتحجم بشرط، فإن التى بلا شرط تضر وأجعلها على العنق والفقار من الجانبين، وفى الصدر، وفى المواضع الكثيرة العضل، وتحت الشراسيف، وفى مواضع المثانة والكلى، ولا مانع من إخراج الدم ولا تخرجه فى مرة، لكن فى مرار كثيرة، وانشف العرق بصوف مبلول بزيت لئلا يعرض لصاحبه البرد، فإن دام ذلك الكزاز فادمن فأدخله آبزن زيت حار مرات فى اليوم، ولا تبطئ فيه، وتعلل أن له قوة قوية جداً.

ويسقى ماء وعسل قد طبخا حتى يذهب النصف. ويسقى جاوشير من نصف درهم إلى درهم ونصف، مع حبة كرسنة. ودرهم من الحلتيت. أو يسقى مثقال مُر بماء العسل.

وأبلغ من هذه كلها الجندبادستر تعطيه قليلاً قليلاً فى ثلاث مرات، لأن البلع يعسر عليهم، وكثيراً ما يخرج من مناخرهم ما يشربون ويضطربون لذلك، فيهيج التمدد. لذلك، فلطخ المعدة بدهن السذاب والجاوشير واحقنهم.

وأما صب الماء البارد على ما قال أبقراط، فإن فيه خطراً عظيماً ولذلك لم يذكره أحد بعد أبقراط ونحن أيضاً نتركه، ليدبروا تدبيراً لطيفاً ويتمرخوا بالأدهان اللطيفة القابضة.

كتاب اختبار أدوية العين، ومنه: أجناس أدوية العين سبعة، مسدد مغرى مملس، والثانى مفتح، والثالث جلاء، والرابع منضج،

والخامس مخدر، والسادس معفن، والسابع قابض، فالمسددة المغرية ضربان: أرضى يابس، وهى تجفف بلا لذع، وهى صالحة التجفيف والسيلان اللطيف الحار، وخاصة مع القروح، وتصلح بعد إفراغ البدن والرأس وانقطاع السيلان، لأنها تجفف تجفيفاً معتدلاً، وتمنع الرطوبة التى فى أوردة العين من النفوذ فى الطبقات، فإذا لم ينقطع السيلان، فلا ينبغى أن تستعمل، لأنها حينئذ تشدد الوجع، وذلك أن أوردة العين من كثرة ما تمتلئ وتمدد الصفاقات، فربما تآكلت وربما تخرقت، ومنفعة هذا لا يتبين إلا فى زمان طويل، إلا أنه يضطر إليها إذا كانت فى العين قرحة وتآكل فى القرنية ونتوء فى العنبية، وإذا [كانت] تسيل إليها رطوبة حريفة، فإنها تحصر وتجمع العين بشدة فتزيد فى الوجع.

والدواء الحار يزيد فى رداءة الرطوبات، ويجرى إليها، والدواء المرخى والمحلل والمنضج يفرغ هذه الرطوبات السائلة، إلا أنه لا يملأ القروح ولا يدملها ولا يقبض النتوء، وليس يصلح لمثل هذه العلة إلا الأدوية القريبة من الاعتدال وإلى البرد إلى أن تجفف تجفيفاً يسيراً ولا يلذع البتة، وهذه هى التوتيا المغسول والاسفيداج والإثمد المغسول.

أمراض ثقب العنبى أربعة، اتساعه، وضيقه، وزواله، وانخراقه، فاتساعه يكون إما طبيعياً، وإما حادثاً، والذى يحدث هو إما من امتداد يعرض فى العنبية عن ألمها فى نفسها، ويكون من يبس، وهو مرض بسيط من سوء مزاج يابس، وإما لكثرة الرطوبة البيضية وهو مرض مع مادة كالأورام، وإما ضيقها فيكون أصلياً وحادثاً.

والحادث من استرخاء العنبية، ويسترخى لعلتين إما لرطوبة تغلب على مزاجه فترخيه، وإما لقلة الرطوبة البيضية، وضيق العنبية أبدا

أحمر فى حدة البصر، وجودته إذا كان أصلياً، فأما الحادث فردىء، وخاصة إن كان عن نفصان البيضية، لأن الجليدية لا يسترها حينئذ عن النور كثير شيىء، فيضره ذلك بها، ولأنها تعد أيضاً من غذائها فيضعف ويفسد مزاجها على الأيام، وإن كان من استرخاء العنبية أيضاً فهو ردئ، لعلل قد يمكنك أن تعرفها مما تقدم.

وأما انخراق الحدقة، فيكون عرضا إذا نتأ شيىء من العنبى فى القروح، وهو يضر بالبصر، أو يتلفه على ما تقدم.

وأما انخراق العنبية، فإن كان صغيراً لم يضر، وإن كان عظيماً سالت منه الرطوبة البيضية ويذهب البصر.

من كان بعينه الرمد الحار وبثر، يجلس فى موضع قليل الضياء، ويجعل فرشه ثياباً مصبغة، ويفرش حواليه الآس والخلاف الخضر، واجمع الكحالون على أن جميع الأدوية التى تكحل بها، ينبغى أن تكون فى حد ما لا يحس دقه، وإلا انكئت العين وعظم ضررها.

وأنفع الأميال: المتين الشديد الملاسة، ويرفع الجفن، ويقلبها برفق جداً ويؤدها ويردها، فإذا أقلبها لم يتركها تستوفى فى ذاتها، لكن يردها برفق ويضع الذرور، ويرفق عند الموقين ولا يخلط بالميل فى العين، وإن كنت تريد أن تقلع البياض، فتضعه على البياض وحده وتمسك سريعاً.

كتاب المسائل والجواب فى العين، ومنه: ما بال من عظمت عيناه فجحظا عند الرمد؟ وينتو إن أكثر لعظمهما ولأن رطوباتهما أكثر. والدموع فى الرمد باردة لأنها غير منهضمة، وفى حال الصحة حارة لأنها منهضمة.

حلق الرأس ينفع الرمد، كثرة الشعر تضره إلا أن ينسبل الشعر انسبالاً كثيراً، فإنه حينئذ يفى بأن يجفف الرطوبة التى فى الرأس بجذبها إليه، فأما ما دام لم ينسبل، فإنه يملأ الرأس ولا يدعه ينتشر.

الرمد فى الصيف أكثر ولا يكون مع الحمى إلا فى الندرة، وإذا حم صاحب الرمد فى الصيف إما أن يصح وإما أن يعمى.

الفضل الحار الرقيق يعمى فى الأكثر إذا نزل فى العين ولا مغص معه، والذى فيه رمص فليس بحار ولا لطيف بل غليظ بارد وهو يؤمن من العمى وردائه القروح.

كتاب فى معرفة أوجاع المعدة وعلاجها، ومنه: أنا استعمل زبل الحمار الراعية مع بزر الحرف فى الصداع المسمى بيضة.والحماما يسكن الصداع إذا ضمد به الجبهة، وورق الحناء إذا ضمد به الجبهة مع الخل سكن الصداع، وعصارة حى العالم نافعة من الصداع إذا جعلت مع دهن ورد وطلى بها الرأس. واللفاح إذا شم جيد للصداع الذى من الصفراء والدم الحار.

فصد عرق الجبهة نافع لثقل الرأس والأوجاع المزمنة فى آخر الأمر إذا لم تكن مادة تنصب، وأما إذا كانت بعد أن تنصب فضع المحجمة على القفا إذا كان الوجع فى مقدم الرأس، وكثيراً ما تكفى المحاجم فى ذلك بلا شرط، وربما احتيج إلى شرط، وذلك يكون بعد استفراغ البدن كله، وكذلك فصد عروق الجبهة ينفع ثقل مؤخر الرأس فى حدوثها ومنتهاها، وينبغى أن يكون ذلك أيضاً بعد أن تكون قد استفرغت جميع البدن لكى لا يحدث للرأس شيئاً. ولكن ينبغى أن يكون الشراب صرفا، لأنه يبلغ ذلك الممزوج باعتدال ما يحتاج إليه.

الصداع الذى بمشاركة الرحم يكون فى اليافوخ، ويكون أكثر ذلك لورم فى الرحم حار بعقب الولادة والإسقاط، وقلة النقاء من النفاس.

الغثى من شئ ثقيل على فم المعدة أو من شئ يلذعها كما يعرض إذا صار الطعام حامضاً أو حريفاً أو من سوء هضم أو من فضول تنصب إليها من الجسم أو من لزوجات تجتمع فى المعدة، وبالجملة كل ما لا يقبل الهضم لا تحبسه المعدة وتروم لذلك دفعه.

وإذا هاج القيئ بلا شئ أكل فالسبب فى ذلك أخلاط رديئة تلذع، ويسكن ذلك بالقئ فإن كان قليلاً لا يمكن أن يقئ وبقى الغثى.وهذه الأخلاط ربما كانت مرارية وربما كانت بلغمية. وعلاج ذلك إما أن تستفرغ وإما أن تنضج إلا أن الإنضاج لا يمكن فى المرارى لأنه لا يمكن استحالته إلى صلاح أبداً بل ينقى، والإنضاج يكون بالسكون والنوم والامتناع من الطعام، وأما المرارى فإن كان غير شديد اللحوج شرب ماء الكشك أو سكنجبين أو ماء حار، وإن كان شديد اللحوج فاستفرغه بقوة فإن لم يمكن لضعف أو حمى فعدل بأغذية يصلح لها وفى الوقت الذى يصلح إلا أنه إن كان محموماً لم يمكن أن يعطى من القوية، وإن كان ضعيفاً فاقسمه فى مرات، وإن كان للحمى نوائب فاسهله فى وقت نقاء الجسم بالأرياج، فإن لم تكن حمى فلا تتخلف عنه فإنه يقلع التى قد عسر تخلصها من أغشية المعدة.

قرص يسكن الغثى إذا كان من حرارة ويسكن الوجع ويجلب النوم: بزر الورد ثمانية مثاقيل، حب الآس الأسود المنقى من بزره ثمانية عشر مثقالاً، بزربنج تسع أواق يسحق الجميع وينخل ويعجن بشراب جيد

قليلاً بقدر الحاجة وألق عليه قسباً منزوع النوى عشرة واسقه الشراب وقرصة واسق منه درهماً ونصفاً بقدر ما ترى من القلة والكثرة.

دواء ينفع من به غثى ويعسر عليه القئ: كزبرة يابسة سذاب بالسواء ويشرب مع خمر ممزوجة، وإن وجد لذعاً فاسقه ذلك مع ماء بارد.

ومن أصابته هيضة فاسقة أولاً ماء فاتراً، أو يتقيأ كل ما فى معدته، فإن عسر عليه القئ فأهجه بما يهيج به القئ، وإذا تقيأ ذلك كله يتناول أغذية مقوية للمعدة وأمزجها بدهن ناردين ولطف بعد انصرافه غذاءه أياماً.

العطش يكون من سوء مزاج حار فى المعدة والرئة والكبد ومن أخلاط مالحة فى المعدة أو مرارية، وربما حدث من رطوبات فى المعدة شبيهة بالغليان فتحدث العطش، وأكثر الأعضاء إحداثاً للعطش فم المعدة ثم سائر المعدة ثم المرئ ثم الرئة ثم الكبد ثم المعى الصائم، وأما العطش الخفيف فسببه يبس المواضع التى تخرج منها الرطوبة من الفم من وعلاجها: النوم وما يرطب باطن الجسم، وأما حرارة تلك المواضع فعلاجه: اليقظة لأنها تنفش وتحلل وقد يصيب ناساً عطش إذا ناموا من أجل حرارة ما يتناولونه من الأطعمة والأشربة، وشفاؤه: شرب الأشياء البادرة.

كتاب فى حفظ الأسنان واللثة، ومنه: ينبغى لمن أراد أن يبقى صحة أسنانه ولثته أن يحذر فساد الطعام فى معدته ويحذر كثرة القيئ ولا سيما الحامض منه ومضغ الأشياء الصلبة والعلكة كالناطف والتين، وكثرة الأشياء الصلبة مثل الجوز والبلوط، فإن هذه كلها إذا صلبت تزعزعت أصول الأسنان حتى إنها تتحرك وتقلع وتحدث فيها ضروب من

الأمـراض، ويجتنـب كـل مـا يضـرس مثـل الحصـرم وحمـاض الأتـرج، والمركب من الحامض والقابض.

ويحـذر علـى الأسـنان الشـئ المفـرد البرودة كـالثلج والفواكـه المبردة ولا سيما بعد تناول الشيء الحار ويحذر أيضاً ما يبقى بين الأسنان من الطعـام وينقيهـا بجهـده مـن غير إزعـاج للأسـنان ولا نكايـة اللثة لأن إدمان الخلال والعبث به ينكى اللثة، فمن اجتنب هـذه بقيت لـه سـلامة أسنانه ولثته، فإن أراد أن يستظهر فليستعمل السنونات.

وأجود السنون ما كانت معه قوة مجففة باعتدال، ولا يكـون لـه إسخان ولا تبريد ظاهر لأن التجفيف من أوفق الأشياء للأسنان إذا كان طباعها يابساً وقوتها وصلابتها باليبس، ولأنه قد ينالها شيء من الرطوبة المنحدرة من الرأس والمتصعدة من الرئة والمعدة مع ما تكتسبه من رطوبة الأشربة والأطعمة فتسترخى لذلك كثيراً وتحتاج هى واللثة إلى تجفيف.

فأما الإسخان والتبريد فلا يحتاج إليه إلا فـى النـدرة وعنـد زوالها عـن طباعهـا زوالاً شـديداً، وذلـك أنهـا متـى مالـت إلى البـرد فينبغـى أن يكـون فـى السـنون قـوة إسـخان وبالضـد، فهـذا مـا يسـتعمل مـن السـنون لحفظ الصحة وقد تستعمل سنونات للزينة، إما لجـلاء الأوسـاخ أو الحفـر أو التبييض، أو لشدة اللثة.

فجميـع الأدويـة التـى تصلـح للأسـنان ينبغـى أن يكـون معهـا قـوة تجفيف كما قلت، إلا أنه لم تكن الأسنان قد مالت عن طباعها فليس يحتاج فى حفظها إلا إلى التجفيف فقط، فأما إذا كانت قد حدثت بها آفة، فيحتاج أن يكون مع التجفيف مضادة لتلك الآفة بحسب قوتها. فأمـا الأدويـة التـى تجفـف بـلا حـر ولا بـرد فجـوز الـدلب ولحـاء شـجرة الصنوبر وقرن الأيل المحرق ونحوها.

والأسنان وإن كانت عظاماً يقبل الفضل، ويستدل على ذلك بأنك ربما رأيت الضرس قد أسود ونفذ السواد فى بدنه كله، وأيضاً فإنك تجدها تنمى دائماً، ويستدل على ذلك أنه إذا سقط ضرس، طال المحاذى له، لأنه لعدم احتكاكه بالذى سقط فبان نموه، والنمو لا يكون إلا لأن الغذاء يداخل جرمها ثم يتشبه به.

وإذا كانت الأسنان مما تغتذى وتنمى فإنه قد يعرض لها المرض الكائن من كثرة انصباب الغذاء إليها فيعرض لها أن تدق وتجف حتى يتحرك فى أواريها كما يعرض للشيوخ، والأول يحتاج إلى ما يحتاج إليه سائر الأورام التى ما يدفع عنها بتقويته وتشديده لها، وبما يحلل ويفنى ما حصل فيها بإسخانه وتجفيفه إياها.

وينبغى أن يكون غرضك فى التسديد والمنع فى أول الوجع، فإذا رأيت فى اللثة والفم والرأس كله أمارات الحرارة فالأدوية المحللة فى آخر الأمر، وأما تحرك الأسنان فى أواريها العارض من الشيخوخة فلاعلاج له إلا شد اللثة بالقابضات، فإنه متى قبضت اللثة أمسكتها بعض الإمساك.

وقد يعرض التحرك للأسنان من ضربة أو من رطوبة كثيرة تبل العصب المتصل بأصله ويرخيه، وعند ذلك يحتاج إلى أربعة أصناف من الأدوية مجففة مثل قرن الأيل، وبعر المعز والبرشياوشان، والتوتيا ونحوها، ومحللة مع تجفيف مثل المر والسذاب، والقطران والزفت وخل العنصل، وقابضة مع تجفيف مثل العفص والشب والحصرم، وما يحلل مع قبض مثل المصطكى، والسنبل، والساذج، والزعفران والملح.

كتاب فى إصلاح اللثة واللسان[1]، ومنه: ينبغى لمن يريد أن تدوم سلامة أسنانه أن يحذر فساد الطعام فى معدته والإلحاح على القيئ، وخاصة إن كان ما بقى حامضًا فإن ذلك مفسد للأسنان، وإن تقيأ فليغسل الأسنان واللثة بعد ذلك بما يدفع ذلك الضرر، واجتناب إدمان مضغ الأشياء العلكة واليابسة، فإن هذه ربما كسرتها، وربما أذهبت أصولها.

ويحذر عليها الشئ المفرط البرودة، وخاصة بعقب تناول الطعام الحار ويحذر عليها أيضاً الأطعمة السريعة العفونة مثل الألبان والأجبان والمالح والصحناه، وإن أكل أحسن غسلها منه، ويحذر ما يبقى بينها فيها من الطعام، فإنه يكون سبباً للعفونة فإن تجتنب هذه تديم سلامتها إذا كانت جيدة من الأصل، فإن أحببت الاستظهار استعمل السنونات.

أجود السنونات ما جفف تجفيفاً متوسطاً ولم يسخن ولم يبرد لأن التجفيف موافق للأسنان المتآكلة طباعها لها، وكذلك اللثة فإنما تحتاج إلى التجفيف دائماً، فأما الإسخان والتبريد فلا تحتاج الأسنان إليه إلا عند خروجها من طباعها، فمتى دامت على حال صحتها فالسنون لا ينبغى أن يكون مسخناً ولا مبرداً، فإذا زالت، زيد فى إسخانها أو تبريدها بقدر ما يحتاج إليه.

وإن كان فى اللثة فضل رطوبة فزد فى السنون ما يحلل، ومتى كان قد نال الأسنان برد من طعام بارد فاستعمل الأدوية الحارة مثل الصعتر والسذاب فى المضغ والسنون.

للأسنان التى قد بردت: يؤخذ من الأبهل، وقشور أصل الكبر، والعاقر قرحا بالسوية فيدلك بها الأسنان، ومتى أردت إنبات اللحم فى

---

[1] لم يذكره المؤرخون.

اللثة فاطرح فى السنون أيرسا ودقيق الكرسنة والشعيرة ونحوه فإن هذه تنبت لحم اللثة، ومتى كانت مائلة إلى الحمرة والرطوبة فاستعمل القوابض كالجلنار والعفص والشب والمياه الباردة والقابضة للثة، وفى أول فسادها الدنك الخفيف بالفلتفيون، وإذا كثر الدم فيها فالتحليل والدلك بعد التحليل بالقوابض الباردة كالورد وبزره والكافور والصندل لئلا ترم. وإذا كانت فاسدة فيكوى ما فسد منها حتى يسعط، ثم يعالج بعد ذلك بما ينبت اللحم حتى تلتأم اللثة وترجع إن شاء الله.

وجملة ما يستعمل فى الفم من السنونات والمضامض ترجع إلى سبعة أنواع، إما يبرد فقط ولا يقبض قبضاً شديداً مثل: بزر الورد، وبزر الخس، والكافور، والصندل، والأفيون القليل، والعدس المقشر ونحو ذلك وهذه تستعمل عند ابتداء حرارة. وإما ما يقبض قبضاً قوياً ولا يبرد ولا يسخن مثل العظام المحرقة، والأكلاس، والآجر ونحو ذلك. وأما ما يقبض ويسخن مثل: الأبهل، والسرو، والسعد، وأخلاط الأشياء الحارة مثل الصعتر وقشر الكبر بالسنونات القابضة. وأما ما يقبض بقوة ويبرد مع ذلك مثل: السماق والجلنار والعفص وأخلاط الأفيون القليل. وإما ما يحرق ويكوى وهو يستعمل عند فساد اللثة والأسنان مثل: الفلتفيون. وإما ما يجلو فقط مثل: القيصوم، والسنبازج، والآجر، والخزف، فجميع السنونات من هذه الأجناس السبع متى كان الوجع فى اللثة إذا غمزت عليها أو يحس العليل الوجع فى اللثة فلا يقلع الأسنان فى تلك الحالة فإنه يزيد الوجع، فأما متى كان فى أصل الأسنان فإنه يخف به الوجع إذا قلع وتصل الأدوية إليه إذا عولج فيكون أبلغ.

وينبغي أن يحذر السنون الحار والخشن لأنه يضر بالموضع الدقيق من اللثة الذى يتصل بالأسنان فيكون شيئاً لا يبرئ منه فى طول المدة.

ومما يمنع من تولد الحفر أن يغسل الأسنان نعما بما يجفف بخرقة ويدهن فى الشتاء أو عند غلبة البرد بدهن البان إذا أردت النوم، وأما فى الصيف وغلبة الحر فبدهن الورد ظاهرها وباطنها.

وأما اللثة فقد يعرض فيها الوجع عند الورم يحدث فيها، ويسكنه أن يأخذ دهن ورد خالص مقدار ثلاث أواق، مصطكى ثلاثة دراهم، يسحق المصطكى ويلقى فى الدهن ويغلى ثم يترك حتى يفتر ويتضمض به، وقد يسكن هذا الدواء الوجع العارض من ورم سائر أجزاء الفم لأنه يدفع الفضل دفعا رقيقا من غير أن يحس، كما تفعل الأدوية القوية القبض ويحلل أيضا خمر غير لذع، وقد يعرض للثة رطوبة حتى تسترخى، ومما يجفف ذلك ويشد اللثة أن يطبخ جلنار بخل ويتمضمض به، أو يطلى عليها شب يمانى بالعسل والملح.

كتاب الأقراباذين[1]، ومنه: للصداع المزمن العتيق والشقيقة: فلفل أبيض، وزعفران درهمان من كل واحد، فريبون درهم، خرء الحمام البرية درهم ونصف، يعجن الجميع بخل وتطلى به الجبهة.

للطنين فى الأذن: دهن السوسن يخلط معه قليل ماء السذاب، أو دهن اللوز المر وخل خمر ويقطر.والكبريت إذا خلط بالخمر والعسل، ولطخ على شدخ الأذن أبرءه. وماء الكراث إذا خلط بخل خمر وكندر ولبن أو دهن ورد، وقطر فى الأذن فإنه يسكن وجعها ودويها وطنينها.

([1]) لم يذكره المؤرخون.

سنون يقطع الدم المفرط الخارج من اللثة: ثمر الطرفا، سك من كل واحد ثلاثة دراهم، عصارة لحية التيس، طين أرمنى من كل واحد درهم، دار صينى نصف درهم، أبهل درهم يدلك به.وتعالج عفونة اللثة بحسك يابس مسحوق بماء العسل، أو بالأبهل.

للسمنة: توذرى خشخاش أبيض من كل واحد درهمان، بورق جزء، جوز جندم جب الصنوبر ثلاثة ثلاثة، حب السمنة أربعة، سورنجان بزربنج عاقر قرحا خولنجان بهمن أبيض من كل واحد درهم، كسيلا خمسة دراهم، حنطة بيضاء محكوك، لبن البقر، تنقع الحنطة باللبن حتى يربو ثم يجفف فى الظل ويقلى ويخلط الجميع ويلقى عليه سمن البقر عشر مغارف ويخلط نعما ويسقى كل يوم عشرة دراهم بالغداة وعشرة بالعشى ويشرب بعده لبنا.

المهزولون إذا حموا فاعطهم سويق الرمان ونحوه لترجع إليهم شهواتهم ولا تسخنهم بالدثار بل يكون ما يلقاه أملس، واختر لهم هواءً رطباً، فإن ذلك صالح لهم، وأدخلهم الأبزن المعتدل، وإذا خرجوا منه سكنوا ساعة واستلقوا على فرش وطئه حتى يسكن عنهم الحر، ثم ليأكلوا، وليأكلوا فى اليوم مرات قليلاً قليلاً وامنع أبدانهم من التحلل الخفى بالهواء البارد.

كتاب فى تدبير الأصحاء بالمطعم والمشرب، ومنه: الأطعمة الحامضة إن صادفت فى المعدة خلطا قطعته فأسهلته، وإن صادفتها تقيئه أمسكت البطن فلذلك السكنجبين وماء الرمان الحامض، ربما لينا.

الأطعمة تضر بالمعدة على جهات إما أن تلذعها بحدتها كما يفعل البورق، أو تلطخها بلزوجتها كما يفعل اللعاب والبقول اللزجة، أو ترخيها بدهنها كما تفعل الأطعمة الدسمة فهذه ضارة لجوهر المعدة.

كتاب تدبير الناقه، ومنه: من نحف بدنه لجوع طويل أو سفر فيمكنك أن تغذوه من أول الأمر بالأغذية الغليظة، لأن أعضاء هؤلاء الأصلية وقواهم بحالها، ولم يبعد عن حالها كبير بعد، وإنما نقص منهم الشحم واللحم، وأما الناقهون، فلأن قواهم ضعيفة لا يهضمون الغليظ.

فى تدبير من غلب على بدنه الحار واليابس، قال جالينوس فى الذبول: إنه لولا التدبير بالآبزن والمروخ لما كان إلى شفاء الدق (السل) سبيل.

كتاب الحمام، ومنه: إن أصحاب الشوصة ينتفعون بالحمام بأن يسكن الوجع ويسهل النفث، وانتفاع أصحاب ذات الرئة أكثر، وذلك أنه يسهل النفث جداً.

واعتمد فى سهولة النفث على الترطيب، وافصد له، لأن الذى ينفث إن كان شديد اليبس يرتفع إلا بسعال شديد يخاف أن يخرق بعصر الأوعية.

كتاب فى تشريح آلات الغذاء، ومنه: الأدوية المقيئة القوية تستعمل حيث يحتاج إلى إزعاج خلط من أطراف البدن لا تقدر المسهلة على جذبه، لأن هذه مفرطة القوة مزعجة للقوى إلى دفع ما فى أقاصى البدن.

جعل الله اجتذاب المرار فى الصبر والسقمونيا، واجتذاب السوداء فى الأفتيمون والخربق الأسود والبسبائج، واجتذاب البلغم فى شحم الحنظل والقنطوريون والغاريقون، واجتذاب المائية فى المازريون وتوبال

النحاس والقاقلى وإيارج وغاريقون نصف، ملح دانقان حجارة لازورد قد غسلت مرات، وإلا هيج القئ بربع درهم يدق وينخل ويشرب بالليل.

المؤلفات المنحولة، ومنها : كتاب اختيار الأدوية، ومنه: دواء ينفع من الرطوبة والقروح التى تكون فى آذان الصبيان: يؤخذ مرهم الاسفيداج، ومرهم باسليقون بالسوية فاخطلهما، وعالج به فإنه امتحن فوجد نافعاً، وأيضاً للأذن المتقيحة، خبث الحديد وحضض مسحوقين، ينقع بخل خمر ثقيف ويقطر منه فى الأذن فينتفع به جداً. :

دواء يفتح سدد الأنف بقوة عظيمة، ينقع الشونيز فى خل ثقيف يوماً وليلة، ثم يخرج ويسحق مع زبيب عتيق ويقطر منه فى الأنف، ويجتذب الهواء ما أمكنه فإنه جيد إن شاء الله.

ما يشرب لتشنج العصب من خلف، أصل الفطر عشرون درهما يطبخ برطلين ماء حتى يبقى الثلث، ويصفى ويؤخذ منه قدر ثلاث أواق يفتر ويصب عليه درهمان دهن لوز حلو ويشرب.

شراب ينفع من تشنج العصب الرطب: يؤخذ عود بلسان عشرة دراهم يصب عليه رطلان ماء ويطبخ حتى يبقى الثلث، ويصفى ويؤخذ منه كل يوم ثلاث أواق مع درهمين دهن لوز حلو إن شاء الله.

أو يؤخذ فوتنج عشرة دراهم فيطبخ برطلين ماء حتى يبقى رطل، ثم يصفى ويلقى عليه نصف رطل سكر ومثله عسل، ويطبخ وتؤخذ رغوته ويسقى كل يوم بماء الجلاب.

يقلع الجرب البتة زنجار درهم، اسفيداج نصف درهم، أشق مثله، ينقع الأشق بماء السذاب، ويعجن به ويجعل شيافاً.

أخف أنواع الجرب، يعرض فى بطن الجفن حمرة وخشونة قليلة. والثانى خشونة أكثر ومعه وجع وثقل، وكلاهما يحدثان فى العين

رطوبة. والثالث يرى فيه إذا قلبته شقوق. والرابع أطول مدة من هذا وأصلب، ومع خشونته صلابة شديدة.

الجساء: هو صلابة تعرض فى العين كلها، وخاصة فى الأجفان وتعسر لذلك حركة العين والأجفان فى وقت الانتباه من النوم، وربما عرض معه وجع وحمرة، وتجف الأجفان والعين جفوفاً شديداً، ولا تتقلب الأجفان لصلابتها.

مطبوخ قوى للسوداء: هليلج أسود خمسة عشر درهماً هليلج كابلى عشرة، سنا شاهترج سبعة، أسطوخودوس وبسبائج وتربد محكوك أربعة أربعة، ساذج هندى ثلاثة، بزر الفلنجمشك وبزر الباذرنجويه درهم، أفتيمون حديث يطبخ بأربعة أرطال من ماء حتى يبقى رطل ونصف ثم ينزل عن النار ويطرح عليه الأفتيمون ويترك إلى أن يبقى من الليل الثلث، ويؤخذ من ذلك الطبيخ بعد التصفية عشر أواق ويؤخذ ثلثا درهم.

كتاب البصر الجموع فى العين، ومنه: أفضل ما عولجت به الحكة التى لا حمرة معها، الحمام والدهن على الرأس والأدوية المضادة.

هذا أجود ما يكون للجرب، يقلب الجفن ويذر عليه عفص قد يجعل مثل الهبأ بلا ماء، ثم يذر عليه منه، ويحتاج أن يبقى مقلوباً ساعتين أو ثلاثة، والأجود أن ينام عليه، فإنه يقلع أصله البتة، ولا يقبل بعد ذلك، والدمعة تكون لنقصان اللحمة التى فى المؤق الأكبر.

ويكون من إفراط المتطببين فى علاج قطع الغدة وهى هذه اللحمة إذا عظمت، وإما الإلحاح على علاج الظفرة بالقطع والأدوية الحادة.

سيلان الرطوبات إلى العين يكون إما من فوق القحف وإما من تحته، والذى من فوق القحف علامته امتداد عروق الجبهة والصدغين، [ينفع] منها بط وطلى الجبهة بما يقبض، وإن لم تظهر هذه العلامات، وطال مكث السيلان مع عطاس كثير، فإن السيلان تحت القحف.

علاج السيلان إن كانت اللحمة التى على ثقب المؤق تنبت، وإن كانت نقصت، فإنها تنبت بالأدوية التى تنبت اللحم وتقبض، كالمتخذة بالزعفران والماميثا والصمغ والشراب والشب.

وأما اللزوجات التى تلزق على الجبهة فتتخذ من الأشياء التى تلزق وتدبق بالموضع وتجففه، ومن التى تقبضه وتبرده، بمنزلة غبار الرحى، ودقاق الكندر، ومر، أو أقاقيا، وأفيون، وبياض البيض، ولزوجة الأصداف البرية، فهى نافعة للرطوبات التى تسيل إلى العين من خارج القحف.

سيلان الرطوبات إلى العين يكون إما من فوق القحف وإما من تحته، والذى من فوق القحف علامته امتداد عروق الجبهة والصدغين.

قد قالت الأوائل لا شئ أضر بالعين الصحيحة، وهى بالوجعة أشد إضراراً، من دوام يبس البطن، والنظر إلى الأشياء المضيئة، والانكباب على قراءة الخط الدقيق، وإفراط الجماع، وإدمان الخل والمالح والسمك، والنوم بعقب الامتلاء من الأكل الكثير، لأنه يملأ الرأس كثيراً، فلا ينبغى لمن كانت بعينه علة أن ينام بعقيب الطعام حتى ينهضم هضماً جيداً.

فصل اسحاق بن حنين

ابن حنين بن اسحق، تتلمذ على أبيه فى جو مشبع بالعلم وممارسته. ووعى الابن درس الأب، فشب ممارساً جيداً للعلم، حتى لحق بأبيه (الأستاذ) فى الترجمة والنقل، على ما يذكره صاحب العيون[1] من أن إسحاق "كان يلحق بأبيه فى النقل وفى معرفته باللغات وفصاحتها، إلا أن نقله للكتب الطبية قليل جداً بالنسبة إلى ما يوجد من كثرة نقله من كتب أرسطو".

يشير هذا النص إلى ميزة هامة فى تقاليد أسرة حنين بن اسحق العلمية، ألا وهى تنوع التخصصات فى ممارسة العلم، فالمشهور عن مدرسة حنين أنها تخصصت فى ترجمة ونقل الكتب الطبية، إلا أن ما ترجمه إسحاق بن حنين من كتب الفلسفة والمنطق – فضلاً عن ترجماته الطبية ومؤلفاته الشخصية – يضفى على هذه المدرسة معناً من التنوع والثراء العلمى والفكرى[2].

وتعد مؤلفات اسحق بن حنين الشخصية، لبنة أساسية فى بناء مدرسة حنين بن اسحق، ومنها[3]: كتاب الأدوية الموجودة بكل مكان – كتاب إصلاح الأدوية المسهلة – اختصار كتاب إقليدس– كتاب المقولات – كتاب فى النبض على جهة التقسيم – كتاب آداب الفلاسفة ونوادرهم – مقالة فى التوحيد.

---

(1) ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص247.

(2) من أهم الكتابات الفلسفية الأرسطية التى ترجمها إسحاق بن حنين: كتاب الأخلاق، وكتاب الكون والفساد، وكتاب النفس، وكتاب أنالوطيقا، وكتاب الطوبيقا، وكتاب بارى أرميناس، ومقالة اللام ... وغيرها.

(3) النديم، الفهرست، طبعة القاهرة القديمة، ص282.

ساهم اسحق، متأثراً بأبيه فى التأليف الطبى، وإن كان إسهامه ليس فى حجم إسهام أبيه، فكتب فى قوى الدماغ وأمراضه، وطب العيون (الكحالة)، وأمراض الأذن والأنف والفم والأسنان واللثة، وأمراض الحلق والمرئ والرئة والمعدة، والكبد، وبالجملة كتب اسحق فى الأمراض التى يمكن أن تصيب الإنسان من الرأس إلى القدم، وقدم لها العلاجات المناسبة.

وتعد كتابات اسحق بن حنين من الكتابات الطبية العربية المهمة فى فترة مبكرة من تاريخ الطب العربى الإسلامى، وليس أدل على ذلك من أن معلوماته جاءت مفيدة للاحقين من أجيال العلماء، فنقلوا منها فى مؤلفاتهم، لاسيما الرازى الذى أقر كثيراً من معارف اسحق بن حنين، ودوّنها فى موسوعته "الحاوى" فحفظها من الضياع. ومنها مايلى[1]:

استدل على الورم فى الدماغ الحادث بالصبيان بأن مقدم الرأس ينخفض ويتطامن ، فينبغى أن يجعل على الرأس جرادة القرع أو قشور البطيخ ، أو ماء بقلة ، وعنب الثعلب ودهن الورد.

للصداع الحادث من احتراق يعالج بالأدهان الباردة كدهن الناردين ونحوه ، والذى سببه خلط فى فم المعدة فبالقيئ ، إن لم يعسر عليه ، فإن عسر فلا تقيئه ، لكن أسهله بماء نقع فيه افستين، وإن كان قد شربته طبقات المعده فبالإيارج.

إذا حدث فى العين ورم وضربان فاقتصر بالعليل على الذرورات ، ومره بالسكون وترك الحركة بتة ، ويجعل فى نومه رأسه مرتفعا ، ولا ينظر إلى الضوء ، ولا يصيح ، واعمز يديه ورجليه ، وأكثر من

([1]) الرازى وتحقيق خالد حربى، الحاوى فى الطب.

دلكهما ، وشدهما أيضاً <شدا> وحلهابعد ذلك ، واجعل على عينه ورق البنفسج الطرى أو لبن جارية ، حُلب من ساعته مع دهن ورد ، وبل به قطنة ورفدها به من خارج ، فإن كان ما يسيل من العين مالحا فقطر فيه لبنا أو بياض البيض ، ولفها من الرمص برفق ، وإن اشتد الوجع ، فخذ ورداً يابساً أربعة مثاقيل ، وزعفران مثقال ، يسحق ويعجن بماء طبيخ إكليل الملك وضمد به ، <و> هذا يكون فى أول الأمر إلى أن يحضر الكحال.

إذا حدث فى الأذن الوجع من مادة حريفة حادة ، فصب فيها دهن ورد فاتر ودعه ساعة وصبه ونشفه وأعد عليه ، أو بياض البيض الرقيق مفتراً أو لبن جارية ، وإن كان فيها ورم ، فأدف قليلاً من مرهم باسليقون مع دهن الورد وقطر فيها ، وإن كان الورم من برد أو ريح باردة ، فقطر فيها دهن الناردين ، أو بل قطنة بخل خمر وبورق فاجعله فى الأذن ، وإن سال منها مدة ، قطر فيها ماميثا مدافاً بخل خمر .

وإذا انتهى الوجع وقد انحط ، فضمده بدقيق شعير وإكليل الملك مطبوخ بعقيد العنب ، وقد يقطر فيه عصارة عنب الثعلب أو دهن اللوز المروالمرارات ، وأصلحها مرارة الماعز والبقر والخنزير والقبج ، واخلط معها دهن ورد أو لوز أو لبن . قال : والبول أقوى شئ فى تسكين وجع الأذن ، ويسكن الفلغمونى ويقطع ما يسيل منه بسرعة وقوة ، فليستعمل على ذلك .

للقروح فى الأذن : عدس مقشر وآس يابس ، واقماع الرمان وعفص فج وثمر عوسج ، يطبخ بماء حتى يقوى ، ثم يغسل به الأذن مرات ثم يجعل فيه شياف أبيض مدافاً بلبن جارية .

للرعاف يطلى على الجبهة طين أو خزف محكوك قد سحق برطوبة بعض الأدوية الباردة ، ويدخل فى المنخرين فتيلة قد لوثت فى كندر مسحوق قد بل قبل ذلك بماء الكراث ، وشد بعضدين والساقين وصب الماء البارد على الرأس والماورد .

إذا تآكل الضرس فاسحق الشونيز بخل ثقيف واحش به أكاله، وإن كان وجعه من برد فامضغ عليه العاقرقرحا والميويزج، ويمضمض بسكنجبين أو ماء عسل قد طبخ فيه زوفا وفوتنج برى، وإن كان من حر فماء الورد وماء السماق والخل موافق له، وإن كان يجد فى الأسنان برداً شديداً فليجعل عليه ورق الغار وحبه مسحوقين بالسوية.

إن نشب فى الحلق شوك فخذ لحماً فشرحه وشد فيه خيطا وثيقا ، ومره أن يبتلعه ، ثم اجذبه فإن لم يخرج فأعده مرات وأعطه جوف الخبز اللين يبلعه والتين اليابس بعد المضغ قليلاً وغرغره بميفختج قد طبخ فيه تين وخلط به جميز ، وربما خرج بالقئ ، وإن كان صلباً كالنواة والحجر ، فاضربه ضربة على قفاه فإنه يندر .

فى علاج قرحة الرئة مع حمى، قال: تسكن الحمى مرة بالتطفئة والتبريد والترطيب، وأخرى بتجفيف القرحة، واعلم أن القرحة الحادثة من التآكل لا تبرأ؛ لأن مثل هذه القرحة تحتاج إلى مدة طويلة فى برئها، وفى هذه المدة إما أن يكون بتعفن ويتصلب فتتآكل الرئة كلها، وإما أن وقت التآكل جفت الرئة وصلبت وصارت فى حد ما لا يمكن أن تلتحم.

واعلم أن القرحة الحادثة من آكال إن لم تتدراك سريعاً ابتداءً، آلت إلى ما ذكرنا من السل فإذا كان كذلك أعنى إذا لم يعالج التى عن آكالها سريعاً، فاقبل عليها بما تجففها ما أمكن لئلا تتآكل الرئة

كلها.

وأما من حدث به السل من قرحة فجفف ما أمكن بالأدوية، وبالضماد يضمد الصدر بالصبر والمر والأقاقيا وجوز السرو والرامك والكهرباء ورماد كرنب، وأدهنه بدهن آسن أو بدهن ورد، وإذا كانت حرارة فورق الخلاف والطرفا والورد والصندل.

إن حمض الطعام فى المعدة فاعطه عند النوم من هذا الدواء: فلفل أبيض درهم، بزر شبت كمون ربع ربع درهم، فلفل أحمر منزوع الأقماع نصف درهم يسحق <الجميع> وينخل بحريرة، الشربة نصف درهم بشراب ممزوج.

فإن كانت المعدة باردة وكان يتولد فيها بلغم غليظ سقى السكنجبين على هذه الصفة: يكون كثير الأصول مع صبر ويكون الخل والماء رطلاً والأصول نصف رطل يطبخ ويلقى بعد ذلك لكل جزء جزء من عسل ويطبخ ويجعل فيه من الصبر ثلاث أواق، هذا نافع للمشايخ والبلغم الغليظ.

ومن فسد الطعام فى معدته ولم تدفعه الطبيعة فاسقه كموناً على قدر احتماله فإن كان الطعام يفسد كثيراً فى معدته فاسقه على الريق بعض الأشربة الحلوة كالجلاب والفقاع بالعسل وماء العسل وفيه بهاء، ثم انفضه أيضاً بإيارج فيقرا.

دواء للفواق البارد الحادث عن امتلاء: بصل الفار أوقيتان بزر الرازيانج بزر الكرفس نانخواه زنجبيل عاقرقرحا زوفا يابس سنبل رومى سذاب كاشم فوتنج جرف جعدة قسط مر وحلو وأسارون حماما سنبل الطيب من كل واحد أوقية يلقى فى عشرة أرطال من خل ويسقى منه بعد أسبوع جرعتين أو ثلاثا.

إذا كان القئ من أخلاط غليظة لحجت فى المعدة فلطف بسكنجبين قد أنقع فيه فجل ، وبالفجل والعسل وقيئه ، وينفع حب الأيارج ، فإن كان فضل رقيق فبالسكنجبين فإنه يفى بتنقيته ، وإن كان من مرار أصفر فالقئ جيد ويسكن بماء الرمان وسويق التفاح والرمان وهذا الشراب: ماء رمان مز رطل ، ماء نعنع ربع رطل سكر ثلث رطل يطبخ حتى يصير له قوام ويسقى منه فإنه يقوى المعدة ويذهب بالقئ

يحل النفخ فى المعدة بالتكميد بالجاورس ويسقى طبيخ الفودنج النهرى مع عسل، وإن كان ذلك لبرد المعدة فالشراب الصرف نافع بعد تناول شئ يسير من طعام وينام بعد الشراب، ومما يحلل الرياح الكمون إذا قلى ويشرب بشراب ممزوج، وبزر الرازيانج والكرفس الجبلى والأنيسون وإن طبخت فى الدهن ومرخ به البطن،وطبيخ السذاب والشونيز بالدهن ينطل على البطن.

وإذا كان الوجع شديد فبالحقن من التى تطبخ فيها البزور المحللة للرياح، ومتى أردته أقوى فاجعل فيه الجندبادستر وأطعمه من القنابر إسفيذباجاً بشبت وملح وكراث نبطى، وإن كان الوجع ليس بالشديد فهو فضل غليظ لزج بارد فإيارج مع غاريقون وبناست ومقل اليهود وماء الأصول أو دهن الخروع والحقن بالأدوية التى يقع فيها السكبينج والجوشير.

شرب الماء الكثير دفعة بعقب الحمام والرياضة يورث الحبن، وأكل الأشياء الحلوة والحامضة واللزجة تهيج جميع الأحشاء وتولد سدداً ، ولا يجب أن يدهن لأنه يرخى الأحشاء.

إذا حدث فى الكبد ورم حار تبعه لا محالة حمى فانظر فإن كان السن والزمان ممكناً فافصد الباسليق الإبطى من الأيمن وألزمه

سكنجبيناً وماء شعير وحرك الطبيعة باللبلاب ونحوه، ويستعمل أيضاً الحقن اللينة، فإن كان فى الكبد وجع من غير حمى فإن ذلك من أجل سدد لازمة فاستعمل ماء الأصلين واجعل فيه شيئاً من أسارون وسنبل رومى وفقاح الإذخر وبطراساليون وحرك البطن بطبيخ الأفتيمون والبسابائج والزوفان ومما يفتح السدد ويقوى الكبد : حشيش الغافت وعصارته وضمد الكبد الحارة بالباردة كالصندلين والنيلوفر وبنفسج وشعير.

فصل الرازى

يعد أبو بكر محمد بن زكريا الرازى (250- 313هـ / 864- 925م) خير ممثل لبداية وازدهار مرحلة الإبداع والابتكار من تاريخ الطب العربى الإسلامى . وذلك إنما يرجع إلى الإنجازات الطبية والعلاجية، والبحثية، والتعليمية التى أبدعها، وأفادت منها الإنسانية جمعاء .

ولقد انتهيت فى دراسات[1] وتحقيقات[2] وترجمات[3] سابقة إلى أن الرازى أبرز أطباء الحضارة الإسلامية ، وطبيب المسلمين بدون منازع

---

(1) أبو بكر الرازى حجة الطب فى العالم منذ زمانه وحتى العصر الحديث ، ط الأولى ، دار ملتقى الفكر ،الإسكندرية 1999، ط الثانية دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.

(2) أ- بُرء ساعة للرازى ، ط الأولى دار ملتقى الفكر، الإسكندرية 1999 ، ط الثانية، دار الوفاء 2006.

ب- سر صناعة الطب للرازى ، ط الأولى دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية 2002 ، ط الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.

جـ- كتاب التجارب للرازى ، ط الأولى دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية 2002، ط الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.

د- جراب المجربات وخزانة الأطباء للرازى، ط الأولى دار الثقافة العلمية، الإسكندرية 2002 ، ط الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.

هـ- مقالة فى النقرس للرازى ، ط الأولى دار الوفاء ،الإسكندرية 2005 ، الطبعة الثانية ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2010.

و- كتاب فى علاج الأمراض بالأغذية والأدوية المشهورة الموجودة فى كل مكان (تحت الطبع).

ز- الحاوى فى الطب ، دراسة وتحقيق "60 جزءاً الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية2013.

(3) دَنلوب ، الرازى فى حضارة العرب ، ترجمة وتقديم وتعليق ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية 2002.

، وأبو الطب العربي ، وجالينوس العرب ، بل وحجة للطب في العالم منذ زمانه القرن الثالث الهجري ، وحتى القرن الثامن عشر للميلاد ، ففي خلال هذه القرون الممتدة ، كانت مؤلفات الرازي الطبية والعلاجية تشكل أساساً مهماً من أسس تعليم طلاب الطب في جميع أنحاء العالم ، وذلك إنما يرجع إلى الإسهامات الطبية والصيدلانية ، والبحثية والتعليمية الأكاديمية الرائدة التي قدمها الرزاي ، وعبرت بحق عن روح الإسلام وحضارته إبان عصورها المزدهرة ، وعملت على تقدم علم الطب، وأفادت منها الإنسانية بصورة لا يستطيع أن ينكرها مُنكر.

تضمنت أعمالي المنشورة في الرازي كثيراً من إنجازاته وابتكاراته تلك التي شكلت لديّ (حزمة) من المبادئ والآراء والأفكار والنظريات الرازية التي لم تكتشف من قبل ، فتم اكتشافها باعتبارها إضافات جديدة في بناء مذهب الرازي ، وحجم الطب العربي الإسلامي ككل . وقد أفدت إفادات جمة بتلك الدراسات والتحقيقات في منهجي لتحقيق " الحاوي في الطب " كأعم وأهم وأضخم موسوعة طبية في الطب العربي الإسلامي ، بل في تاريخ الطب الإنساني كله . ولعل هذا ما يفسر استمرار العمل في تحقيق الحاوي من سنة 1995 وحتى سنة2012 .

فالحاوى أول موسوعة طبية لكافة المعلومات والعلوم الطبية المعروفة حتى وفاة الرازي في بداية القرن العاشر الميلادي ، جمع فيها الرازي كل الخبرة الإكلينيكية التي عرفها في مرضاه ، وفي نزلاء البيمارستانات (المستشفيات) ، وهذا التأليف كان فتحا جديدا في تاريخ تعليم الطب ويعتبر كتاب الحاوي اضخم كتاب عربي وصل إلينا كاملا وهو مازال ضخما غنيا بالمعلومات الطبية لم يسبر غوره ،

ولم يدرس بدق وتأصيل لكثرة ما تضمنه من أسماء الأدوية وصيدلية تركيبها وأسماء الأطباء من العرب وغير العرب الذين اخذ من مؤلفاتهم في هذا الكتاب، ولضخامة الكتاب بهذا الشكل لم يقرضه طبيب من الذين أعقبوا الرازي وكل ما فعله الممارسون من بعده أن تداولوا صورا مختصرة منه (1).

وقد اشتهر الحاوي بذكر عدد كبير من الحالات السريرية التي تجاوز عددها المائة حالة ، وهو موسوعة طبية اشتملت علي كل ما وصل إليه الطب إلى وقت الرازي ففيه أعطى لكل مرض وجهة النظر اليونانية، والسريانية ، والهندية ، والفارسية ، والعربية ثم يضيف ملاحظاته الإكلينيكية ثم يعبر عن ذلك برأي نهائي ولذلك اعتبر الحاوي من أهم الكتابات في مجال الطب التي أثرت تأثيرا بالغا علي الفكر العلمي في الغرب ، إذ ينظر إليه عادة علي انه أعظم كتب الطب قاطبة حتى نهاية العصور الحديثة .

وذكر علماء الغرب أن كتاب الحاوي في الطب هو أعم موسوعة في الطب اليوناني العربي وأهم أعمال الرازي فجاء أوسع واثقل كتاب ترجم إلى اللاتينية وطبع في أوروبا ، وظل عمدة الدراسات الطبية الغربية علي مدار قرون طويلة .

ومازال الحاوي عمدة أيضا في كل دراسات تاريخ العلم بعامة وتاريخ الطب بخاصة علي المستويين العربي والغربي ومع ذلك يعترف جميع المشتغلين بتاريخ العلم علي مستوى العالم أن الحاوي لم يحقق حتى الآن تحقيقا علميا دقيقا ، فمازال الكتاب بكرا لم يعمل به الباحثون

---

(1) الرازى، الحاوى فى الطب ، دراسة وتحقيق خالد حربى، الطبعة الأولى ستين جزءا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية 2013.

باهتمام وشمول ودقة ، وهذا ما دعاني إلى تحقيقه ونشره ضمن مشروعي التراثي الذى بدأ ستة 1994 ومازال مستمرا. وبحمد الله صدر أخيرا تحقيقى للحاوى فى ستين جزءا تحويها عشر مجلدات عن دار الوفاء بالاسكندرية2013.

لقد اعتمدت في التحقيق علي تسع (9) نسخ خطية تكاد تكون هي كل النسخ الخطية الموجودة في العالم ، تسع نسخ خطية يبلغ عدد صفحاتها 6620 صفحة مخطوطة اشتمل تحقيقها علي اكثر من نصف مليون هامش تحقيق متضمنة: المقابلات بين النسخ الخطية لضبط سياق النص ، وشرح كافة المصطلحات الطبية والصيدلانية واللغوية والأمراض والأعراض والأدوية المفردة والأدوية المركبة والأطعمة والنباتات والأعشاب والحيوانات والمعادن والأحجار والأملاح والموازين والإعلام من أطباء الهند والفرس واليونان والسريان والاسكندرانيين والعرب والمسلمين وكذا مؤلفات كل هؤلاء الأمر الذي أدى إلى اكتشاف كثير من الأفكار والآراء والنظريات الرازية وغير الرازية التي لم تكتشف من قبل ، فتم اكتشافها بحول الله في تحقيقي للحاوي تلك الاكتشافات التي أظنها سوف تحدث تغييرا في مسار تاريخ الطب العربي الإسلامي، بل في مسار تاريخ الطب الإنساني كله .

ان تحقيق ونشر أول وأهم وأضخم موسوعة طبية في تاريخ الإنسانية لأول مرة تحقيقا علميا دقيقا، لطالما نادي به كل المشتغلين بتاريخ العلم علي مستوى العالم ،و قد جاء هذا التحقيق كاستجابة لتلك المناداة ، و مؤكدا عليها في الوقت نفسة، وليس ادل علي ذلك من ان المحقق قد وضع يده على فوائد جمة استنبطها من تحقيق نص موسوعة الحاوي فى الطب، و منها ما يلى :

تحتوي موسوعة الحاوي في الطب للرازي علي متون كتب كاملة من الحضارات السابقة علي الحضارة الإسلامية كالحضارة الهندية وبلاد الرافدين والفارسية واليونانية والسيريانية وأيضا الحضارة العربية الإسلامية وأصول هذه الكتب مفقودة ولا توجد إلا في الحاوي .

يشتمل تاريخ الطب العالمي حاليا علي كثير من الإنجازات والاكتشافات والأعمال الطبية والصيدلانية منسوبة إلى أطباء لاحقين علي الرازي وكتاب الحاوي يثبت أن اصحابها الاصليين كانوا قبل الرازي أو معاصرين له .

تصب النقطتان السابقتان في مسار تغيير وتصحيح حلقات مهمة من سلسلة تاريخ الطب العالمي .

وضع قاموس للمصطلح الطبي العربي الإسلامي يخدم كل المشتغلين بتاريخ الطب ويفعّل حركة تعريب العلوم الطبية التي بدأت بوادرها في الدول العربية والإسلامية .

إنشاء لجنة أو هيئة طبية صيدلانية عربية تقوم باستخدام الأساليب المعملية الحديثة بإجراء التجارب علي الوصفات العلاجية بالنباتات الطبيعية والأعشاب التي تحتويها موسوعة الحاوي وتقديم ما يصلح منها للعلاج حاليا في صورة صيدلانية حديثة، وذلك أسوة بالشوط الكبير الذي قطعته كثير من دول العالم في هذا الميدان ، فأصبح مألوفا أن نسمع ونرى الطب والعلاج الصيني ، الطب والعلاج الهندي ، الطب والعلاج البولندي ... الخ فضلا عن أن ألمانيا تكاد تكون قد انتهت من تقرير المعالجة بالنباتات والأعشاب الطبيعية لأغلب الأمراض السائدة حاليا .

إن تحقيق و نشر موسوعة الحاوي في الطب للرازي في طبعة محققة تحقيقا علميا منهجيا دقيقا سوف يفيد منها كل الجامعات والمؤسسات والمعاهد ومراكز البحوث العربية والغربية المعنية بتاريخ العلم بعامة وتاريخ علوم المسلمين بخاصة بما يخدم إعادة استخراج المكنون العلمي والفكري الكبير للحضارة الإسلامية والعمل علي التعريف بدوره في تأسيس الحضارات الإنسانية المختلفة .

إن تحقيق و نشر الحاوي يندرج ضمن منظومة حماية التراث العلمي العربي والإسلامي ورد اعتباره والعمل علي صيانته ودمج مكوناته النظرية والعملية في المنظومة التعليمية الحديثة والعمل علي استعادة ما فقد منه ، والتعاون مع الهيئات والمنظمات العلمية العالمية علي اعتبار هذا التراث قاسما انسانيا مشتركا خدم الحضارات الإنسانية ويشكل حاليا قاعدة معرفية للتواصل بين العرب والمسلمين وغيرهم من أصحاب الحضارات الأخرى .

والواقع أن مؤلفات الرازى تطلعنا على أن صاحبها قد قدم إسهامات طبية جليلة أفادت الإنسانية جمعاء، وذلك بفضل استخدامه المنهج التجريبى –المعمول به فى العلم الحديث- وتطبيقه على كافة الاكتشافات الطبية والصيدلانية والكيميائية التى اكتشفها.

فلقد اهتم أطباء المسلمين اهتماماً بالغاً بالطب السريرى، وذلك إنما يرجع إلى اهتمامهم البالغ بالمنهج التجريبى فى العلوم الطبيعية لاسيما الطبية منها. ويأتى الرازى فى مقدمة هؤلاء الأطباء الذين استخدموا هذا المنهج، حيث تعد آثاره من الركائز الهامة فى تاريخ هذا العلم، ولعل أهم ما فيها هو وضع الرازى للمبادىء الأساسية لعلم السريريات البحتة، وعدم الوقوف عند المبادىء النظرية. فلقد تحرر

الرازى من تأثير المذاهب والنظريات، ولم يرض بالتسليم بما تتضمنه إلا بعد إقرار التجربة بذلك، فقد كان اهتمامه الأول منصباً على التجربة العملية بإعتبارها أضمن الطرق وصولاً إلى الحقيقة العلمية.

وقد أدرك الرازى أن التجربة علم ذات أصول وفروع، وكان ينصح تلامذته بإحكام الاصول وقراءة الفروع، فإنه من غير هذين لايصح له شىء ولايهتدى لأمر من الأمور فى الصناعة[1].

ولقد طبق الرازى المنهج التجريبى بمراحله المعروفة: الملاحظة، والتجربة، وفرض الفروض، والتحقق منها[2]. ويمكن الإشارة إلى ذلك بإيجاز فيما يلى:

ففى الملاحظة وخاصة ما يسمى اليوم بالملاحظة الوصفية، نجد أن أهم ما يتميز به الرازى هو تدوينه للحالة المرضية، والتى تسمى فى الطب الحديث الحالة السريرية Clinical Case. وهى السّيرة المرضية لشخص معين والشكوى، ونتائج الفحص، وتطور الأعراض نحو الأحسن، أو نحو الأسوأ بسبب ظروف معينة تحيط بذلك الشخص. فإذا أصيب شخص ما بمرض من الأمراض، وأصيب شخص آخر بنفس المرض، ظهرت عليه نفس الأعراض ذاتها، فعندئذ يقرر الرازى بأن لدينا حالتين، وليس حالة سريرية واحدة، وذلك لأن لكل مريض منهما ظروفه الصحية والجسمية والنفسية الخاصة به، والتى تؤدى إلى شدة المرض، أو نقصه، أو الشفاء منه، أو الهلاك به.

---

(1) الرازى، رسالة إلى أحد تلامذته، مخطوط بدار الكتب المصرية، ضمن مجموعة تحت رقم 119 طب تيمور، ورقة 117 وجه.

(2) انظر مراحل المنهج التجريبى عند الرازى تفصيلاً فى خالد حربى، الرازى الطبيب من ص97:ص 132

ومن الأمثلة القوية على استخدام الرازى لاسلوب الملاحظة الوصفية الدقيقة ذلك الوصف - الذى يعتبر الأول من نوعه فى تاريخ الطب - الذى ميز به أعراض مرض الجدرى والحصبة إذ يقول: "يسبق ظهور الجدرى حمى مستمرة تحدث وجعاً فى الظهر وأكلان فى الأنف وقشعريرة أثناء النوم. والأعراض الهامة الدالة عليه هى: وجع فى الظهر مع الحمى والألم اللاذع فى الجسم كله، واحتقان وألم فى الحلق وفى الصدر مصحوب بصعوبة فى التنفس، وسعال وقله راحة. والتهيج والغثيان والقلق أظهر فى الحصبة منها فى الجدرى، على حين أن وجع الظهر أشد فى الجدرى منه فى الحصبة"

ولم يترك الرازى صغيرة ولاكبيرة تتعلق بالمريض، إلا وسجلها فى سجل خاص ليعرف ما إذا كان لها من تأثير فى حدوث المرض أم لا. ويتضح هذا بوضوح من الحالات الإكلينيكية التى ذكرها فى كتابه "الحاوى". وقد اتفق كل من اطلع على هذا الكتاب على أن هذه الملاحظات السريرية هى خير دليل على مهارة الرازى ودقة ملاحظاته وغزارة علمه، وقوة منطقه فى استخراج النتائج من معطيات البحث الإكلينيكى. وهى تتعلق بدراسة سير المرض، والعلاج فى كل حالة مع تطور حالة المريض ونتيجة العلاج.

أما التجربة فقد اهتم بها الرازى اهتماماً بالغاً باعتبارها معيار الفصل بين الحق والباطل. فما تثبته التجربة فحق ومقبول، وما لم تثبته فباطل ومرفوض حتى وإن كان قائله من فطاحل العلماء. وقد ترك الرازى نصوصاً بليغة كثيرة فى أهمية التجربة منها[1].

---

[1] الرازى، كتاب القولنج تحقيق صبحى محمود حمامى، منشورات جامعة حلب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد المخطوطات العربية، ط الأولى 1983، ص 9.

- وتكون الدعاوى عندنا موقوفة إلى أن تشهد عليها التجارب.. ولا نحل شيئاً من ذلك عندنا محل الثقة إلا عند الامتحان والتجربة.

- إن الشكوك المغلطة تقع على الأكثر فى الفن النظرى أكثر منه فى التجربة.

- العلم الذى يطمئن إلى مذهب مقضى عليه بالوقوف والعزلة، لأن إدماج المعلومات فى مذهب يعد بمثابة تحجر علمى.

- عندما تكون الواقعة التى توجهنا متعارضة والنظرية السائدة، يجب قبول الواقعة ونبذ النظرية حتى، وإن أخذ بها الجميع نظراً لتأييد مشاهير العلماء. وإذا قال الرازى رأياً فقيل له، ولكن من قبلك رأوا غير ذلك، فيجيب هؤلاء رجال ونحن رجال[1].

ويمكن الوقوف على عدة أنواع من التجارب عند الرازى، إلا أن أهمها هو مايعرف بالتجربة الموجهة حيث لم تكن التجربة عند الرازى تجربة اتفاقية كتلك التى وجدناها عند الأطباء اليونان، بل كانت تجربة موجهة أى ترتبها فكرة مسبقة، ومن أمثلة هذه التجربة أن الرازى حينما أراد أن يتحقق من أثر الفصد كعلاج لمرض السرسام، قسم مرضاه إلى مجموعتين، عالج إحداهما بالفصد، وامتنع عن فصد الأخرى، ثم راقب الأثر والنتيجة فى كل أفراد المجموعة حتى انتهى إلى حكم فى قيمة العلاج.ويقول فى ذلك:"فمتى رأيت هذه العلامات فتقدم فى الفصد، فإنى قد خلصت جماعة به وتركت متعمداً جماعة استوى بذلك رأياً، فسرسموا كلهم[2].

([1]) انظر أنواع التجارب عند الرازى فى خالد حربى، الرازى الطبيب..، ص 113، وبعدها.

([2])الرازى، المرشد أو الفضول، تحقيق ألبير زكى إسكندر، م. س، ص 106.

ومن هنا يتبين أن للرازى فضل السبق فى تدشين ما يعرف حاليا بمهنج المجموعات المرضية والعلاجية، وهاك مؤيدات أخرى:

متى استرخى عضو من الأعضاء، فضع الأدوية على منبت عصبه، فإنا نحن قد شفينا قوماً قد استرخت أرجلهم قليلاً قليلاً بأدوية وضعناها على القطن[1]

فبرءو من غير أن نضع على الرجلين شيئاً بتة[2].

سعوط بليغ للصرع قد برئ عليه جماعة، يسعط العليل بالكُندس، الخربق الأبيض، وشحم الحنظل، فإذا سكن المغص، سعط بعد ثلاث ساعات بهذا السعوط ونام عليه : فاوانيا، وقردمانا، وقشر الرتة، وسياليوس طرية، واسطوخوذس أجزاء سواء، سكبينج نصف جزء ويحل السكبينج ، يشيف به الأدوية وقد ركب مثل الكحل ويسعط به وينفخ منه بماء السذاب فإنه بالغ [3].

رأيت فتى سكنت حماه فى ذات الجنب واشتد به ضيق النفس، ثم بدت به علامات التقيح ونفث مدة فسقيته ما سهل النفث وكان يخرج منه من القيح بسهولة فى سعلة أو سعلتين ما يملأ مغسلاً حتى أنه كاد يشككنى فى رأيى سلوك المدة وكان يخرج فى كل يوم مرة أو مرتين على هذا، ثم سكن السعال البتة ونقى هذا الفتى وتخلص. ورأيت آخرين عسر خروجه منهم وكلهم ماتوا، وقدرت أنه خرج من هذا الفنى

([1]) القطن : جزء من أسفل ظهر الإنسان، والجمع : أقطان (المعجم الوجيز، ص509) القطن بالتحريك : ما بين الوركين إلى عجب الذنب، قال : الليث : القطن الموضع العريض بين الشَّجَ والعَجزُ (ابن منظور، لسان العرب، مادة قطن).

([2]) الرازى،وتحقيق خالد حربى، الحاوى فى الطب،ج2،ص206.

([3]) المصدر نفسه 489/3.

عشرون رطلاً من ذلك القيح[1].

رأيت ناساً لهم بالطبع أن يتقيأ فى السنة مرة أو مرتين كثير المقدار كأنه دم جامد، وربما كان فيه قطع كأنها طحال وربما أصابتهم عليه حرقة شديدة ولذع فى المعدة والمرئ لا يطاق، وربما دام بهم أياماً وكنت أعالجهم فأسقيهم فى ذلك الوقت ماءً فاتراً مرات فسكن أكثر لذعهم وأغذوهم أغذية متخذة بلبن وسكر، فإن دام اللذع أطبخ مخيطاً وحل فيه خيارشنبر ودهن لوز حلو وأسقيه أياماً، فإن دام فأعيدعليهم وأبعد عنهم كلما يلذع من خل وملح وحريف[2].

رأينا قوماً بهم استسقاء طبلى ليس فيهم ولا دليل واحد يدل على حرارة الكبد، وربما كان معه الماء أبيض مائياً ولكن إذا كانت الحرارة فى البطن كثيرة وكان الذى يحصل من الماء قليلاً قليلاً أمكن أن يصير بخاراً وريحاً وخاصة إن كان على البطن تراب كبير، وبالعكس فتمم الكلام فيه[3].

رأيت خلقاً بالوا دما كثيرا نقيا فتفقدتهم، فكان ذلك عن الكلى، ولا يكاد يكون عن المثانة بول دم. ورأيت قوماً يصيبهم من القروح فى هذه المواضع أوجاع صعبة جداً على مثال ما يكون عليه الطلق فى النساء ساعة بعد ساعة، ويجب فى هؤلاء أن يلزموا المغرية فيسقى اللبن، وتحسيه مرق إسفيذاج ودجاجة سمينة، ويشرب اللبن متى عطش أو جلاب أو شراب البنفسج، وإذا كان مع هذه القروح وجع شديد فاسق البزور مع بزر بنج وخطمى، واسق اللبن وغذه بالشحم، شحم الدجاج بالزبد والمر، واسقه ماء الخيار والبطيخ الهندى ما يشرب،

([1]) المصدر نفسه ج 11:فى أمراض الرئة والات التنفس.

([2]) المصدر نفسه ج 13 :فى الرياح فى البطن.

([3]) المصدر نفسه ج 19 :فى الاستسقاء.

فإنه يذهب لذع البول ويسكن الوجع وينتقل بلوز وخشخاش وسكر، واقصد فى هؤلاء إلى تسكين الوجع أولاً بهذه، ثم خذ فى علاج القرحة، ووجعهم يسكن فإن بولهم مائى[1].

رأيت نساء كثيرا ينزفن الدم وعالجتهن بجميع ما يعالج به أمثالهن، فلم ينقطع وحدست أن ذلك لا دم بواسير ولا دم طمث، فافرق بينهما وعالج بحسب ذلك[2] .

وهاك مثال أخير من " المرشد " يدل على فهم الرازى لما يجب أن تكون عليه التجارب من ضرورة وجود موجهات أو ضوابط Controls إذ يقول:سافر رجل نبيل فى الصيف أياماً، ورجع وبه حمى مطبقة قوية الحرارة جداً، فألزمنيه بعض الملوك، فلما كان فى اليوم الرابع، قلق جداً واشتدت حمرة لونه، وأقبل بغير أشكاله ويضرب بنفسه الأرض، وصار الهواء الذى يخرج بالتنفس من الحرارة إلى أمر عظيم جداً. وحدث عليه بعد هنيهة خفقان، وكنت أقدر أنه سيرعف، فلما بقى على تلك الحال ساعتين، وأكثر، أمرته أن يحك داخل أنفه طمعاً فى انفجار الدم. فلما لم يكن ذلك، ورأيت الحرارة والكرب والقلق يتزايد، سقيته مقدار عشرة أرطال من الماء الصادق البرد جداً، فخسر مكانه وانطفأ ما به، ودر بوله، ولانت حماه. ففى هذه الحالة (وهى ضربة شمس Sun stroke) كان ارتفاع درجة الحرارة بمثابة موجه للرازى فى تقديم العلاج المناسب، والذى تمثل فى الماء البارد الصادق البرد جداً.

وهذا النوع من التجارب لا يخرج عن ما يسمى حديثا بالتجربة الضابطة Controlled experiment التى تعتبر من أهم المبادىء فى

([1]) المصدر نفسه ج 21:فى أمراض الكلى والمثانة.

([2]) الرازى وتحقيق خالد حربى، الحاوى فى الطب ج 24:فى أمراض الرحم.

التجارب البيولوجية، حيث تتضمن مجموعتين متشابهتين أو أكثر (تتماثلان من جميع الوجوه باستثناء ذلك التنوع الكامن فى جميع الكائنات البيولوجية) أحدهما هى مجموعة الاختبار للتجربة التى يراد معرفة تأثيرها. وتُختار هذه المجموعة عادة بطريقة عشوائية. وتتوخى الطريقة التجريبية التقليدية جعل المجموعات متشابهة قدر الإمكان من جميع الوجوه فيما عدا العامل المتغير.

أما الفروض، فقد لعبت دوراً بارزاً فى منهج الرازى العلمى، من حيث إن الفرض هو أهم وسيلة ذهنية لدى الباحث ووظيفته الرئيسة هى أنه يوحى بتجارب أو ملاحظات جديدة.والواقع أن أغلب التجارب وكثير من المشاهدات تجرى خصيصاً لاختبار الفروض. وهو ما فعله الرازى. ومن الأمثلة على ذلك ما يلى:

قال الرازى: كان يأتى عبد الله بن سوادة حميات مخلطة تنوب مرة فى ستة أيام، ومرة غب[1] ومرة ربع[2]،ومرة كل يوم، ويتقدمها نافض يسير.وكان يبول مرات كثيرة، فحكمت أنه لا يخلو أن تكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعاً،وإما أن يكون به خراج فى كُلاه،فلم يلبث إلا مديدة حتى بال مدة، فأعلمته أنه لا تعاوده هذه الحميات، وكان كذلك، وإنما صدّنى فى أول الأمر عن أن أبت القول بأنه به خراجاً فى كُلاه أنه كان يحم قبل ذلك حمى غُب وحميات أُخر: فكان الظن بأن تلك الحمى المخلطة من احتراقات تريد أن تصير ربعاً موضع قوى. ولم يشك إلىّ ابتداء ثقلاً فى قطنة (ما بين الفخذين)، لكن بعد أن بال مدة، قلت له: هل كنت تجد ذلك؟ قال نعم: فلو كان كبيراً! لقد

([1]) غبة: بمعنى أنها تأتى يوماً وتغيب يوماً.

([2])ربع: بمعنى الحمى التى تأتى كل أربعة أيام مثل الملاريا.

كان يشكو ذلك وأن المدة نقيت سريعاً ، فدل على صغر الخراج. فأما غيرى من الأطباء فأنهم كانوا بعد أن بال أيضاً لا يعلمون حاله ألبته.

يتضح من النص أن الرازى فى محاولة تشخيصه للمرض قد افترض فرضين بناء على ما رآه من مشاهدات "فحكمت أنه لا يخلو أن تكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعاً ، وإما أن يكون به خراج فى كُلاه". وقد شخص الرازى المرض أولاً على أنه ملاريا "تريد أن تنقلب ربعاً" على افتراض أنه كان يشخّص ويعالج فى بلد تكثر فيه القشعريرة ، وهذا هو الفرض الأول.أما الفرض الثانى فقد تمثل فى وجود خُراج فى كُلى المريض. ولما لاحظ الرازى خروج مدة مع بول المريض ، كانت هذه الملاحظة بمثابة تأييد للفرض الثانى ، فاستبقاه ، واستبعد الفرض الأول وشخص المرض على أنه التهاب فى الكُليتين Pyelilis. وقد قام بالعلاج بناء على هذا التشخيص ، فشفى المريض.

وهنا يذكرنا الرازى بقاعدة هامة فى المنهج العلمى الحديث ، وهى ما تُعرف "بالاستبعاد المنظم" Systematic Elimation ، وتدخل علوم الأحياء ، ومنها الطب ضمن تطبيقاتها. فعند البحث عن سبب مرض مثلاً ، تُستبعد مختلف الأسباب المحتملة إلى أن يتبقى فى النهاية مجال ضيق يمكن التركيز عليه. وهذا ما فعله الرازى بمنتهى الوضوح والدقة.

تلك كانت صورة موجزة لخطوات المنهج التجريبى الذى اتبعه الرازى فى بحثه العلمى. ومن الملاحظ أن الرازى لم يتحدث عنها صراحة كنموذج Paradiam أو موديل Model إذا ما اتبعه العالم أو الباحث ، تأدى منه إلى كشف علمى جديد ، بل أنه أشار إلى هذه الخطوات فى كثير من كتبه ، لاسيما "الحاوى" الذى يحوى مايقرب من مائة حالة سريرية(إكلينيكية) ، والتى اعتمد عليها الباحثون للتقرير بأن الرازى

قد استخدم المنهج التجريبى، وأرسى قواعد الطب السريرى. وقد انعكس أثر ذلك على الإنجازات التى قدمها.

لقد سبق أن ذكرت أن كتاب " الحاوى " للرازى من الكتابات المهمة فى مجال الطب التى أثرت تاثيراً بالغاً على الفكر العلمى فى الغرب، إذ يُنظر إليه عادة على أنه أعظم كتب الطب قاطبة حتى نهاية العصور الحديثة.

وهناك من مؤلفات الرازى ما جاء تأليفه نتيجة لاشتراك صاحبها فى مجالس العلم الجماعية. ومن ذلك مثلاً كتابه "بُرء ساعة" الذى وضعه الرازى نتيجة لما وجده فى مجلس أحد وزراء دولة بنى العباسى حيث يقول: "كنت عند الوزير أبى القاسم بن عبد الله يوماً، فجرى بحضرته ذكر شىء من الطب فى مجلس فيه جماعة ممن يدعى علمه. فتكلم كل واحد منهم فى ذلك بمقدار ما بلغه علمه، حتى قال بعضهم: إن العلل تتكون من مواد قد اجتمعت على مرور الليالى والأيام والسنون، وهذا سبيل كونها لاتبرأ فى ساعة بل يكون فى مثل ذلك من الأيام والشهور وحتى يتم بُرء العليل. فشنع بذلك جماعة ممن حضر من المتطببين كل ذلك يريدون به المجىء والذهاب إلى العليل وأخذ الشىء منه. فقال الوزير: ما تقول يا أبا بكر؟ فقلت له: أيها الوزير أن من العلل ما تجتمع فى أيام وتبرأ فى ساعة واحدة. فتعجب الحكماء من ذلك فسألنى الوزير أن أؤلف فى ذلك كتاباً يشتمل على جميع العلل التى تبرأ فى ساعة واحدة. فبادرت إلى منزلى، وألفت هذا الكتاب[1].

---

(1)الرازى، كتاب بُرء ساعة، دراسة وتحقيق خالد حربى، دار ملتقى الفكر، الإسكندرية 1999،ص 40-41..

آثرت أن أنقل هذا النص المطول لأنه يكشف لنا عن بنية الجماعة العلمية فى مجلس الوزير، حيث يظهر أن هذه الجماعة قد قامت على التنافس بين مجموعة من العلماء، وبين الرازى وحده، ومما لاشك فيه أن التنافس من أهم المبادىء التى تقوم عليها الجماعات العلمية بصفة خاصة، والجماعات من أى نوع بصفة عامة.

وإذا ما اعتبرنا أن قاعدة الاتصال العلمى بين العلماء على مر العصور مظهر غير مباشر من مظاهر النشاط العلمى الجماعى، فإن الرازى قد اتبع ذلك النهج، فاتصل بمعظم من سبقه من مشاهير الأطباء عبر مؤلفاتهم، والتى تناولها بالنقد والتمحيص، ولم يؤخذ منها إلا ما رآه حقاً. ومن كتبه فى ذلك كتابه الهام " المنصورى " والذى يقول عن كيفية تأليفه: " قد جمعت فى كتابى هذا جُملاً وعيوناً ونكتاً من صناعة الطب مما استخرجته من كتب بقراط، وجالينوس، وأرماسوس، ومن دونهم من القدماء، وفلاسفة الأطباء، ومن بعدهم من المحدّثين فى أحكام الطب والمفاقهة فيه مثل بولس، وأهرون، وحنين بن إسحق، ويحيى بن ماسويه، وغيرهم وفصّلت ذلك على غاية الإيجاز".

وللرازى مؤلفات طبية أخرى كثيرة، وغير طبية، ليس هذا مجال الحديث عنها.ولكننا نتساءل عن حجم انجازات الرازى الطبية والتى ضمنها فى تلك المؤلفات؟

الواقع أن مؤلفات الرازى تطلعنا على أن صاحبها قد قدم إسهامات طبية جليلة أفادت الإنسانية جمعاء. فالرازى أول من اكتشف وصف مرض الجدرى والحصبة،ووضع لهما العلاجات المناسبة. وأول من ابتكر خيوط الجراحة المسماه "بالقصاب"، وخيوط الجراحة من أمعاء القطط ،وتنسب إليه عملية خياطة الجروح البطنية بأوتار العود. ويعتبر الرازى

أول من اهتم بالجراحة كفرع من الطب قائم بذاته، ففى موسوعته الحاوى وصف لعمليات جراحية تكاد لا تختلف عن وصف مثيلتها فى العصر الحديث وهو أيضاً أول من وصف عملية استخراج الماء من العيون. واستعمل فى علاج العيون حبات "الإسفيداج"، وأول من اكتشف أن حدقة العين تضيق فى النور وتتسع فى الظلام، وهو اول من نصح الرازى بضرورة بناء على المستشفى بعيداً عن أماكن تعفن المواد العضوية[1].

وقد كشف الرازى طرقاً جديدة فى العلاج، فهو أول من استعمل الأنابيب التى يمر فيها الصديد والقيح والإفرازات السامة. كما استطاع أن يميز بين النزيف الشريانى والنزيف الوريدى، واستعمل الضغط بالأصبع وبالرباط فى حالة النزيف الشريانى.

ولقد استخدم الرازى أدوية ما زال الطب الحديث يعول عليها حتى وقتنا الحاضر. فلقد استخدم الأفيون فى حالات السعال الشديدة والجافة. وتقول كتب الفارماكولوجى الحديثة إن الأفيون يحتوى على العديد من القلويات أو شبه القلويات كالمورفين والكودائين، والنوسكابين تستخدم فى إيقاف السُعال الجاف خاصة الكودائين، وهى جميعها تعمل على تثبيط مركز السعال فى الدماغ وبذلك تخفف من نوباته وحدته. وتُعطى هذه الأدوية كما أعطاها الرازى وخاصة فى حالات مرضى القلوب لكى تخفف عن القلب الإرهاق الذى يسببه السعال له. كما استخدم الرازى طريقة التبخير فى العلاج، وهى لاتزال تستخدم حتى يومنا هذا، وذلك بوضع الزيوت الطيارة فى الماء الساخن لكى يستنشقه المريض، فتعمل الأبخرة المتصاعدة على توسيع القصبات الهوائية، وبالطبع تتوسع المجارى التنفسية.

([1]) خالد حربى، الرازى الطبيب..، ص 19.

ولقد أسهم الرازى فى مجال التشخيص بقواعد لها أهميتها حتى الآن، منها: المراقبة المستمرة للمريض. والاختبار العلاجى، وهو أن يُعطى العليل علاجاً مراقباً أثره، وموجهاً للتشخيص وفقاً لهذا الأثر. ومنها أهمية ودقة استجواب المريض، فينبغى للطبيب أن لايدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن أن يتولد عن علته من داخل، ومن خارج، ثم يقضى بالأقوى. ومنها أيضاً، العناية بفحص المريض فحصاً شاملاً، على اعتبار أن الجسم وحدة واحدة متماسكة الأعضاء إذا اختل واحد منها "تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى".

ولقد اعتمدت نظرية الرازى الأساسية فى التشخيص على التساؤل عن الفرق بين الأمراض. فمن الإسهامات الأصيلة التى قدمها الرازى للطب، تفرقته بين الأمراض المتشابهة الأعراض، وهذا ما يطلق عليه الآن التشخيص التفريقى Diff Diagnosis، الذى دشنه الرازى بما يلى:

الفرق بين الجدرى والحصبة:

يعد تمييز الرازى بين أعراض كل من مرض **الجدرى والحصبة أول تمييز من نوعه فى تاريخ الطب الأنسانى**، وبه قدم الرازى كشفاً جديداً يفتح الباب على مصرعيه لتقديم العلاج الصحيح والمناسب لمثل هذه الأمراض الخطيرة. يقول الرازى: "يسبق ظهور الجدرى حمى مستمرة تحدث وجعاً فى الظهر وأكلان فى الأنف وقشعريرة أثناء النوم. والأعراض المهمة الدالة عليه هى: وجع الظهر مع الحمى والألم اللاذع فى الجسم كله، واحتقان وألم فى الحلق والصدر مصحوب بصعوبة فى التنفس، وسعال وقلة راحة. والتهيج والغثيان والقلق أظهر فى الحصبة منها فى الجدرى، على حين أن وجع الظهر أشد فى الجدرى منه فى

الحصبة"[1].

وهذا الوصف التفريقى الدقيق بين أعراض الجدرى والحصبة هو ما جعل كتاب "الجدرى والحصبة" Small - pox and Measles أول وأروع كتاب فى علم الأوبئة، وهو إحدى روائع الطب الإسلامى على حد قول مؤرخ العلم الشهير جورج سارتون. ويُعد الكتاب من أوسع مقالات الرازى الطويلة الكثيرة الشهرة فى الغرب، والتى نشرت لأول مرة باللغة العربية مصحوبة بترجمة لاتينية قام بها شاننج Channing بلندن سنة 1766. وكان قد سبقها ظهور ترجمة لاتينية للكتاب فى فيينا سنة 1556، كما ظهرت ترجمة إنجليزية قام بها جرينهل Greenhill ونشرتها جمعية سيدنهام ثانية عام 1848. ويقول أحد علماء الغرب، وهو نوبرجر Neuburger: تعتبر رسالة الجدرى والحصبة حيث تكون حلّية التأليف الطبى العربى وزينته.. وهى تحتل مكانة عالية من الأهمية فى تاريخ علم الأوبئة باعتبارها أول مقالة عن الجدرى، وهى تُظهر الرازى فى صورة الطبيب ذى الضمير، المتحرر من أسر الهوى.

الفرق بينالقولنج وحصاة الكُلى:

أثبت الرازى بمتابعة مشاهداته وملاحظاته وتجاربه التفريقية الدقيقة أن جالينوس قد أخطأ فى تشخيصه لمرض "القولنج" على أنه حصاة فى الكُلى. فيذكر الرازى أن جالينوس قال فى كتابه "فى الأعضاء الآلمة": إنه كان قد حدث به وجع شديد فى ناحية الحالبين والخواصر، وإنه كان لايشك أن به حصاة فى إحدى نواحى الكُلى إلى المثانة، وإنه لما احتقن وخرج منه بلغم لزج، سكن وجعه على المكان،

(1) خالد حربى، الرازى حجة الطب ،ص 108.

فأدرك الرازى وعَلِمَ أنه أخطأ فى حدسه، وإنه كان به وجع القولنج[1].

ولكن الرازى استطاع من خلال تركيز انتباهه على ما هو مشاهد أن يقف على جوانب الشبه والاختلاف بين أعراض الحصاة فى الكُلى، وأعراض القولنج، وقرر وفقاً لمشاهدته الدقيقة – المبنّية على العلم وطول الممارسة – أعراض وعلامات هذا المرض، وهى: "إذا حدث فى البطن تحت السرّه أو فى إحدى الخاصرتين وجع شبيه بالنخس، ثم كان معه غشى وتقلب نفس، واشتد سريعاً حتى يعرق العليل منه عرقاً بارداً، فأظن أنه وجع القولنج، ولاسيما إذا كان الذى به هذا الوجع قد أصابه قبل ذلك تخم كثيرة أو أكثر من أطعمة غليظة أو باردة[2].

ويؤكد الرازى على أن تشخيص القولنج ليس أمراً هيناً نظراً لتشابه آلام الأحشاء الموجودة فى الجوف السفلى من البطن. "وقد يحدث فى الأمعاء أوجاع يظن بها أنها وجع القولنج فى ابتداء كوّن السحج (التقرحات المعوية) وترك الحيات والديدان، وذلك ينبغى أن تكون عنايتنا بتفصيل هذه الأوجاع المشبهة لوجع القولنج منه عناية شديدة لئلا يقع فى العلاج خطأ"[3]. ويأتى تشخيص الرازى للقولنج أيضاً بناء على السوابق المرضية المباشرة والبعيدة، وعلى موضع الألم وشدته، وانتشاره، والأعراض المرافقة للألم من غشى، وقيئ، وحمى، وعلى فحص المفرغات من براز وبول كماً وكيفاً، وعلى الاختبار العلاجى. وينتهى الرازى إلى أن وجع القولنج يكون من برد المعدة وبرد الكُليتين[4].

---

(1) الرازى، كتاب القولنج، تحقيق صبحى محمود حمامى، ، ص 40.
(2) الرازى، كتاب القولنج، ص 40.
(3) الرازى، كتاب القولنج، ص 36.
(4) الرازى، جراب المجرّبات وخزانة الأطباء، دراسة وتحقيق خالد حربى، ط الثانيـــة، دار الوفاء، الإسكندرية2006 ص 273.

وبعد التشخيص السليم للقولنج، يُزيد الرازى من تفرقته بين أعراضه، وأعراض وجع الكُلى، فإذا كان الوجع فى الجانب الأيسر، بَظن أنه فى الكُلى، وإذا كان يتأدى إلى سطح الجسم حتى يحسّ العليل بألم عند غمز المراق، فقولنج"[1].

الفرق بينالنقرس، ووجع المفاصل:

يتضح مما سبق مدى اهتمام الرازى بالتفرقة بين أعراض الأمراض المتشابهة، هذا الاهتمام الذى أدى به إلى أن يصبح رائداً لنظرية التشخيص التفريقى المعمول بها حالياً. ومن دلائل ذلك الاهتمام - خلافاً لما ذُكر - نرى الرازى يبدأ أحد أهم وأقيم وأخطر كتب الطب قاطبة، وهو كتاب "مقالة فى النقرس"، يبدأه بالتفرقة الدقيقة بين أعراض النقرس، وأعراض وجع المفاصل. فالباب الأول من الكتاب يحمل عنوان: ما النقرس؟ وما الفرق بينه وبين وجع المفاصل. وبعد أن يُعرّف الرازى النقرس بأنه: مرض يعرض فى مفاصل القدمين يؤلم ألماً شديداً، ويصير بالإنسان إلى أن يَعوقه عن المشى والتصرف بالحركات، نراه يقدم أبلغ وأدق تفرقة - ما زالت سائدة حتى اليوم - بين أعراض النقرس، وأعراض ألم المفاصل، قائلا[2]: والفرق بينه - أى النقرس - وبين وجع المفاصل، إذا كان حدوثه فى المفاصل، أن وجع المفاصل يَعم، مفاصل البدن كلها، والنقرس إنما يخص القدمين. فإذا انتشرت الآفة فى اليَدين والرَجلين معاً حتى تألم فيها المفاصل، كان ذلك وجع المفاصل، وكذلك إن خَصت الآفة اليدين دون الرجلين".

---

(1) الرازى،وتحقيق خالد حربى، الحاوى فى الطب، ج :فى القونج.

(2) . الرازى،وتحقيق خالد حربى، مقالة فى النقرس، الطبعة الثانية، المكتب الجامعى الحديث، الاسكندرية2010.

الفرق بينالصرع الخلقى والصرع العرضى:

لم يكتف الرازى فى نظريته فى التشخيص التفريقى بالتفرقة بين أعراض الأمراض العضوية فحسب، بل نراه أيضاً يفرق بين أعراض بعض الأمراض النفسية أو العصبية. ومن أمثلة ذلك تفرقته بين نوعين للصرع هما: الصرع الخِلقى، والصرع العرضى، فيقول: "الصرع يحدث فى طريقتين، إما أن يولد الطفل مصاباً به بسبب رطوبة وعفونة باردة فى المزاج الطبيعى للدماغ، أو أن يكون حدوثه عرضياً بعد الولادة. وشفاء النوع الأول الولادى هو ملاحظة الغذاء، لأن الطفل حينما يتجاوز هذه المرحلة يُشفى منه، ولكن إذا لم يتحسن، فإن هذا البلاء يؤدى بالطفل إلى الوفاة".

يتضح من كل ما سبق أن نظرية الرازى فى التشخيص تعتمد على وضع سؤال رئيس مؤداه: ما الفرق بين الأمراض، ومما يتكون هذا الفرق؟ ثم يخبرنا بكيفية التفتيش عن هوية محددة لهذا الفرق لمرضين أو أكثر متشابهين ظاهرياً؟ وينتهى مقرراً أن الفرق لا يبنى على أساس فهم حقيقته، ولكن يُبنى على قاعدة الملاحظة السريرية المختلفة عند الفحص. وذلك ما هو معمول به منذ زمن الرازى، وحتى الآن.

وبالجملة قدم الرازى إسهامات طبية وعلاجية رائدة عملت على تقدم علم الطب وأفادت منها الإنسانية بصورة لا، ولم يستطع أحد أن ينكرها. فالرازى حجة الطب فى العالم منذ زمانه وحتى العصور الحديثة، وذلك باعتراف الغربيين.

فصل على بن العباس

(ت384 هـ / 944 م) ولد في الأهواز من أعمال ايران في بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .درس الطب في الأهواز ، وتتلمذ علي موسي بن يوسف بن سيار الفارسي المعروف "بابن ماهر" ، فضلاً عن تعرضه بالدراسة لكتابات المقدمين والسابقين عليه في الطب أمثال : أبقراط ، وجالينوس، وأوريباسيوس، وبولس الأجنيطي، وأهرن القس، وابن سرابيون، وعيسي بن حكم ، واسحق بن حنين ، والرازي .اطلع على بن العباس على كتابات ومؤلفات كل هؤلاء الأطباء الأعلام ، وتعرض لها بالدرس والاستيعاب والتحليل والتفسير ، بل والنقد ، الأمر الذي أدي به إلي التأليف والإبتكار فيما بعد .

لقد بهر التراث الطبي اليوناني الذي نُقل إلى اللغة العربية في عصر الترجمة أطباء القرنين الثاني والثالث من الهجرة لدرجة أنهم شعروا معه بنوع من التبعية الفكرية تجلت في مؤلفاتهم فيما بعد ، وخاصة مؤلفات علي بن رضوان الطبية ، فكانت أقوال كل من أبقراط وجالينوس، لا سيما نظرية الأخلاط لا يساورها أي شك.

أما علي بن العباس، فلم يركن إلى السير في هذا الاتجاه، واستخدم منهج النقد العلمي في بحثه ودراسته، ليس للتراث الطبي اليوناني فحسب، بل والعربي الإسلامي أيضاً، فأعمل ملكة "النقد" في كل المؤلفات الطبية التي تعرض لها بالدراسة والتمحيص، فوقف على جوانب القصور التي تعتريها، بعد أن أبان أوجه الحُسن فيها، وذلك هو السبب الرئيس الذي دفعه إلى وضع كتاب "**كامل الصناعة الطبية**"، وكأنه يكمل به ما وقف عليه من نقص في مؤلفات السابقين عليه، فلم أجد - كما يقول - لأحد من القدماء والمحدثين من الأطباء كتاباً

كاملاً يحوي جميع ما يحتاج إليه من بلوغ غاية هذه الصناعة وأحكامها، أما أبقراط الذي كان إمام هذه الصناعة، وأول من دوّنها في الكتب، فقد وضع كتباً كثيرة في كل نوع من أنواعها، منها كتاب واحد جامع مما يحتاج إليه طالب هذه الصناعة ضرورة. وهذا الكتاب هو "كتاب الفصول"، وقد يسهل جمع هذه الكتب حتى تصير كتاباً واحداً حاوياً لجميع ما قد يحتاج إليه في بلوغ غاية هذه الصناعة، إلا أنه استعمل فيه، وفي سائر كتبه الإيجاز، حتى صارت معان كثيرة من كلامه غامضة يحتاج القارئ لها إلى تفسير[1].

وأما جالينوس المقدم المفضل في هذه الصناعة، فإنه قد وضع كتباً كثيرة، كل واحد منها مفرد في نوع من أنواع هذه العلوم، وطوّل الكلام فيه وكرره لما احتاج إليه من الاستقصاء في الشرح وإقامة البراهين، والرد على معاند، وسلك سبيل المغالطين، ولم أجد له كتاباً واحداً يصف جميع ما يحتاج إليه في درك هذه الصناعة، وبلوغ الغرض المقصود إليه منها[2].وقد وضع أوريباسيوس كتباً .. ورام أن يبين جميع ما يحتاج إليه، فوجدته قد قصر في كتابه الصغير الذي وضعه لإبنه أوناقس وإلى عوام الناس، فلم يذكر فيه شيئاً من الأمور الطبيعية وغيرها، وقصر في الأسباب، وكذلك في الكتاب الذي وضعه لإبنه أسطات في تسع مقالات، فإنه لم يذكر فيه شيئاً من الأمور الطبيعية التي هي الاستقصات من الأمزجة والأخلاط والأعضاء والقوى والأفعال والأرواح إلا اليسير، ولم يذكر في هذين الكتابين شيئاً من العمل باليد. فأما كتابه الكبير الذي وضعه في سبعين مقالة، فلم أجد فيه إلا مقالة

---

(1) علي بن العباس، كامل الصناعة الطبية، مخطوط مكتبة شستربيتي بلندن رقم 3996، الورقد الأولى وجه .

(2) علي بن العباس، المصدر نفسه الورقة الأولى ظهر.

واحـدة فيهـا ذكـر تشـريح الأعضـاء[1].وعلـى العكـس بـالغ بـولس الأجنيطي في تناوله الجراحة وأنواع العلاجات، واقتضب في ذكر الأمـور الطبيعيـة، وخرجـت كـل آراءه الـتي تضـمنها كتابـه عـن طريـق التعـاليم."وأمـا بـولس، فلـم يـذكر في كتابـه مـن الأمـور الطبيعيـة إلا اليسير، وأما أمر الأسباب والعلامات وسـائر أنـواع المداواة والعـلاج باليد فقد بالغ في بيانه، إلا أنه لم يذكر ما ذكره في كتابه على طريق من طرق التعاليم"[2].

تلـك كانـت أهـم الانتقـادات الـتي وجههـا علـي بـن العبـاس إلى كتابات الأقدمين من الأطبـاء، تطـرق بعدها إلى تنـاول وفحص مؤلفـات المحدثين، وأولهم عنده أهـرن القس، في صدر الدولـة الإسـلامية، الـذي أوجـز في كُناشـه مـا دوّنـه مـن أسـباب وأعـراض الأمـراض، وسـبل معالجاتها، مما يجعله كتاباً غير جامع لما يحتاج إليـه مـن أمـر الصـناعة ككـل، عـلاوة علـى اللـبس والغمـوض الـذي يعـتري القـارئ لترجمـة ماسرجيس للكتاب من السريانية إلى العربية، بخـلاف ترجمـة حنـين بـن إسحق لنفس الكتاب."وأما المحدثون، فلم أجد لأحد منهم كتاباً يصـف فيه جميع ما يحتـاج إليـه مـن ذلـك، إلا أن أهـرن وضـع كتابـاً ذكـر فيـه جميع ما يحتاج إليه في مداواة الأمراض والعلل، وأسبابهم أو علامـاتهم، أو ما سـوى ذلـك، فـذكر علـى جهـة الإيجـاز مـن غـير شـرح واضـح، ومـع ذلـك فـإن ترجمتـه ترجمـة سـوء رديئـة تعمـي علـي القـارئ لـه كـثيراً مـن المعاني التي قصد إلى شرحها، لا سيما من لم ينظر في ترجمة حنين"[3].

---

(1) علي بن العباس، كامل الصناعة الطبية، مخطوط مكتبة أحمد الثالث بدار الكتب المصرية، رقم 199 طب، الورقة 3 وجه.

(2) علي بن العباس، المصدر نفسه، الورقة 3 ظهر.

(3) علي بن العباس، كامل الصناعة الطبية، مخطوط دار الكتب، ورقة 5 وجه.

ووضع ابن سرابيون، يحيى الطبيب الذي كان في صدر الدولة الإسلامية كتاباً لم يذكر فيه إلا معالجة الأمراض التي تكون بالأدوية والتدبير، ولم يتعرض للعلاج بالجراحة، كما أهمل كثيراً من العلل كالقُطرب والعشق من علل الدماغ، وكالاسترخاء الحادث عن القولنج، وجملة من أمراض العيون، كالمدة الحادثة من غير قرحة، والبياض، والنتوء، والسرطان، والانتفاخ، والوردينج، والتحجر، والشعيرة، والسلاق.. وغير ذلك. وأهمل في أمراض المعدة معالجة اللبن الجامد، والدم الجامد فيها، كما لم يتعرض في معالجات الأورام للسلع والعقد وداء الفيل، والورم الحادث عن انخراق الشريان المسمى أينوسي، ولم يستقص أعراض وأسباب ومعالجات الجدري، والثاليل، والقروح، والعرق المديني والدوالي. ومع أنه ذكر علاج نهش الحيوان ولدغه، إلا أنه لم يذكر علاج السموم. كما ذكر كل ما ذكره على غير ترتيب الأعضاء، وبالغ في شرحه على خلاف طرق التعاليم.

ونحا عيسى بن حكم (مسيح) النحو الذي نحاه أهرن، فاقتضب في كناشه شرح الأمور الطبيعية وأساء في ترتيب أبوابه، فذكر قوانين تركيب الأدوية في الباب التاسع، واتبعه بذكر شئ من الأمور الطبيعية، وأردف ذلك بالأمراض التي تصيب الرأس وما يليه، وغير ذلك من تقديم ما ينبغي أن يؤخر، تأخير ما ينبغي أن يقدم.

أما محمد بن زكريا الرازي، فإنه وضع كتابه المعروف بالمنصوري، وضمنه جملاً وجوامع من صناعة الطب ولم يغفل عن ذكر شئ مما يحتاج إليه، إلا أنه لم يستقص شرح ما ذكره، واستعمل فيه الإيجاز والاختصار. اما كتابه المعروف بالحاوي، فوجده علي بن العباس قد ذكر فيه جميع ما يحتاج إليه المتطببون من حفظ الصحة ومداواة

الأمراض والعلل بالأدوية والأغذية، ولم يغفل عن ذكر شئ مما يحتاج إليه الطالب لهذه الصناعة من تدبير الأمراض والعلل.

وإذا كان علي بن العباس لا ينكر فضل الرازي، ولا يدفع عمله بصناعة الطب وحسن تأليفه للكتب، إلا أنه ذهب إلى أن تأليف الحاوي لا يخرج عن إحدى حالتين[1]: إما أن يكون وضعه وذكر فيه ما ذكر من جميع علم الطب ليكون تذكرة له خاصة يرجع إليه فيما يحتاج إليه من حفظ الصحة ومداواة الأمراض عند الشيخوخة ووقت الهرم أو النسيان، أو خوفاً من آفة تعرض لكتبه فيعتاض عنها بهذا الكتاب.وإما لأن ينتفع الناس به ويكون له ذكر حسن من بعده، فعلق جميع ما ذكر فيه تعليقاً ليعود فيه فينظمه ويرتبه ويضيف كل نوع منه إلى ما يشاء كله ينتهي في بابه على ما يليق بمعرفته لهذه الصناعة فيكون الكتاب بذلك كاملاً تاماً ... فإن كان إنما قصد به هذا الباب فقد طوّل فيه الكلام وعظمه من غير حاجة إضطرارية دعته إلى ذلك حتى قد عجز العلماء عن نسخه وإقتنائه إلا اليسير من ذوي اليسار من أهل الأدب، فقل وجوده، وذلك أنه ذكر في صفة كل واحد من الأمراض وأسبابه وعلاماته ومداواته ما قاله كل واحد من الأطباء القدماء والمحدثين في ذلك المرض من أبقراط وجالينوس إلى إسحق بن حنين، وما كان بينهما من الأطباء القدماء والمحدثين، ولم يترك شيئاً مما ذكره كل واحد منهم من ذلك إلا ما أورده في هذا الكتاب، وعلى هذا القياس فقد صارت جميع كتب الطب محصورة في كتابه هذا.

---

(1) علي بن العباس، كامل الصناعة الطبية، مخطوط مكتبة دير الإسكوريال بأسبانيا رقم 815، ورقة 3 وجه.

اتضح مما سبق كيف انتقد علي بن العباس كثيراً من المؤلفين السابقين عليه، وقد بنى منهجه في النقد على أسس وأدلة علمية وعقلية صحيحة، انطلق منها إلى تأليف كتابه كامل الصناعة كمحاولة لسد ما وقع عليه من نقص في مؤلفات السابقين عليه من العصر اليوناني والعصر الإسلامي. فأما أنا[1] فإني أذكر في كتابي هذا جميع ما يحتاج إليه من حفظ الصحة ومداواة الأمراض والعلل وطبائعها وأسبابها والأعراض التابعة لها والعلامات الدالة عليها مما لا يستغني الطبيب الماهر عن معرفته، وأذكر في أمر المداواة والعلاج والتدبير بالأدوية والأغذية ما قد وقعت عليه التجارب واختارته القدماء مما قد صحت منفعته وامتحانه، وطرحت ما سوى ذلك.

يقع كتاب كامل الصناعة الطبية في جزأين كبيرين، يحتوي كل جزء منهما على عشر مقالات، تتناول المقالة الأولى من الجزء الأول الأمور الطبية العامة وأمزجة الأعضاء، وخصصت المقالة الثالثة والرابعة للتشريح ووظائف الأعضاء، وتبحث المقالة الرابعة في القوى والأفعال والأرواح، والخامسة تبحث في الأمور غير الطبيعية، وتشتمل المقالة السادسة على الأمراض وأعراضها، وتحتوي المقالة السابعة على الدلائل العامة على العلل والأمراض، والمقالة الثامنة تبحث في الاستدلال على الأمراض الظاهرة للحس والتاسعة في أسبابها وعلاماتها الظاهرة، والعاشرة في الدلائل وأسبابها وعلاماتها.

وتبحث المقالة الأولى من الجزء الثاني في الصحة العامة، والثانية في الأدوية، وخصص المقالة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة

---

(1) علي بن العباس، كامل الصناعة الطبية، مخطوط الإسكوريال، ورقة 4 وجه .

والثامنة لمداواة الأمراض وعلاجها، واختصت المقالة العاشرة والأخيرة من الكتاب بصناعة المعجنات والدهونات والأشربة والأكحال.

أما منهج علي بن العباس في تأليف كتابه، فهو منهج الاستقصاء النقدي الذي يقوم على استقصاء ونقد مؤلفات السابقين عليه، والاطلاع علي ما فيها، والوقوف على جوانب النقص التي تعتريها، بهدف إكمال ما نقص في هذه المؤلفات في كتاب جامع لم يجده علي بن العباس في زمانه، وهذا ما دعاه إلى تأليف كتابه. فلما كان العلم بصناعة الطب أفضل العلوم، وأعظمها قدراً، وأجلها خطراً وأكثرها منفعة، لحاجة جميع الناس إليها، أحببت أن أصنف كتاباً كاملاً في صناعة الطب، جامعاً لكل ما يحتاج إليه المتطببون وغيرهم من حفظ الصحة على الأصحاء، وردها على المرضى، إذ كنت لم أجد لأحد من القدماء والمحدثين من الأطباء كتاباً كاملاً يحوي جميع ما يحتاج إليه من بلوغ غاية هذه الصناعة وأحكامها[1].

ويقرر علي بن العباس[2] ثمانية مبادئ أو رؤوس يجب على القارئ في كل كتاب أن يبتدئ بهم ضرورة، وهي الغرض والمنفعة والسمة وجهة التعليم والمرتبة، واسم الواضع للكتاب وصحته، وقسمة الكتاب بالأجزاء والمقالات والعلامات.ويطبق علي بن العباس أول هذه المبادئ أو الرؤوس على نفسه قائلاً[3]: فأما غرضنا في كتابنا هذا فهو أن تذكر فيه جميع ما يحتاج معه إلى عمله ومعرفته لمن أراد أن يتعلم صناعة الطب حتى يكون فيها ماهراً وبها حاذقاً، وهو حفظ الصحة على الأصحاء، ومداواة المرضى إلى أن يبرؤا، ولايحتاج معه إلى كتاب من الكتب

---

(1) علي بن العباس، كامل الصناعة الطبية، مخطوط دار الكتب المصرية، ورقة 3 ظهر.

(2) كامل الصناعة الطبية.. مخطوط شستربيتي، ورقة 3 ظهر.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الموضوعة في هذه الصناعة، وأن نستعمل فيه الاختصار مع الشرح والبيان.. فإذا كان الأمر كذلك فبالواجب احتاجت العلماء إلى معرفة غرض واضع الكتاب قبل قراءته.

أما منفعة الكتاب في نظر علي بن العباس، فجليلة القدر عظيمة الخطر من ثلاثة وجوه[1]: أحدها شرف الصناعة، لأن موضوعها أجل خطراً من موضوع سائر الصناعات، وهي أبدان الناس التي هي أكرم على الله عز وجل على سائر ما خلق.

والثاني : فضل هذه الصناعة، فلا يشك أحد من العلماء، ومن له أدنى معرفة في فضل صناعة الطب على سائر الصناعات وعظم منفعتها وحاجة جميع الناس إليها، وذلك أنه لما كان الإنسان أفضل الحيوان وأشرفه لما خصه الله به من النطق الذي هو العقل، وبه يكون التمييز والمعرفة بالأمور وبه تدرك حقائق الأشياء، وعليه المدار في جميع ما يحتاج إليه الناس في تدبير أمورهم ومعايشهم وجميع تصرفاتهم، وما يلتمسونه من المنافع في دنياهم والفوز في آخرتهم، ولأن العقل لا يكون إلا بصحة النفس الناطقة، وصحة النفس الناطقعة لا تكون إلا بصحة النفس الحيوانية، وصحة النفس الحيوانية لا تكون إلا بصحة النفس الطبيعية، وصحة هاتين النفسين لا تتم إلا بصحة البدن، وصحة البدن لا تتم إلا باعتدال الأخلاط، واعتدال الأخلاط لا يتم إلا باعتدال المزاج، واعتدال المزاج لا يتم إلا بتدبير صناعة الطب التي يكون بها حفظ الصحة على الأصحاء إذا كانت موجودة فيهم، وردها عليهم إذا كانت مفقودة.

---

(1) المصدر نفسه، ورقة 4 ظهر.

والثالث: منفعة الكتاب من قبل احتوائه على جميع اجزاء الصناعة، فلما كان هذا الكتاب حاوياً جميع ما يحتاج إليه الطبيب من الغرض المقصود إليه في صناعة الطب، وكان غيره من الكتب الطبية مقصراً عن ذلك، وجب أن يكون هذا الكتاب أنفع من جميع الكتب الموضوعة في صناعة الطب من قبل جمعه واحتوائه على جميع المعاني التي في غيره من الكتب الطبية، فمن قبل هذه الأشياء عظمت منفعة الكتاب وجلت. وإنما احتاجت العلماء إلى ذكر منفعة الكتاب ليكون القارئ له إذا علم منفعته أشد حرصاً على قراءته وتفهم ما فيه.

يعدكتاب " كامل الصناعة الطبية " الذى اشتهر فى اللاتينية " بالكتاب الملكي " من أهم وأشهر كتب الطب التى ظهرت فى القرن الرابع الهجرى . وضعه على بن العباس موسعا بعشرين مقالة فى علوم الطب النظرية والعلمية ، وبوبه تبويبا حسنا ، فجاء أفضل من كتاب المنصوري للرازي ، الكتاب المدرسي المعتمد آنذاك . وقد لزم طلاب العلم درس الكتاب حتى ظهور " القانون " لابن سينا ، " والملكي فى العمل أبلغ ، والقانون فى العلم أثبت " [1] .

وتحتوى مقالات الكتاب العشرين على أبحاث وفصول مهمة فى الجراحة والتشريح ، والعلاجات ، والأمور الطبيعية والبيئية ، وأثر الأدوية وتأثيرها ، نباتية كانت أم معدنية ، بالإضافة الى أثر السموم فى القوى الطبيعية المدبرة للبدن . وفى قسم التشريح نرى على بن العباس يقدم تعريفا ووصفا صائبا لكل من الأوردة والشرايين ، ووظائف القلب والتنفس ، والجهاز الهضمي ، الى جانب وصف للحواس وكيفية تأدية

---

[1] ابن القفطي ، جمال الدين على بن يوسف بن ابراهيم ، تاريخ الحكماء ، تحقيق جوليوس ليبرت ، ليبزج 1903 ، ص 232.

وظائفها ، كما أشار الى أهمية ممارسة الرياضة من حيث أنها تنتج حصانة الجسم عن طريق تقوية الأعضاء وصلابتها .

والكتاب يوضح بشكل جلّي أن الأطباء العرب قد حددوا قوى الأدوية بثلاث ، ذكرها على بن العباس فى كتابه ، وأصبحت مرجعا للأطباء اللاحقين وهى : 1- القوى الأول ، وهى الأمزجة . 2- القوى الثانية ، وهى : المنضجة ، والليئة ، والمصلبة والمسددة ، والفتاحة ، والجلابة ، والمكثفة ، والمفتحة لأفواه العروق ، والناقصة للحم ، والجاذبة ، والمسكنة للوجع . 3- القوى الثالثة ، وهى : المفتتة للحصى ، والمدرة للبول ، والطمث ، والمعينة على نفث ما فى الصدر ، والمولدة للمنى واللبن . ومن أراد معرفة ذلك ، فينبغى أن يكون عارفا بالقوانين التى بها يمتحن كل واحد من الأدوية المفردة ، ويستدل على مزاجه وقوته ، ومنفعته فى البدن .

واعتمد على بن العباس فى ممارسته الطبية على تقديم الصحة ، واعتبر الوقاية خيرا من العلاج ، وأن الطبيعة لا تقل مقدرة فى إصلاح البدن عن الطبيب ، كما أن القوة الجسدية ضرورة للمريض . وهو يعتبر أول ما قال بصعوبة شفاء المريض بالسل الرئوي وذلك بسبب حركة الرئة ، وعلى أساس أن العضو المريض يحتاج الى السكون ، والذى لا يتوافر فى الرئة الدائمة الحركة بفعل التنفس .

إن أهمية كتاب كامل الصناعة لعلى بن العباس إنما تقاس بمدى أثره فى العصور اللاحقة ، فقد تأثر به الأطباء اللاحقون فى العصور المختلفة ، وامتد هذا الأثر إلى الغرب فى بداية العصور الحديثة الذى عرف على بن العباس باسم هالى أباس Haly Abbas ، وعرف كتابه كامل الصناعة الطبية باسم الكتاب الملكى Liber Regius

. فقد كان هذا الكتاب من الكتب الدراسية الأساسية فى كليات الطب الأوروبية إلى جانب الحاوى للرازى ، والقانون لابن سينا ، والتصريف لأبى القاسم الزهراوى ، والتيسير لابن زُهر حتى القرن السادس عشر . وتجدر الإشارة إلى أن قسطنطين الأفريقى (ت 1087 م) "اللص الوقح" – هكذا يدعى فى تاريخ العلم- ترجم كتاب كامل الصناعة إلى اللغة اللاتينية ونشره باسمه ، وبقى الكتاب يدرس على طلاب الطب الأوروبيين حتى سنة 1127 م حين ظهرت ترجمة أخرى للكتاب ، قام بها "الياس اصطفيان الأنطاكى" الإيطالى الأصل ، ذكر فيها اسم مؤلف الكتاب الحقيقى على بن العباس ، وظلت هذه الترجمة تطبع حتى سنة 1492 ، ولذا عُد الكتاب الملكى من الكتب التى يبدأ بها عهد الطب فى أوربا ، وهو من أفضل ما ألفه المسلمون فى العلوم الطبية .

وفى هذا الكتاب يتضح بصورة جلية أن على بن العباس يعد أول من قال بصعوبة شفاء المريض بالسل الرئوى ، وذلك بسبب حركة الرئة، وعلى أساس أن العضو المريض يحتاج إلى السكون ، والذى لا يتوافر فى الرئة الدائمة الحركة بفعل التنفس. ومن أهم كشوفات على بن العباس الأهوازى: معرفته أن سبب الطلق هو تقلصات الرحم. وكان أول من أشار لضرورة التدخل الجراحى فى مداواة السرطان. وتحدث عن وجود شبكة شعرية من العروق النابضة (الشرايين) ، وأشار على بن العباس إلى وجود الشعيرات الدموية بين الشرايين والأوردة. كما أن له نظرية طبية سليمة عن داء الدرن وعن أمراض النساء ، وتكوين الجنين ، وسرطان الرحم. كما برع فى مجال الجراحة العامة وكانت معلوماته فيها متقدمة على معاصريه ، وحرص على أن ينقل خبراته الجراحية

لتلاميذه ، وأجرى العديد من العلميات الجراحية. أضف إلى ذلك أنه من أوائل من قدم البراهين على أن الرحم ينقبض أثناء الولادة ، فقد قال أبقراط ومن جاء بعده بأن الطفل فى جوف الأم يتحرك بنفسه تلقائياً ويخرج بواسطة هذه الحركة من الرحم. فجاء على بن العباس ليكون أول من قال بحركة الرحم المولدة التى تدفع الثمرة إلى الخروج بواسطة انقباض عضلاته. وبذلك فإنه يقصد أن الجنين يطرد ولا يخرج ذاتياً كما كان يقول أبقراط وغيره. أضف إلى ذلك أنه كتب عن الخراج فى رحم الأم وفى حلقه وعن سرطان الجوف الداخلى . ويعد علي بن العباس " من أوائل من وصف كسر الفك الأسفل في غاية الدقة بواسطة عملية جراحية ، كما وصف معالجة للحالة المسماة الأنورزم.

فصل الزهراوى

أبـو القاسـم خلـف بـن العبـاس (ت404 هـ ـــ 1013م) أكـبر جراحى العرب،ومن كبار الجراحين العالميين ، ومن أساطين الطب فى الأندلس ولـد فـى الزهـراء بقرطبـة، ولـع ى أواخـر القـرن الرابـع، وبدايـة القـرن الخـامس ، وبدايـة القـرن الخـامس الهجـرين "كـان طبيبـا فاضـلا خبيرا باللأدوية المفردة والمركبة ، جيد العلاج وله تصانيف مشهورة فـى صـناعة اطـب، وأفضـلها كتابـه اكـبير امعـروف بـالزهراوى، وكتـاب التصريف لمن عجز عن التأليف ، وهـو أكبر تصانيفه وأشـهرها، وهـو كتاب تام فى معناه " [1] والكتاب ينقسم الى ثلاثة أقسام : قسم طبي ، وثاني صيدلاني ، وثالـث جراحـى ، وهـو أهمهـا ، لأن الزهـراوي أقـام بـه الجراحة علما مستقلا بعد أن كانت تسمى عند العرب (صناعة اليد)

يقول الزهراوي : " لما أكملت لكم يا بنى هـذا الكتـاب الـذى هو جزء العلم فى الطب بكماله ، بلغت فيه من وضوحه وبيانـه ، ورأيت أن أكمله لكم بهذه المقالة ، التى هى جزء العمل باليد لأن العمـل باليـد مخسة فى بلادنا ، وفى زماننا ، معدوم البتة حتى كاد أن ينـدرس علمـه وينقطع أثره .. ولأن صناعة طب طويلة، فينبغى لصـاحبها أن يرتـاض قبـل ذلك فى علم التشريح[2] وعلى ذلك نرى الزهراوى فى هذا الكتاب يـعلم تلاميذه كيفية خياطة الجروح من الداخل بحيث لا يترك أثرا فى الخارج ، وذلـك عـن طريـق اسـتعماله لابـرتين وخـيط واحـد مثبـت بهمـا ، كمـا استعمل خيوط مأخوذة من أمعاء القطط فى جراحة الأمعاء .

---

(1) ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص 501 .

(2) الزهراوي ، التصريف لمن عجز عن التأليف ، طبعة لندن 1778 ، جـ1 ، ص 2 .

إن إسهامات الزهراوى "الأصلية" فى علم الجراحة ترجع إلى اعتماده المنهج العلمى الذى اتصف به كتاب التصريف ، والقائم على الملاحظة الحسية والتجربة التى أولاها أهمية كبرى فى منهجه العلمى قائلاً[1]: واعلموا يا بنى أنه قد يدعى هذا الباب الجهال من الأطباء والعوام ، ومن لم يتصفح قط للقدماء فيه كتابا ، ولا قرأ منه حرفاً ، ولهذه العلة صار هذا الفن من العلم فى بلدنا معدوماً ، وإنى لم ألق فيه قط محسناً البتة ، وإنما استنفدت منه ما استنفدت لطول قراءتى لكتب الأوائل وحرصى على فهمها حتى استخرجت علم ذلك منها ، ثم لزمت التجربة والدربة طول عمرى.

ولم يتعد الزهراوى التجربة والملاحظة الحسية إلى ذكر ظواهر غيبية أو غير طبيعية لا يستطيع العقل تعليلها ، أو إخضاعها لمنهج البحث العلمى، فهو[2] يورد التعليل الفيزيولوجى للمرض ، ويذكر آليته والأساس التشريحى للعلة ، وفى المقالة الثانية من الكتاب عندما يتحدث عن مرض ما ، يفتتح حديثه بالتعريف ، ثم يذكر الأساس النظرى والفيزيولوجى ، ثم يورد الأعراض والعلاقات ، ثم العلاج وسبل الوقاية ، وهذا هو المنهج المتبع اليوم.

ويعد الزهراوي ، أول من ربط الشرايين ، وأول من وصف النزيف واستعداد بعض الأجسام له (هيموفيليا) ، وأول من أجرى عملية استئصال حصى المثانة فى النساء عن طريق المهبل ، واكتشف مرآة خاصة بالمهبل ، وآلة لتوسيع الرحم للعمليات ، وأجرى عملية تفتيت

---

(1) الزهراوى ، التصريف لمن عجز عن التأليف ، تحقيق صبحى محمود حمامى ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى ، ص 57 .

(2) الزهراوى ، المصدر نفسه ، مقدمة المحقق ، ص 26.

الحصاة فى المثانة ، وبحث فى التهاب المفاصل .

والزهـراوي هـو أول مـن نجـح فـى عمليـة شـق القصـبة الهوائيـة Trachomi وقد أجرى هذه العملية على خادمه . كما نجح فى إيقاف نزيف الدم بربط الشرايين الكبيرة ، وهذا فتح علمي كبير أدعى تحقيقه لأول مرة الجراح الفرنسي الشهير امبرواز باري سنتة 1552 ، فى حين أن الزهراوي قد حققه وعلمه تلاميذه قبل ذلك بستمائة سنة .

وإذا كانت الأبحاث الطبية الحديثة قد أثبتت أن مادة الصفراء تساعد على إيقاف تكاثر البكتريا ، فإن الزهراوي قد توصل الى ذلك فى زمانه، فكان يعقم ويطهر الآلات المستعملة فى العمليات الجراحية بنقعها فى الصفراء ، ويأتي اهتمام الزهراوي بتعقيم الآلات وتطهيرها من كثرة استعمالها فى التشريح ، موضوع اهتمامه الرئيس ، يدلنا على ذلك كتابه " التصريف لمن عجز عن التأليف " الذى يتبين منه أنه شرّح الجثث بنفسه ، وقدم وصفا دقيقا لإجراء العمليات الجراحية المختلفة .

وقد أوصى الزهراوى فى جميع العمليات الجراحية التى تجرى فى النصف السفلى من الإنسان بأن يرفع الحوض والأرجل قبل كل شئ . وهذه طريقة اقتبسها الغرب مباشرة عنه واستعملها كثيرا حتى وقتنا هذا ، ولكنها نحلت – زورا وبهتانا – للجراح الألماني ترند لنبورغ وعرفت باسمه دون صاحبها الأصلى الزهراوى. وقبل برسيفال بوت بسبعمائة عام عنى الزهراوي أيضا بالتهاب المفاصل وبالسل الذى يصيب فقرات الظهر والذى سمي فيما بعد باسم الطبيب الإنجليزي بوت، فعرف بالداء البوتي زورا بدلا من الداء الزهراوى! .

ومع ذلك لم يستطع الغربيون إغفال الدور الريادي للزهراوي فى علم الجراحة – فضلا عن نبوغه فى أمراض العين ، والأنف والأذن

والحنجرة ، وأمراض المسالك البولية والتناسلية – فأطلقوا عليه لقب " أبو الجراحة " .

فصل ابن سينا

الشيخ الرئيس، أبو على حسين بن عبد الله المعروف بالشيخ الرئيس ، ولد عام 370 هـ فى قرية قرب بخارى . انتهض أبوه الى تعليمه العلوم ، فتعلم الحساب والفقه والخلاف ، فأجاد ، ثم أخذ يتعلم المنطق والهندسة والهيئة ، فأبدى فى الاشتغال بها والنظر فيها قوة الفطرة واستعداد ، الأمر الذى دفعه الى النظر فى العلم الطبيعي والإلهي ، ثم أنصرفت رغبته الى قراءة الطب ، فاستمر يقرأ ما يظفر به من كتبه حتى حصل منه بالرواية والنظر ، واشتغل بالتطبيق والعمل واستكشاف طرق المعالجة ، ولم يكن إلا قليل حتى برز فيه وصار استاذ المشتغلين به

ومع ذلك تعد الفلسفة ميدان ابن سينا الأول . وقد حلت كتبه فيها محل كتب أرسطو عند فلاسفة الأجيال اللاحقة . ومن مؤلفاته فيها كتابه " الشفاء " الذى يعد دائرة معارف فلسفية ضخمة . وله كتاب " النجاة " وكتاب الإشارات والتنبهات " وهو من أهم كتبه ، إذ هو وسط بين " الشفاء " والنجاة " ألفه فى آخر حياته ، وكان ضنينا به على من ليس مؤهلا لفهمه ، كما كان يوصى بصونه عن الجاهلين ، ومن تعوزهم الفطنة والاستقامة .

أما أهم مؤلفاته فى الطب فكتاب القانون فى الطب وهو من أهم موسوعات الطب العربي الإسلامي ، يشتمل على خمسة أجزاء ، خصص الجزء الأول منها للأمور الكلية فهو يتناول حدود الطب وموضوعاته والأركان ، والأمزجة ، والأخلاط ، وماهية العضو وأقسامه ، والعظام بالعضلات وتصنيف الأمراض وأسبابها بصفة عامة والطرائق العامة للعلاج كالمسهلات والحمامات .. الخ . وخصص الجزء الثاني للمفردات الطبية وينقسم الى قسمين : الأول يدرس ماهية الدواء وصفاته ومفعول

كل من الأدوية على كل عضو من أعضاء الجسم ويسرد الثاني المفردات مرتبة ترتيبا أبجديا . وخصص الجزء الثالث لأمراض كل جزء من الجسم من الرأس الى القدم . أما الجزء الرابع فيتناول الأمراض التى لا تقتصر على عضو واحد كالحميات وبعض المسائل الأخرى كالأورام والبثور والجزام والكسر والجبر والزينة . وفى الجزء الخامس دراسة فى الأدوية المركبة[1].

وترجم القانون فى الطب ترجمات كثيرة من العربية ، وطبع فى نابولي سنة 1492 م وفى البندقية سنة 1544 . وترجمه جيرارد الكريموني من اللغة العربية الى اللغة اللاتينية . ويقول الكريموني أنه قضى قرابة نصف قرن فى تعلم اللغة العربية والتوفر على ترجمة نفائس المكتبة العربية . وكان قانون الشيخ الرئيس أعظم كتاب ، لاقيت فى نقله مشقة وعناء ، وبذلت فيه جهدا جبارا.

وقد ترجم أندريا الباجو القانون فى أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، وتميزت هذه الترجمة عن غيرها بوضع الباجو قاموسا للمصطلحات الفنية التى كان يستعملها ابن سينا ، ونشرت هذه الترجمة عام 1527 م . وترجم جان بول مونجوس القانون ترجمة دقيقة اعتمد عليها اساتذة الطب وطلابه فى العالم خلال فترة طويلة من العصور الوسطى . وجملة القول إن القانون فى الطب لابن سينا طبع باللاتينية أكثر من ستة عشر مرة فى ثلاثين عاما من القرن الخامس عشر الميلادي ، وطبع عشرين مرة فى القرن السادس عشر الميلادي .

ابدع ابن سينا فى معظم الاختصصات الطبية، ومنها مساهمته فى تدشين علم الطب النفسى أو علم النقس الذى عنى به عناية لا نكاد

---

[1] ابن سينا ، القانون فى الطب، طبعة القاهرة القديمة.

نجد لها مثيلاً لدى واحد من رجال التاريخ القديم والوسيط، فألم بمسائله المختلفة إلماماً واسعاً، واستقصى مشاكله وتعمق فيها تعمقاً كبيراً، وأكثر من التأليف فيه إلى درجة ملحوظة. حتى أنه ذكر مصطلح "علم النفس" نصاً فتراه يخصص المقالة الأولى من كتابه "الشفاء" لهذا الميدان، قائلاً :من علم النفس خمسة فصول، الفصل الأول : فى إثبات النفس وتحديدها من حيث هى نفس. الفصل الثانى : فى ذكر ما قاله القدماء فى النفس فى جوهرها ونقضه . الفصل الثالث : فى أن النفس داخلة فى مقولة الجوهر. الفصل الرابع : فى تبيين أن اختلاف أفاعيل النفس لاختلاف قواها. الفصل الخامس : فى تعديد قوى النفس على سبيل التصنيف[1].

وسنتناول إبداعات إبن سينا فى طب العيون وطب الأسنان وطب الأنف والأذن والحنجرة فى فصول قادمة من هذا الكتاب.

---

(1) أنظر مساهمة ابن سينا فى تدشين علم الطب النفسى فى فصل الطب النفسى فيما سيأتى.

فصل بنوزهر

بدأ ظهور عائلة بنى زهر فى الأندلس منذ القرن الخامس الهجرى ، وامتدت الى نهاية القرن السادس الهجرى ، وخلال هذين القرنين عاشت الأندلس ، وبصفة خاصة قرطبة طورا طبيا مزدهرا شغل مكانا مرموقا فى تاريخ الطب العربي ، والعالمي .

وقبل أن ندخل فى تفاصيل هذا الطور الطبي ، أو بالأحرى إنجازات عائلة بنى زهر الطبية والعلاجية ، علينا أن نتساءل عن المقدمات والأسس المعرفية الطبية التى حددت فكر هذه العائلة .

الحقيقة أن عائلة بنى زهر قد أطلعت على التراث الطبي العربي السابق عليها ، والذى يمثله أئمة أطباء العرب والمسلمين ، مثل الرازي ، وابن سينا ، وابن رشد ، وعلى بن العباس والزهراوي .... وغيرهم ، تعرضت العائلة لكتابات ومؤلفات هؤلاء بالدرس والاستيعاب والتحليل ، والتفسير والتبسيط ، الأمر الذى أدى بأفراد هذه العائلة الى التأليف والابتكار فيما بعد . ويمكن الوقوف على ذلك بتتبع أجيال العلماء فيما يلي:

1- **أبو مروان بن زهر** : نشأ رأس هذه الأسرة الطبية الممتدة ، أبو مروان عبد الملك بن الفقيه محمد بن مروان بن زُهر الاشبيلى فى بيت علم ، فوالده محمد كان من جملة الفقهاء والمتميزين فى علم الحديث بأشبيليه. وهذا الأمر كان له تأثيره – بدون شك- فى إقبال الابن على التحصيل والدرس ، فنهل من الطب بمقدار ما نهل أبوه من الفقه . وكما كان الأب قديراً فى الحديث والفقه ، صار الابن فاضلاً فى صناعة الطب ، خبيراً بأعمالها مشهوراً بالحذق .

تنقل أبو مروان بن زُهر بين بلدان المشرق ، وخاصة القيروان ومصر التى تطبب بها زمناً طويلاً ، " ثم رجع إلى الأندلس وقصد مدينة "دانية" .. فأكرمه ملكها إكراماً كثيراً ، وأمره أن يقيم عنده ففعل ، وحظى فى أيامه ، واشتهر فى دانية بالتقدم فى صناعة الطب ، وطار ذكره منها إلى أقطار الأندلس[1]. وكانت أشبيلية محط أنظار القاصى والدانى آنذاك ، فانتقل إليها ، ولم يزل بها إلى أن توفاه الله .

أشتهر أبو مروان باعتماده علي تقويم الصحة ، واعتباره الوقاية خيرًا من العلاج، وأن الطبيعة لا تقل مقدرة في إصلاح البدن عن الطبيب، ومثّل أبو مروان القوة في الأمراض بالزاد ، فآمن بنفع العلاج بالتغذية- وهذه السياسة في المعالجة أخذت من أفكار الرازى- فاهتم في ممارساته الطبية بالوقاية من الأمراض وحفظ الصحة ، لأنه أدرك أن الوقاية خير من العلاج، وحث على الرياضة . واعتمد أبو مروان في ملاحظاته ومشاهداته العلمية على المرض داخل المستشفيات وليس على المعلومات النظرية وحدها. كما قدم نصائح عديدة لزملائه الأطباء وتلاميذه ، فكان يطلب منهم المحافظة على أخلاقيات الطب، والإكثار من العمل في المستشفيات وزيارة المرضي في منازلهم.

2- أبو العلاء بن زُهر :

هو أبو العلاء بن زُهر بن أبى مروان عبد الملك محمد بن مروان ، تعلم وتطبب على أبيه أبى مروان ، وعلى أبى العيناء المصرى ، و درس الأدب والحدث ومؤلفات ابن سينا فى قرطبة.

وعند البحث فى أبى العلاء ، نرى قاعدة التواصل العلمى بين أجيال العلمياء تتحقق بصورة واضحة ، وبصورة أكثر وضوحاً إذا

---

[1]) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ص 517 .

انحسرت هذه القاعدة بين أجيال ترتبط برباط الدم . فكان تعلم أبا العلاء بن زُهر على أبيه ، بالإضافة إلى شيخه المذكور ، بمثابة قاعدة معرفية قوية ، انطلق منها إلى النبوغ المبكر .

يقول ابن حزم فى كتابه "المغرب عن محاسن أهل المغرب" إن أبا العلاء بن زُهر كان مع صغر سنه تصرخ النجابة بذكره ، وتخطب المعارف بشكره . ولم يزل يطالع كتب الأوائل متفهماً ، ويلقى الشيوخ مستعلماً ، والسعد ينهج له مناهج التيسير ، والقدر لا يرضى له من الوجاهة باليسير ، حتى برز فى الطب إلى غاية عجز الطب عن مرامها ، وضعف الفهم عن إبرامها ، وخرجت عن قانون الصناعة إلى ضروب من الشناعة ، يخبر فيصيب ، ويضرب فى كل ما ينتحله من التعاليم بأوفى نصيب ، ويغبر فى وجوه الفضلاء علماً ومحتداً ، ويفوق الجلة سماحة وندى[1] .

يوضح هذا النص مدى الحد الذى وصل إليه أبو العلاء بن زُهر فى الطب وضروبه ، فقد أظهر تفوقاً ونبوغاً ، وذلك يرجع – كما يشير النص – إلى شراهته ونهمه فى التحصيل والممارسة "ويضرب فى كل ما ينتحله من التعاليم بأوفى نصيب" حتى صار- على رأى صاحب العيون- مشهورا بالحذق والمعرفة، وله علاجات مختارة تدل على قوته فى صناعة الطب واطلاعه على دقائقها، ونوادر فى مدواته المرضى.

طبب أبو العلاء للمعتمد بن عباد ملك اشبيلية، ثم فى أغمات منفى المعتمد لتطبيب زوجته الرميكية، ثم عاد إلى الأندلس وخدم بالطب يوسف بن تاشفين الذى عينه وزيراً، وعرف فى القرون الإسلامية (الوسطى) عند الأفرنج باسم الوزير أبى العلاء بن زهر alguazer

(1) ابن حزم، المغرب عن محاسن أهل المغرب، نقلاً عن عيون ابن أبى أصيبعة، م.س، ص 518 .

لعبت الدُرّبة (التجربة) دوراً مهماً فى منهج أبى العلاء بن زُهر الطبى والعلاجى ، فكان لا يعوّل كثيراً على ما هو مدوّن فى كتب الطب النظرية من معلومات وعلاجات ، وفى مقابل ذلك قام بإجراء التجارب التى تثبت صحة رأى من عدمه ، وتوسع فى التجارب العلاجية ، وخاصة التى تعطى لأول مرة ، حتى أنه بسط لها كتاباً سماه "رسائل ومجربات" سجل فيه كثيراً من التجارب الطبية والعلاجية التى قام بها ، وعالج من خلالها مرضاه ، وبعد نجاحها دوّنها فى هذا الكتاب ، ومنها ما يلى[1] :

جربت أقراص الصبر والجلنجبين السكرى ، والمصطكى بماء الأينسيون للصداع والوجع فى الأذن ، وجربت ماء الشعير مع ماء الرمان للفواق ، وجربت دهن القسط والجلنجبين والمصطكى للفالج ، وجربت دهن البنفسج وفلوس الخيارشنبر ، وماء الشعير والغذاء قلايا للتشنج ، وجربت حب القوقايا ، والسويق اليابس ، والغذاء قلايا لكثرة جريان الدموع فى العين .

ولابتداء نزول الماء فى العين جربت عصر ماء الرازيانج فيها ، وتناول الأطريفل واستعمال السكبينج. وجربت الشياف الأبيض وشرب ماء الرمان المز والغذاء طفشيل للضربان فى الأذن. ولسخونة الرأس والنزلة والزكام ، جربت صب الماء البارد على اليافوخ وشرب نقيع البنفسج مع إهليلج أصفر محلى بسكر. ولوجع الأسنان والتأذى بالماء البارد ، جربت تدليك الأسنان بدواء الفلدفيون وشرب حب الأيارج

([1]) أبو العلاء بن زُهر ، رسائل ومجربات ، مخطوط معهد ولكم للتأريخ الطبى ، لندن رقم 87 ، ورقة 3 ظهر ، 5 وجه.

والغذاء اسفيداج أو ماء حمص أو عسل[1].

وللوجع والضيق فى الحلق ، جربت الغذاء بالاسفاناخ بدهن اللوز ، والتغرغر بالسكنجبين ، ثم شرب ماء الشعير. وجربت أقراص الورد بالجلنجبين للوجع فى المعدة. وجربت حب الصبر بالليل ، وأقراص الكوكب بالنهار لفساد الطعام فى المعدة. وللحموضة فى المعدة وقذف الطعام ، جربت التقيأ بالفجل والعسل والسكنجبين ، وطعام خبز البصل[2] . وجربت مربى البنفسج مع جلنجبين وشرب حب الأيارج ، والغذاء زيت وخل للسعال وخشونة الصدر[3]. وجربت طبيخ البرشياوشان مع حب الآس لذات الجنب[4]. وللوجع فى الخاصرة جربت الحقنة بدهن أو سمن بقر أو دهن لوز ولعاب بزور كتان والتدليك بدهن بنفسج[5]. وجربت أقراص الطباشير بماء الرمان المز لوجع المفاصل[6] . وجربت للقولنج مع حرارة[7] البنفسج اليابس والتين الأصفر ولحم الزبيب وأصل السوسن ، يطبخ الجميع بالماء ، ويؤخذ منه ثلاث أواق. وجربت لضعف القلب شرب أقراص الأميرباريس ، والرائب ، ومداومة شرب السكنجبين بالأفاوية. وجربت للورم فى الكبد[8] فلوس الخيارشنبر يمرس فى ماء الهندباء ، ويلقى عليه درهمين لوز حلو ويضمد بالصندل وماء ورد ، والغذاء زيت وخل. وللاستسقاء[9] جربت فلوس الخيارشنبر فى ماء الهندباء ، وأقراص الورد وماء الآس والسفرجل ولوز حلو ومر.

---

(1) أبو العلاء بن زُهر ، رسائل ومجربات ، ورقة 7 وجه ، 9 ظهر .
(2) أبو العلاء بن زُهر ، رسائل ومجربات ، ورقة 12 ظهر .
(3) أبو العلاء بن زُهر ، المصدر نفسه ، ورقة 13 ظهر .
(4) ذات الجنب Pleurisy : هو البرسام أو التهاب الرئة.
(5) المصدر نفسه ، ورقة 14 ظهر.
(6) المصدر نفسه ، ورقة 22 وجه.
(7) المصدر نفسه ، ورقة 16 وجه.
(8) المصدر نفسه ، ورقة 17 ظهر .
(9) المصدر نفسه ، ورقة 19 وجه.

وجريت لورم الطحال[1]: حب القوقايا ومعجون الصدع ، والتعطيس بالكُندى. وللقرحة فى المثانة[2]: جريت فلوس الخيارشنبر مع شراب البنفسج وأقراص الكاكنج.

ومن المثير أن يؤدى تضلع ابن زُهر فى علم الطب إلى عدم إعجابه بكتاب " القانون فى الطب" لابن سينا ، بل وينزله منزل الاستهزاء بأن جعل يقطع من طرره (حاشيته) ما يكتب فيه نسخ الأدوية لمن يستفتيه من المرضى . وهنا يكون ابن زُهر قد خرج عن مبادئ الأخلاق العلمية التى لا تسمح بمثل هذه الأفعال المشينة على الإطلاق . فقانون ابن سينا له قيمته العلمية منذ زمانه وحتى الآن . وما فعله ابن زُهر يشير إلى أن الكتاب ليس له أى قيمة ، وهذا خطأ تاريخى فادح وقع فيه ابن زُهر بدون أى مبرر منه ، ولو كان محقاً فيما ادعاه ، لكان أولى به أن يصنف كتاباً فى الرد على ابن سينا مثلما صنف "مقالة فى الرد على أبى على بن سينا فى مواضع من كتابه فى الأدوية المفردة" ، ومثلما وضع كتاب الإيضاح بشواهد الافتضاح فى الرد على ابن رضوان فيما رده على حنين بن اسحق فى كتاب المدخل إلى الطب .

ومع ذلك فإن هذا الجانب الأخلاقى "الشخصى" عند أبى العلاء بن زُهر ، وقد عُرف ببذاءة اللسان ، لا يمكن أن يقلل من قيمته العلمية فى زمانه ، وفى العصور اللاحقة فقد أثرى الحركة الطبية العربية فى الأندلس ، كما أثر فى الأجيال اللاحقة ، وأفاد تاريخ الطب بما قدمه من إنجازات ، وما تركه من مؤلفات ، أهمها بخلاف ما ذُكر : كتاب الخواص ، كتاب الطرر فى الطب، كتاب الأدوية المفردة (لم يكمله) ، كتاب حل شكوك الرازى على كتب جالينوس ، مقالة فى بسطه

([1]) المصدر نفسه ، ورقة 16 ظهر.

([2]) المصدر نفسه ، ورقة 24 وجه.

لرسالة يعقوب بن اسحق الكندى فى تركيب الأدوية، كتاب رسائل ومجربات.

3- أبو مروان بن أبى العلاء بن زُهر (ت 557 هـ - 1161 م) :

لحق بأبيه فى صناعة الطب والدرس والتعلم عليه ، سائراً فى نفس الاتجاه العام للعائلة ككل ، متأثراً بمن سبقه ، ومحافظاً على نفس التقاليد العلمية ، فصار جيد الاستقصاء فى الأدوية المفردة والمركبة ، حسن المعالجة ، ومع مرور الوقت فى التمرس بالصنعة ، صار أحد زمانه ، ولم يوجد من يماثله فى مزاولة أعمال الطب وخاصة تجاربه الكثيرة فى تأتيه لمعرفة الأمراض ومداواتها مما لم يسبقه أحد من الأطباء إلى مثل ذلك .

خدم ملوك دولة الملثمين فى الأندلس ، ونال من جهتم من النعم شيئاً كثيراً ، واختصه عبد المؤمن مؤسس الموحدين فى المغرب ، الذى استقل بالملكة ، وعُرف بأمير المؤمنين ، وأظهر العدل ، وقرب أهل العلم وأكرمهم ، ووالى إحسانه إليهم ، واختص أبا مروان عبد الملك بن زُهر لنفسه ، وجعل اعتماده عليه فى الطب وكان مكيناً عنده ، عالى القدر ، وألف له الترياق السبعينى ، واختصره عشارياً ، واختصره سباعياً . و يعرف بترياق الأنتلة[1] .

دخل أبو مروان بن أبى العلاء بن زُهر فى صلات علمية مع الفيلسوف والطبيب الكبير ابن رشد الذى أثنى على ابن زُهر وتفوقه الطبى ، فألف له ابن زُهر كتابه الأشهر " التيسير فى المداواة والتدبير" ، ويبدو أن ابن رشد قد أمره بذلك على ما يذكر ابن زُهر نفسه من "إنه

---

(1) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ن ص 519 -520 .

مأمور فى تأليفه"[1] .

وإن كان بعض المؤرخين يرى أن ابن زُهر ألف كتابه بدون طلب أو أمر من أحد، حيث يجمع الكتاب خلاصة التعاليم والممارسات والتجارب التى اكتسبها المؤلف، كما انتهى من تأليفه قبل وفاته بعدة سنوات. وأشار البعض الآخر إلى أن منهج تأليف كتاب "التيسير" يسبق زمانيا منهج تأليف كتاب "الكليات" لابن رشد.

لكن ابن رشد يحسم هذا الخلاف بنفسه وذلك بما دوّنه فى كتاب الكليات، حيث يقول[2] : فهذا هو القول فى معالجة جميع أصناف الأمراض بأوجز ما أمكننا وأبينه، وقد بقى علينا من هذا الجزء القول فى شفاء عرض من الأعراض الداخلة على عضو من الأعضاء..نجمع فى أقاويلنا هذه إلى الأشياء الكلية، الأمور الجزئية، فإن هذه الصناعة أحق صناعة ينزل فيها إلى الأمور الجزئية ما أمكن، إلا أنّا نؤخر هذا إلى وقت نكون فيه أشد فراغا.. فمن وقع له هذا الكتاب دون هذا الجزء، وأحب أن ينظر بعد ذلك إلى الكنانيش، فأوفق الكنانيش له الكتاب الملقب بالتيسير الذى ألفه فى زماننا هذا أبو مروان بن زُهر، وهذا الكتاب سألته أنا إياه وانتسخته، فكان ذلك سبيلا إلى خروجه.

ولم يكن طلب ابن رشد هو الدافع الوحيد لتأليف ابن زهر كتاب "التيسير"، بل كان هناك دافع آخر تمثل فى إكراه السلطة السياسية له على التأليف، واتضح هذا الإكراه جليا فى زيل الكتاب الذى سماه ابن زهر "الجامع"، ووصفه بالمنحط، يقول ابن زهر[3]: ولقد

---

(1) حاجى خليفة ، كشف الظنون عن اسمى الكتب والفنون ، طبعة استانبول 1941 ، جـ 2 ، ص 520 .

(2) ابن رشد ، الكليات فى الطب ، دار صادر ، بيروت (د.ت) ، ص 402.

(3) أبو مروان عبد الملك بن زهر، التيسير فى المداواة والتدبير ، مخطوط مكتبة البودليان ، اكسفورد رقم 255 ، ورقة 1 وجه.

دخلّ عليّ فى خلال وضعى له من كان كالموكل عليّ فيه، فلم يرضه منى ذلك،وقال إن الانتفاع به لمن لم يجيدوا شيئا من أعمال الطب بعيد، وأنه ليس على ما أمر به الأمير، ولا على غرض مما يريد،فذيلته حينئذ بجزء منحط الرتبة سميته "الجامع" ألفته مضطرا، وخرجت فيه عن الطريقة المثلى كارها،ووضعته بحيث إنه لا يخفى على المريض ولا على من حول المريض.

وقد أدت أهمية موضوعات الكتاب بابن رشد إلى أن يصرح فى كتابه "الكليات" بأن أعظم طبيب بعد جالينوس هو ابن زُهر صاحب كتاب "التيسير". فقد كانت له معالجات مختارة تدل على قوته فى صناعة الطب، وله نوادر فى تشخيص الأمراض ومعرفة آلام المرضى دون أن يسألهم عن أوجاعهم، إذ كان يقتصر أحياناً على فحص أحداق عيونهم، أو على جس نبضهم، أو على النظر إلى قواريرهم.

منهج البحث العلمى:

اهتم أبو مروان بن زُهر- مثله مثل معظم أطباء الحضارة الإسلامية- اهتماما بالغا بالمنهج التجريبى فى العلوم الطبيعية، وخاصة الطبية منها،فما تثبته التجربة،فحق ويؤخذ به، وما لم تثبته التجربة فباطل، حتى وإن قائله من فطاحل الأطباء كابقراط وجالينوس والرازى، أولئك الذين اطلع ابن زُهر على أعمالهم الطبية، ودرسها، واستشهد بآرائهم كثيرا، إلا أن ذلك لم يأت إلا بعد نقد وتمحيص، وإقرار التجربة بذلك "فمدار أمرنا على التجربة[1]".

([1]) أبو مروان عبد الملك بن زُهر، كتاب الأغذية، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم 2964، ورقة 29 ظهر.

وإذا كان ابن زهر قد عوّل على الاحتكام إلى التجربة كمحك يفصل به بين الحق والباطل فيما يقبله من آراء، فقد ساعده هذا كثيرا فى التشخيص السليم للأمراض باعتباره الأساس الذى يقرر على ضوئه العلاج المفيد، فلقد أثبتت التجربة فيما مضى أن هذا المرض يسبقه كذا وكذا من الأغراض، فإذا لاحظ الطبيب هذه الأعراض، فسرعان ما يقرر المرض الذى يشكو منه المريض بناء على سابق خبرته من كثرة المشاهدات والتجارب، والتى يقرر على ضوئها العلاج المناسب.

فينبغى على الطبيب ألا يقتصر على قراءة الكتب النظرية فى تشخيصه للأمراض، بل عليه أن يكون كثير الممارسة والتجربة والاعتناء بدقة فحص المريض حتى يصل إلى تشخيص سليم للمرض، ولا يكون كأطباء عصر ابن زهر، هؤلاء الذين انتقدهم لاختلافهم فى الاعتناء بالمرضى "فالطبيب الذى يستثيره مريض من المرضى، يبادر فيصف له دواء من الأدوية دون فحص وتمحيص للحالة فى جميع خواصها"[1].

لقد اهتم ابن زهر بالملاحظة الوصفية، إحدى مراحل المنهج العلمى الحديث، فكان ينصح بضرورة ملاحظة الحالة جيدا حتى يسهل على الطبيب الوصول إلى تشخيص سليم لها. ولقد سجل ابن زُهر فى مؤلفاته كثيراً من ملاحظاته لحالات مرضية مختلفة الأمراض، وتابعها حتى وصل إلى تشخيصها تشخيصا سليما ومعرفة أسبابها، ومن أمثلة ذلك ما يلى:

كان ابن زهر فى وقت مروره إلى دار أمير المؤمنين بإشبيلية، يجد فى طريقه مريضا به مرض فى الأمعاء وقد كبر جوفه واصفر

([1]) أبو مروان عبد الملك بن زُهر، الاقتصاد فى إصلاح الأنفس والأبدان، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم 2960، ورقة 8 ظهر.

لونه، فكان أبدا يشكو إليه حاله ويسأله النظر فى أمره، فلما كان فى بعض الأيام سأله مثل ذلك، فوقف أبو مروان بن زهر عنده، وفحصه، فوجد عند رأسه إبريقا عتيقا يشرب منه الماء، فقال: اكسر هذا الإبريق فإنه سبب مرضك، فقال: لا بالله يا سيدى فإنه مالى غيره فأمر بعض خدمه بكسره، فكسره، فظهر منه ضفدع وقد كبر مما له فيه من الزمن، فقال له ابن زهر: خلصت يا هذا من المرض، انظر ما كنت تشرب، وبرئ الرجل بعد ذلك[1].

المنهج العلاجى وتقدمة الإنذار:

وقد تميز ابن زُهر بابتكار أساليب علاجية غير مألوفة وخاصة مع الأدوية التى لا يستسيغها بعض المرضى . يذكر ابن أبى أصيبعة[2] أن الخليفة عبد المؤمن احتاج إلى شرب دواء مسهل ، وكان يكره شرب الأدوية المسهلة ، فتلطف له ابن زُهر فى ذلك ، وأتى إلى كرمة فى بستانه فجعل الماء الذى يسقيها به قد أكسبه قوة أدوية مسهلة ، بنقعها فيه ، أو بغليانها معه. ولما تشربت الكرمة قوة الأدوية المسهلة التى أرداها ، وطلع فيها العنب ، وله تلك القوة ، أحم الخليفة ، فأتاه ابن زُهر بعنقود منها وأشار عليه أن يأكل منه ، فأكل عشر حبات ، فوجد الراحة ، واستحسن من ابن زُهر هذا الفعل ، وتزايدت منزلته عنده. وهذه الطريقة العلاجية المبتكرة قد انتحلها عالم الأحياء والزراعى الروسى "ميتشورين" ونسبها إلى نفسه فى العصر الحديث!

إن هذه الحالة تشير بوجه من الوجوه إلى المنهج العلاجى الغذائى الذى اتبعه أبو مروان بن زُهر ، فقد اعتمد هذا المنهج جُل اعتماده على

---

(1) أبو مروان بن زُهر، الاقتصاد فى إصلاح الأنفس والأبدان ، ورقة 11 ظهر .
(2) العيون ، ص 520 .

الغذاء ، وكان يفضل – متأثراً بالرازى- الاعتماد أولاً على الغذاء فى المعالجات قبل الأدوية المفردة . وقد ضمن أبو مروان بن زُهر منهجه العلاجى هذا فى ثانى أهم كتبه ، وهو كتاب "الأغذية" الذى ألفه وأهداه لمحمد عبد المؤمن بن على أمير دولة الموحدين، وكان له أثر قوى فى تقدم الفن العلاجى فى العصور اللاحقة .

والكتاب من أحسن نماذج هذا النوع من الكتب التى يحفل بها التراث الطبى الإسلامى، ذلك أن أطباء الحضارة الإسلامية قد انطلقوا من قاعدة ثابتة مؤداها : حفظ الصحة موجودة، واستردادها مفقودة.وتحفظ الصحة بوسائل عديدة وأهمها الغذاء، ومنها النوم واليقظة والاستحمام والرياضة والحركة والسكون.. والطبيب يحاول استرداد الصحة واستعادتها إذا انحرفت،وذلك بالتحكم فى الأمور جميعا، ويعالج، إن استطاع، بالغذاء دون الدواء.

وينصح ابن زهر الناس فى كتابه بأن يتحكموا فى عادات طعامهم وشرابهم ونومهم ومسكنهم ورياضتهم حتى يحفظوا صحتهم. وقد أورد ابن زهر فى كتابه أسماء لأغذية ونباتات وحيوانات ما يزال الكثير منها مستخدما حتى الآن، ومنها[1]: البسباسة، هى قشور جوز الهند، الخرشف، نبات شائك يتداوى به، الدلاع، هو البطيخ الشامى بلغة المغرب، السكنجبين، كلمة فارسية تعنى شراب مؤلف من عسل وخلّ، والمراد كل حامض وحلو.

وفى كتابه الاقتصاد فى إصلاح الأنفس والأبدان، درس ابن زُهر وأوضح حاجة الجسم إلى الصيانة فى حال الصحة، وفى أوقات المرض، فدرس الأمراض ومسبباتها، وطرق انتقالها، وأشار إلى ما يعنيه

(1) أبو مروان بن زُهر ، كتاب الأغذية ، مواضع مختلفة .

حاليا علم الصحة العامة من توازن لوظائف الجسم التى تنجم عن تكيفه مع البيئة التى يحيا فيها، ولذلك أكد الحاجة إلى تدبير المساكن والأهوية والمياه، والعلاقة المتبادلة بينها، وتأثير الحرارة والبرودة على الإنسان، والحاجة إلى الغذاء، صنعته، وأوقاته، وتدبيره، وترتيبه، وموافقة الطعام لمزاج الفرد، وهو ما يأخذ به علم التغذية الحديث.

عاصر أبو مروان عبد الملك بن زُهر لأطباء أخر فى اشبيلية، اشتهر منهم واحد عرف"بالفار"، حكيم فاضل فى صناعة الطب، وله كتاب جيد فى الأدوية المفردة، سفران.

ومن أبلغ ما كان من تقدمة الإنذار لدى أبى مروان والفار ما روى عنهما من إنذار كل منهما الآخر بعواقب مرضه، يذكر ابن أبى اصيبعة[1]: أن أبا مروان بن زُهر كان كثيرا ما يأكل التين ويميل إليه، وكان الطبيب المعروف بالفار لا يغتذى منه بشيئ، وإن أخذ منه شيئا فيكون واحدة فى السنة، فكان يقول لأبى مروان بن زُهر: إنه لابد أن تعرض لك نغلة صعبة بمداواتك أكل التين -والنغلة هو الدبيلة- وكان أبو مروان يقول له: لابد لكثرة حميتك وكونك لم تأكل شيئا من التين أن يصيبك الشناج. ولم يمت الفار إلا بعلة التشنج، وكذلك عرض لأبى مروان بن زُهر دبيلة فى جنبه، وتوفى بها. وهذا من أبلغ ما يكون من تقدمة الإنذار.

ج- مدرسة ابن زُهر العلمية:

بلغ أبو مروان بن زُهر شأو عظيما فى علم الطب، وحصّل من فروعه المختلفة ما لم يحصّله أحد فى زمانه، وصنف فيه المؤلفات التى يفيد منها طلاب العلم ودارسيه.وكما حرص أبو مروان على معالجة

---

(1) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص 520.

مرضاه، اهتم بنفس القدر بتعليم تلاميذه، والتلاميذ فى أى فترة من الفترات إنما يعبرون عن فكر "الأستاذ" ومنهجه وتوجه العلمى داخل المدرسة العلمية التى يؤسسها الأستاذ، ويلتحق التلاميذ بها.ولقد استطاع أبو مروان بن زهر أن يؤسس مدرسة علمية ضمت إلى جانبه كأستاذ تلاميذ كُثر، تعلموا عليه وتدربوا حتى اتقنوا الصناعة، فتخرجوا ممارسين للفن الطبى، ومحافظين على التقاليد العلمية التى أرساها فيهم الأستاذ.ومن أهم أعضاء مدرسة أبى مروان بن زُهر ما يلى:

1- أبو الحسن الزهرى:

هو أبو بكر بن الفقيه القاضى أبو الحسن الزهرى القرشى قاضى إشبيلية، مولده ونشؤه بإشبيلية، وكان جوادا كريما حسن الخلق شريف النفس، اشتغل بالأدب، وتميز فى العلم، وكان أحد الفضلاء فى صناعة الطب والمتعينين فى أعمالها وخدم بالطب لأبى على بن عبد المؤمن صاحب إشبيلية، وكان يطبب الناس بدون أجرة.

وعن سبب تعلمه الطب وعلى من تعلم، يقول أبو الحسن الزهرى[1]: إننى كنت كثير اللعب بالشطرنج ولم يكد يوجد من يلعب مثلى به فى إشبيلية إلا القليل، فكانوا يقولون أبو بكر الزهرى الشطرنجى، فكان إذا بلغنى ذلك اغتاظ منه ويصعب علىّ، فقلت فى نفسى لابد أن اشتغل عن هذا بشيئ غيره من العلم لأنعت به، ويزول عنى وصف الشطرنج، وعلمت أن الفقه وسائر الأدب لو اشتغلت به عمرى كله، لم يخصنى منه وصف انعت به، فعدلت إلى أبى مروان عبد الملك بن زهر واشتغلت عليه بصناعة الطب، وكنت أجلس عنده واكتب لمن جاء مستوصفا من المرضى الرقاع، واشتهرت بعد ذلك بالطب وزال عنى

(1) المرجع السابق، ص 536.

ما كنت أكره الوصف به.

وعاش أبو الحسن الزهرى خمسا وثمانين سنة،وتوفى فى دولة المستنصر، ودفن بإشبيلية.

2- أبو محمد الشذونى:

مولده ومنشؤه بإشبيلية، وكان ذكيا فطنا،وله معرفة جيدة بعلم الهيئة والحكمة واشتغل بصناعة الطب على أبى مروان عبد الملك بن زهر،ولازمه مدة من الزمان، وباشر أعمالها، وكان مشهورا بالعلم، جيد العلاج، وخدم الناصر لدين الله بالطب، وتوفى بإشبيلية فى دولة المستنتصر[1].

3- المصدوم:،

هو[2]: أبو الحسين بن أسدون، ولد ونشأ وتعلم وتتلمذ على أبى مروان عبد الملك بن زهر بإشبيلية، واشتهر بالمصدوم. كان متدينا كثير الخير،معتنيا بصناعة الطب، مشهورا بها،أديبا شاعرا، وخدم المنصور بالطب، وتوفى فى إشبيلية سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

انجازات ابن زُهر وأثرها فى اللاحقين:

صنف أبو مروان مؤلفات أخرى ، لا تقل أهمية عن "التيسير فى المداواة والتدبير" و "كتاب الأغذية والأدوية" ، و"كتاب الاقتصاد فى إصلاح الأنفس والأجساد"، وإن كانت أقل شهرة ، وهى : مقالة فى علل الكُلى(مفقود) ، كتاب مختصر حيلة البُرء لجالينوس، كتاب الزينة ، وهو عبارة عن تذكرة إلى ولده أبى بكر فى أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه ،كتاب تذكرة فى الدواء المسهل،كتاب القانون المقتضب،

(1) المرجع نفسه ، ص 535.
(2) المرجع نفسه ، ص 535.

رسالة فى تفضيل العسل على السكر، رسالة كتب بها إلى بعض الأطباء بأشبيليه فى علل البرص والبهق (مفقود) ، وضعه لابنه أبى بكر فى بداية تعلقه بعلاج الأمراض .

وترجع أهمية كل هذه المؤلفات إلى ما ضمنه فيها صاحبها من إنجازات ، فهو أول من قدم وصفاً سريرياً – متأثراً بالرازى – لالتهاب الجلد الخام ، وللالتهابات الناشفة والانسكابية لكيس القلب ، وبوصفه للوباء، وصل إلى مفهوم التجرثم microbic الحديث "فقد جرت عادة الناس إقاعهم هذا الاسم على(وباء) على الأمراض التى تصيب أهل بلد من البلاد، وتشمل أكثرهم، وهذا إنما يكون لما يشترك الناس فى استعماله فيصيبهم"[1]، وقد أدى به هذا إلى أن يكون أول من اكتشف جرثومة الجرب وسماها "صؤابة" ، ذلك الاكتشاف المثير الذى يأخذ به علم الطفيليات والأحياء المجهرية إلى اليوم. و هو أول من ابتكر الحقنة الشرجية المغذية ، والغذاء الصناعى لمختلف حالات شلل عضلات المعدة . كما يعتبر أول من استعمل أنبوبة مجوفة من القصدير لتغذية المصابين بعسر البلع ، وقدم وصفاً كاملاً لسرطان المعدة .. إلى غير ذلك من الإنجازات الطبية والعلاجية التى جعلت صاحبها أشهر وأكبر أعلام الطب العربى فى الأندلس ، وعملت على تطور وتقدم علم الطب فى العصور اللاحقة حتى وصلت إلى الغرب الذى عرفه باسم Avenzorar ، وعَدَه أعظم من ابن سينا ، ولا يَعدله فى الشرق سوى الرازى ، والاثنان قد قدما من المآثر ما أفادت الإنسانية جمعاء .

([1]) أبو مروان عبد الملك بن زهر، كتاب الأغذية ، ورقة 17 ظهر.

4- الحفيد أبو بكر بن زُهر (ت 596 هـ / 1199 م) :

هو أبو بكر محمد بن أبى مروان بن أبى العلاء بن زُهر ، الأشبيلى ، يمثل الجيل الرابع فى عائلة ابن زُهر ، وبه تتأكد وتستمر التقاليد العلمية سائدة فى تلك العائلة . إذ ثبت عندهم أن يتعلم الأبناء صناعة الطب على الأباء . وكما تعلم أفراد الأجيال السابقة على آبائهم ، نرى الحفيد يتعلم أيضاً على أبيه الصناعة وبشقيها النظرية والعملية ، فكان يقرأ عليه الكتب النظرية ، ويباشر فى الوقت نفسه ممارستها السريرية معه ، وتحت إشرافه .

عُرف الحفيد بحبه لفروع أخرى من العلم ، وخاصة العلوم الشرعية التى كان ملازماً لأمورها ، وتفوق فى دراسة الفقه من بينها ، إذ لازم عبد الملك الباجى الفقيه سبع سنين يتعلم ويقرأ عليه كتاب المدونة لعبد السلام سخنون فى فقه الإمام مالك . كما قرأ عليه أيضاً مسند أبى شيبة ، وحفظ شعر ذى الرمة وهو ثلث اللغة ، واشتغل بعلم اللغة والأدب، حتى صار أعلم أهل زمانه فيه . ويبدو أن مثل هذه الدراسات مع متانة دينه وحفظه لكتاب الله وسماعه الحديث، جعلته يتقن دراسة علم الطب ، ويبرز تفوقاً كبيراً فيه ، حتى صار متفرداً ، لم يكن فى زمانه أعلم منه فى صناعة الطب وما يتعلق بها من فروع . وليس أدل على ذلك من تصدره لخدمة ملوك دولة الملثمين ، وملوك دولة الموحدين ، هؤلاء الذين شهدوا له بصواب الرأى ، وحسن المعالجة ، وجودة التدبير ، ووصف بأنه أكمل صناعة الطب والأدب ، وعانى عمل الشعر أجاد فيه ، ونظم موشحات مشهورة لا تزال تردد حتى اليوم.

وهذه الصفات التى توفرت فى أبى بكر بن زُهر إنما ترجع إلى أنه كان كثير (التجربة) ، وخاصة فى إقرار دواء جديد ، أو فى اختيار

ما هو سائد من الأدوية ، فالتجربة لديه هي المحك أو المعيار ، الذى به يقرر صحة الأدوية من عدمها ، حتى لو كان مركب الدواء من أساطين الطب كأبقراط وجالينوس والرازى .. وغيرهم ، وحتى لو كان والده الذى تعلم عليه . يذكر أبن أبى أصيبعة أن والد الحفيد كان قد كتب يوماً نسخة دواء مسهل لعبد المؤمن الخليفة ، ولما رآه أبوه قال : يا أمير المؤمنين إن الصواب فى قوله "وبدل الدواء المفرد بغيره فآثر نفعاً بيناً

ولأبى بكر الحفيد عدد من المؤلفات والرسائل الطبية ، أهمها وأشهرها ، كتاب " الترياق الخمسينى" الذى ألفه للمنصور أبى يوسف يعقوب .

وتوفى الحفيد مسموما فى أول دولة أبا عبد الناصر[1] بمعرفة وزير المنصور أبى عبد الرحمن بن يوجان الذى كان يعادى الحفيد لمّا علت منزلته ، وعظم حاله ، وصير له سم مع أحد خدام الحفيد ، و قدمه له فى بيض ، فاكله الحفيد هو وأخته طبيبة نساء القصر ، فساءت حالتهما ولم ينفع معهما علاج ، وماتا.

جماعة ومدرسة الحفيد العلمية :

بقى أن أشير إلى جانب هام من جوانب البحث فى الحفيد ، وهو أنه قد مارس العمل العلمى الجماعى ، واستطاع أن يكون جماعة علمية ، ضمت معه أخته ، وبنت أخته اللتان أظهرتا نبوغاً فى الطب وممارسته ، وخاصة فيما يتعلق " بطب النساء" لدرجة أن الخليفة المنصور قد اختصها بتطبيب نسائه. وكل ذلك بفضل انتمائها إلى جماعة الحفيد العلمية ، تلك التى ضمت أيضا أعضاء أخر من خارج الأسرة الدموية

([1]) محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، الناصر لدين الله ، من خلفاء دولة الموحدين التى ضمت فى أيامه أفريقيا والغرب الأقصى والأندلس ، وتوفى سنة610 هـ/1213م.

كأبى جعفر بن الغزال، ولد بقنجيرة من أعمال المرية وأتى إلى الحفيد أبى بكر بن زُهر، ولازمه حق الملازمة، وقرأ عليه صناعة الطب حتى أتقنها، وخدم المنصور بالطب، كان خبيرا بتركيب الأدوية ومعرفة مفرداتها، وكان النصور يعتمد عليه فى الأدوية المركبة والمعاجين ويتناولها منه[1]، وتوفى أبو جعفر بن الغزال فى أيام الناصر لدين الله.

وضع الحفيد مبادئ وأسس تعليمية فى جماعته ومدرسته العلمية تكاد تتفق مع ما هو معمول به حاليا، بل ربما تفوقه، حيث حرص الحفيد على التدرج بالمتعلم من علم إلى علم، ومن فن إلى فن على حسب نضج المتعلم وقوة عقله، ومن ذلك[2]: أن اثنين من الطلبة أتيا إليه ليشتغلا عليه بصناعة الطب، فلازماه مدة فى دراسة كتب الطب، ثم أتياه يوما، وبيد أحدهما كتاب صغير فى المنطق، وكان يحضر معهما أبو الحسين المعروف بالمصدوم، وغرضهم أن يشتغلوا فيه. فلما رآه الحفيد، نهض ليضربهم، ففروا منه، وبقوا منقطعين عنه أياما لا يجسرون أن يأتوا إليه، ثم توسلوا إلى أن حضروا عنده واعتذروا بأن ذلك الكتاب لم يكن لهم.. وبعد مديدة أمرهم الحفيد أن يجيدوا حفظ القران، وأن يواظبوا على مراعاة الأمور الشرعية والإقتداء بها، فلما امتثلوا أمره، وأتقنوا معرفة ما أشار به عليهم، كانوا يوما عنده، وإذ به يخرج لهم الكتاب الذى رآه معهم فى المنطق، وقال لهم: الآن صلحتم لأن

([1]) كان المنصور قد أبطل الخمر،وشدد بان لا ياتى بشيئ منه إلى الحضرة أو يكون عند أحد،فلما كان بعد ذلك بمدة،قال المنصور لأبى جعفر بن الغزال:اريد ان تجمع حوائج الترياق الكبير وتركبه،فامتثل امره وجمع حوائجه واعوزه الخمر الذى يعجن به أدوية الترياق،وانهى ذلك إلى المنصور،فقال له تطلبه من كل ناحية،وانظر لعل يكون عند أحد منه ولو شيئ يسير لنكمل الترياق،فتطلبه أبو جعفر من كل أحد ولم يجد شيئا منه،فقال المنصور:والله ما كان قصدى بتركيب الترياق فى هذا الوقت إلا لأعتبر هل بقى من الخمر شيئ عند أحد أم لا (ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص522).

(2) المرجع السابق ، ص 523.

تقرءوا هذا الكتاب وأمثاله علىّ، فتعجبوا من فعله، وهذا يدل على كمال العقل والخبرة فى تحصيل العلوم.

ولقد تميزت جماعة الحفيد العلمية بسيادة مبدأ التعاون بين أعضائها ، الأمر الذى انعكس أثره على نشاط الجماعة ككل ، واستطاعت أن تأخذ مكانها اللائق فى عائلة بنى زُهر الطبية "الممتدة" تلك التى تشغل مكاناً رئيساً ليس فى تاريخ الطب العربى فحسب، بل والعالمى.

5- أبو محمد بن الحفيد أبى بكر بن زُهر (ت 602هـ/1205 م)

هو أبو محمد عبد الله بن الحفيد أبى بكر بن أبى مروان عبد الملك بن أبى العلاء بن زُهر ، يمثل الجيل الخامس من أجيال علماء بنى زُهر . ألزمته التقاليد العلمية الخاصة بالعائلة – كما ألزمت أسلافه- أن يتعلم ويشتغل على والده الذى أوقفه على كثير من أسرار علم الصناعة وعملها . فقرأ عليه أمهات كتب الطب النظرية ، ومارس معه الجوانب العملية . ولأهمية علم النبات فى المعالجات ، علمه والده أيضاً هذا العلم ، وجعله يحفظ من بين أمهات الكتب النباتية "كتاب النبات" لأبى حنيفة الدينورى ، وأتقن معرفته .

ومع مرور الوقت فى الاهتمام بالعلم والدرس والممارسة العملية ، صار أبو محمد بن الحفيد ماهراً فى علم الطب حسن الرأى فى أموره النظرية ، خبيراً فى ممارسته العلمية الأمر الذى انعكس على شهرته العلمية فى كل بلاد الأندلس ، كما تمكن من الصنعة ، مما حذا

بالخليفة الناصر أن يقربه إليه ، ويجعله مكان أبيه الحفيد . وبذلك استطاع أبو محمد بن الحفيد أن يكون على قدر مسئولية انتمائه إلى أسرة بنى زُهر العلمي ، فلا يستطيع أى باحث فى تاريخ العلم أن يؤرخ لأسرة بنى زُهر بدون ابن الحفيد .

فصل ابن النفيس

الشيخ الطبيب ، علاء الدين على بن أبى الحزم القرشي الدمشقى المصري الشافعى المعروف بابن النفيس الحكيم ، والقرشي نسبة الى القَرَش – بفتحتين – وهى قرية قرب الشام ، وذلك كما ذكره ابن أبى أصيبعة فى كتابه عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، عند ترجمته لابن النفيس ، وهى تلك الترجمة التى سقطت من النسخة المطبوعة لهذا الكتاب ، لكنه عثر عليها فى مخطوطة بالظاهرية ، بعد أن ساد الاعتقاد طويلا بأن ابن أبى أصيبعة لم بترجم لابن النفيس ، وهو اعتقاد مشوب بالتعجب نظرا لزمالة الرجلين ومعاصرة كل منهما للآخر ، حتى أن قرائح المستشرقين انتجت حول معاداة الرجلين لبعضهما قصصا ما لبثت هذه المخطوطة أن أظهرت تفاهتها وبطلانها [1]

عاش ابن النفيس الشطر الأول من حياته بدمشق – التى يرجح أنه ولد بها سنة 607 هـ تقريبا – ودرس الطب على يد رئيس الأطباء بديار مصر والشام عبد الرحمن بن على ، المعروف بمهذب الدين الدخوار (ت 628 هـ) حيث كان الدخوار آنذاك يعمل بالبيمارستان النوري بدمشق .

كما تتلمذ أيضا على عمران الإسرائيلي (توفى 637 هـ) زميل مهذب الدين الدخوار فى البيمارستان النوري وغيرهما من أطباء الشام آنئذ. وبعد تخرجه عمل ابن النفيس بالطب فى الشام فأظهر براعة فائقة، لكنه لم يلبث أن رحل من الشام إلى مصر زمن الملك الكامل الأيوبي، والقاهرة عصرئذ مركز العلوم والإشعاع الفكري، فمارس

---

[1] راجع، ابن النفيس ، شرح فصول أبقراط ، تقديم وتحقيق ماهر عبد القادر محمد ، دار العلوم العربية 1988 ، ص 38 .

الطب وعمل بأكبر مستشفياتها (البيمارستان الناصري)، واختاره السلطان بيبرس طبيباً خاصاً له ، ثم تولى رئاسة البيمارستان المنصوري الذى بناه الملك المنصور سيف الدين قلاوون.، وأصبح عميدا لأطباء مصر.

وفى القاهرة ، نال ابن النفيس شهرة عظيمة كطبيب ، حتى أن بعض المؤرخين يذكرون أنه : لم يكن فى الطب على وجه الأرض مثله ، ولا جاء بعد ابن سينا مثله ، وكان فى العلاج أعظم من ابن سينا . وبلغ ابن النفيس من العمر قرابة ثمانين سنة وتوفى يوم الجمعة الحادي والعشرين من ذى القعدة سنة 687 هـ بالقاهرة ، بعد مرض دام ستة أيام . وقد أشار عليه بعض زملائه الأطباء فى مرضه الذى توفى به بأن علاجه يستلزم تناول شيئ من الخمر ، فرفض ، وقال : لا القى الله تعالى وفى بطنى شيئ من الخمر . وهكذا كان الإسلام وراء سلوك العلماء وفى ذلك رد على بعض المؤلفين والمستشرقين الذين يعتقدون أن تقدم الطب عند المسلمين كان نتيجة لفصل العلم عن الدين .

ومن أهم مؤلفات ابن النفيس الطبية : شرح تشريح القانون ، شرح كليات القانون ، المهذب ، مقالة فى النبض ، شرح تقدمة المعرفة لأبقراط ، شرح تشريح جالينوس ، شرح مسائل حنين ابن اسحق ، شرح فصول ابقراط .

ومن أشهر كتب ابن النفيس الطبية ، كتاب الموجز ، يقول عنه حاجى خليفة : هو موجز فى الصورة ، ولكنه كامل فى الصناعة . وهذا الكتاب أراد فيه ابن النفيس أن يوجز ما ذكره ابن سينا فى كتاب (القانون) لكنه لم يتعرض فيه لموضوعات التشريح ، التى أفرد لها كتابا آخر . وتوجد من هذا الكتاب عشرات النسخ المخطوطة فى

مكتبات العالم ، وفى دار الكتب المصرية وحدها توجد 13 مخطوطة للكتاب ، كتبت فى تواريخ مختلفة . وله شروح كثيرة منها :

1- شرح ابو اسحق إبراهيم بن محمد الحكيم السويدي ، المتوفى 690 هـ ، 2- شرح سديد الدين الكازروني ، المتوفى 745 هـ ، 3- شرح جمال الدين الأقصراني ، المتوفى 779 هـ ، 4- شرح نفيس بن عوض الكرماني المتوفى 853 هـ . 5- شرح محمود بن أحمد الأمشاطي ، المتوفى 902 هـ ، 6- شرح أحمد بن ابراهيم الحلبي ، المتوفى 971 هـ ، 7- شرح قطب الدين الشيرازي ، 8- شرح محمد الأيجي البليلي . وطبع الكتاب (طبعة حجر رديئة) بدلهى سنة 1332 هـ ، بعنوان : الموجز المحشى . كما طبع شرح الأقصرائي بالكنئو سنة 1294 هـ ، بعنوان : حل الموجز ، وطبع شرح نفيس بن عوض بالهند سنة 1328هـ ، مع حاشية لمحمد بن عبد الحليم اللكنوري المتوفى 1285 هـ . ونقل الكتاب للغة التركية مرتين ، قام بإحداهما مصلح الدين بن شعبان المعروف بسروري (ت 869 هـ) وقام بالترجمة الأخرى أحمد بن كمال الطبيب بدار الشفاء بأدرنة . وترجم الى اللغة العبرية بعنوان (سفر هموجز) وإلى الإنجليزية بعنوان : المغنى فى شرح الموجز [1] .

اعتمد ابن النفيس المنهج العلمى التجريبى فى بحوثه لإثبات الحقائق العلمية التى يتوصل إليها بتطبيق خطوات هذا المنهج من رصد وملاحظة وفرض الفروض، ثم التحقق منها بالتجربة. ولذا نراه لم يقبل بكل آراء سابقيه إلا بعد التحقق التجريبى، فما تثبته التجربة فمقبول، وما لم تثبته فمردود على صاحبه حتى لو كان من فطاحل العلماء كجالينوس وابن سينا اللذين انتقدهما ابن النفيس فى بعض المواضع.

---

[1] المصدر نفسه / ص 53 - 54.

ومن خلال تطبيق المنهج التجريبى وممارسة التشريح، توصل ابن النفيس لأول مرة فى تاريخ الإنسانية إلى اكتشاف الدورة الدموية الصغرى، حيث تتبع مسار الدم فى العروق وسريانه فى الجسد، وأثبت انه ينقى فى الرئتين. فالدم يأتى غليظا من الكبد عن طريق مروره من التجويف الأيمن من القلب، فيلطف، ثم يمر إلى الرئة عن طريق الشريان الوريدى، فيخالط الهواء، ثم ينقسم قسمين، قسم غليظ يبقى الرئة، وقسم رقيق مخلوط بالهواء يعود إلى التجويف الأيسر من القلب، ومنه إلى الأورطة والأنسجة والشرايين.

انتحل بعض الغربيين اكتشاف ابن النفيس للدورة الدموية الصغرى ووصفها، وظل العالم يعتقد – زورا وبهتانا – لمدة ثلاثة قرون أن مكتشفها سرفيتوس الأسبانى أو هارفى الإنجليزى. وفى سنة 1924 ذهب الطبيب المصرى محيى الدين التطاوى إلى مدينة فرايبورغ الألمانية للتحضير لدرجة الدكتوراة، وفى أثناء دراسته ومتابعة أبحاثه، وقع على مخطوطة لإبن النفيس فى أدراج إحدى المكتبات الأمانية، وبمطالعتها وجد أن النصوص الطبية المنسوبة إلى سرفيتوس الأسبانى وهارفى الإنجليزى فى اكتشاف الدورة الدموية الصغرى هى بعينها نصوص إبن النفيس.وظن التطاوى أنه اكتشف مايفوق درجة الدكتوراة التى جاء ألمانيا من أجلها، فأطلع أساتذته الألمان على مخطوطة إبن النفيس، ومحددا نصوص اكتسافه الدورة الدموية، فما كان منهم إلا أن أخرجوا من مكتبة الدولة كل المخطوطات القديمة لمقارنتها بمخطوط إبن النفيس الذى اكتشفه التطاوى. ثم أرسلوا نصوص إبن النفيس إلى مواطنهم فى القاهرة المستشرق الألمانى ماكس مايرهوف – طبيب العيون الذى قضى حياته فى دراسة مخطوطات الطب الإسلامى-

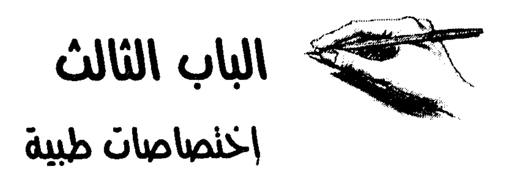
يسألونه عن مدى صحة ما ادعاه التطاوى. وما أن رأى ماكس مايرهوف نصوص إبن النفيس حتى ذهل، وأبلغ زملاءه بصحة ما جاء به الطبيب المصرى، وهو اكتشاف إبن النفيس للدورة الدموية الصغرى. ولم يكتف مايرهوف بذلك، بل أرسل الإكتشاف إلى مؤرخ العلم جورج سارتون الذى ضمّنه فى نهايه كتابه " مقدمة فى تاريخ العلم " الذى كان يعده، ثم أكده وادرجه كتاب " دائرة المعرف الإسلامية " فى طبعته الثانية.

وفى اعتراف غربى اخر يصرح بإنه فى سنة 1924 قام الدكتور التطاوي وهو طبيب مصري شاب فى جامعة فريبيرج ، كان يعمل على النصوص المخطوطة لتعليقات ابن النفيس على تشريح ابن سينا ، وانتهى فى اطروحته الطبية الى أن ابن النفيس قد قدم لأول مرة وصفا دقيقا للدورة الدموية الصغرى ، أو الرئوية[1] قبل أن يعلن مايكل سيرفيتوس (1556) ورينالدو كولومبو (1559) ذلك بقرابة ثلاثة قرون[2] .

---

(1) ابن النفيس ، شرح تشريح القانون ، تحقيق سليمان قطاية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1988 ، ص 334 ، 36.

(2) ب- م هلوت ، تحرير تأريخ كيمبردج للإسلام ، المجتمع والحضارة الإسلامية ، فصل العلم ، ترجمة وتقديم وتعليق خالد حربى ، ص 162.



الباب الثالث

إختصاصات طبية

فصل: الطب النفسى

فصل: طب العيون

فصل: طب الأنف والأذن والحنجرة

فصل: طب الأسنان

فصل: طب الباطنة

فصل: طب الطفيليات والأحياء المجهرية



فصل الطب النفسى

انتهيت فى الحديث عن الطب العربي الإسلامي إلى أن أبا بكر محمد بن زكريا الرازى هو أعظم أطباء العرب والمسلمين، وأكبر أطباء العصور الوسطى قاطبة، بل وحجة الطب فى العالم منذ زمانه، وحتى العصور الحديثة، وذلك بفضل ما قدمه من انجازات طبية وعلاجية أصيلة عَبْرَ بها عن روح الحضارة العربية والإسلامية إبان عصر ازدهارها، وعملت على تقدم علم الطب حتى وصل إلى الحضارة الغربية الحديثة، تلك التى أشادت بأعمال الرازى، واعترفت به كعلم من أعلام الحضارة الإنسانية الخالدين، وظلت تدرس كتبه قرون طويلة.

وإلى جانب الرازى شهدت منظومة علم الطب العربى الإسلامى أعلام أخر كل أدلى بدلوه فى هذا المجال، مثل الشيخ الرئيس ابن سينا، والزهراوى، وابن زُهر، وابن الجزار وعلى بن رضوان والقوصونى، وابن النفيس (مكتشف الدورة الدموية الصغرى)، وعلى بن العباس، وابن رشد.. فكل هؤلاء العلماء قدموا للإنسانية من المآثر التى مازلت تحسب لهم حتى اليوم، وكانت أعمالهم جميعاً بمثابة الأسس التى أدت إلى التقدم الطبى المذهل فى حضارة (الآخر) ألا وهى الحضارة الغربية الحديثة.

هذا فيما يتعلق بالطب الجسمى، أما فيما يخص الطب النفسى فيكاد يكون للعرب والمسلمين السبق فى هذا الميدان، حيث استندَ العلاج النفسى خلال عصور التاريخ قبلهم إلى السحر ورد المرض النفسى إلى قوى شريرة فى استخدام الرقي والتمائم والتعاويز.

ففى الحضارة اليونانية كان يعتقد أن الشفاء من الأمراض النفسية يستلزم أن ينام المريض فى هيكل خاص، حيث يتم شفاءه

بمعجزة تحل بجسده فى الليلة الوحيدة التى يقضيها فى ذلك الهيكل. ولقد اقتصرت الآفاق الخلقية فى الطب اليونانى على قسم أبو قراط الشهير[1] والذى كان مضمونه أن يقسم كل طبيب للأرباب والربات من أمثال أبولون، وسكلابيوس، وهجيايا وبيناكيا وغيرهم بأن " يذهب إلى كل البيوت لفائدة مرضاها دون الذهاب إلى أصحاب الأمراض المستعصية، هؤلاء الذين لا يرجى شفاءهم، وكان ذلك استناداً إلى تعريف أبو قراط للطب " بالفن الذى ينقذ المرضى من آلامهم ويخفف من وطأة النوبات العنيفة، ويبتعد عن معالجة الأشخاص الذين لا أمل فى شفائهم، إذ أن المرء يعلم أن فن الطب لا نفع له فى هذا الميدان" [2].

وهنا نجد الرازى من أطباء العرب والمسلمين يتعدى هذه الحدود الأخلاقية الأبقراطية حيث رآها قاصرة ويفكر كأول طبيب فى معالجة المرضى الذين لا أمل فى شفائهم، فكان بذلك رائداً فى هذا المجال. لقد رأى الرازى أن الواجب يحتم على الطبيب ألا يترك هؤلاء المرضى " وأن عليه أن يسعى دوماً إلى بث روح الأمل فى نفس المريض، ويوهمه أبداً بالصحة ويرجيه بها، وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس.

ومن أشهر الأمراض التى اعتبرها سابقوه مستحيلة البرء ، وعالجها الرازى، الأمراض النفسية والعقلية العصبية، وكما فعل الرازى بالنسبة للأمراض العضوية من تقديم وصف مفصل للمرض يشرح فيه علاماته، وأعراضه، ثم يصف له العلاج المناسب، فإنه قد فعل نفس الشيء بالنسبة لهذه الأمراض. ومن الأمثلة على ذلك قوله: "الغم الشديد

(1) انظر نص القسم فى: ابن ابى اصبيعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، م.س، ص45.
(2) خالد حربى، الرازى الطبيب وأثره فى تاريخ العلم العربى، م،س ، ص169.

الدائم الذى لا يعرف له سبب ، وخبث النفس، وسوء الرجاء ينذر بالماليخوليا"، ثم نراه يقدم وصفاً بليغاً لهذا المرض فيقول : " ومن العلامات الدالة على ابتداء الماليخوليا : حب التفرد والتخلى عن الناس على غير وجه حاجة معروفة أو علة كما يعرض للأصحاء لحبهم البحث والستر للأمر الذى يجب ستره. وينبغي أن يبادر بعلاجه لأنه فى ابتدائه أسهل ما يكون ، ويعسر ما يكون إذا استحكم. وأول ما يستدل على وقوع الإنسان فى الماليخوليا ، هو أن يسرع إلى الغضب والحزن والفزع بأكثر من العادة ويحب التفرد والتخلى، فإن كان مع هذه الأشياء بالصورة التى أصف، فليقوطنك، ويكن لا يفتح عينيه قليلاً، وشفاههم غليظة ، وصدورهم وما يليها عظيم، وما دون ذلك من البطن ضامر، وحركتهم قوية سريعة لا يقدرون على التمهل ، دقاق الأصوات، ألسنتهم سريعة الحركة بالكلام، ولا يظهر فى كل هؤلاء قيء وإسهال معه كيموس أسود، بل ربما كان الأكثر الظاهر منهم البلغم، فإن ظهر فى الاستفراغ، شيء أسود، دل على غلبة ذلك وكثرته فى أبدانهم، وخف منهم مرضهم قليلاً"[1].

وينصح الرازى أصحاب هذا المرض بالسفر والانتقال إلى بلد آخر مغاير لبلدهم فى المناخ، فيقول : " إذا أزمن بالمريض المرض، وطال فانقله من بلده إلى بلد مضاد المزاج لمزاج علته، فإن الهواء الدوام لقائه يكون علاجاً تاماً، وقد برأ خلق كثير من الماليخوليا بطول السفر"[2].

---

(1) الرازى، وتحقيق خالد حربى، الحاوى فى الطب،ج3: الأمراض النفسية.

(2) الرازى، المرشد أو الفصول ، ص 116.

ومن أمثلة معالجات الرازى فى هذا الشأن ما يلى :

استُدعى الرازى لعلاج أمير بخارى الذى كان يشكو من آلام حادة فى المفاصل لدرجة أنه كان لا يستطيع الوقوف، وعالجه الرازى بكل ما لديه من أدوية، ولكن دون جدوى وأخيراً استقر الرازى على العلاج النفسي، فقال للأمير أنه سوف يجرب علاجاً جديداً غداً، ولكن على شرط أن يضع الأمير أسرع جوادين لديه تحت تصرفه، فأجابه الأمير. وفى اليوم التالى ربط الرازى الجوادين خارج حمام بظاهر المدينة، ثم دخل هو والأمير غرفة الحمام الساخنة، وأخذ يصب عليه الماء الساخن، وجرعه الدواء ثم خرج ولبس ملابسه وعاد شاهراً سكيناً فى وجه الأمير، مهدداً إياه بالقتل، فخاف الأمير، وغضب غضباً شديداً، وسرعان ما نهض واقفاً على قدميه، بعد أن كان لا يستطيع، وهنا فر الرازى من الحمام إلى حيث ينتظر خادم الأمير مع الجوادين، فركبا وانطلقا بسرعة. وعندما وصل الرازى إلى بلده، أرسل إلى الأمير رسالة شارحاً فيها ما حدث من أنه لما تعسر علاجه بما أوحاه إليه ضميره، وخشى من طول مدة المرض، لجأ إلى العلاج النفسانى واختتم الرسالة بأنه ليس من اللياقة أن يقابل الأمير بعد ذلك، فلما عزم الرازى على عدم الرجوع، أرسل إليه مائتى حمل من الحنطة، وحلة نفيسة، وعبد وجارية، وجواد مُطعم، وأجرى عليه ألفى دينار سنوياً "[1].

وهذا المثال يوضح أن الرازى قد أدرك أثر العامل النفسى فى صحة المريض. وليس هذا فحسب بل وفى إحداث الأمراض العضوية، . من ذلك مثلاً أن سوء الهضم يكون له " أسباب بخلاف رداءة الكبد والطحال، منها حال الهواء والاستجمام، ونقصان الشرب، وكثرة

---

(1) خالد حربى ، الرازى الطبيب، ص 171.

إخراج الدم والجماع، والهموم النفسانية ".

وبذلك يكون الرازى قد تنبه إلى ما يسمى فى العصر الحديث بالأمراض النفسجسيمية Psychomatic diseases وهى موضوع اهتمام أحدث فروع الطب.

ومن أمثلة الحالات النفسية التى عالجها الرازى بما هو متبع الآن فى الطب النفسى، حالة[1] انشغال النفس فى الأشياء العميقة البعيدة التى إذا فكرت فيها (أى نفس) لم تقدر على بلوغ عللها، فحزنت واغتمت واتُّهمت فى عقلها، فيقول:

إن رجلاً شكا إليه، وسأله أن يعالجه من مرة سوداوية. فقال الرازى: فسألته: ما تجد ؟ قال أفكر فى الله تعالى من أين جاء وكيف ولد الأشياء. فأخبرته أن هذا فكر يعم العقلاء أجمع. فبرأ من ساعته، وقد كان اتُّهم عقله حتى أنه كاد يقصر فى ما يسعى فيه من مصالحه. وغير واحد عالجته بحل فكره.

والذى نلاحظه فى هذه الحالة أنه استعمل التحليل النفسى فقال (عالجته بحل فكره)، وهو ما يفعله الأطباء النفسانيون حالياً فى معالجة مثل هذه الحالات.

ويعتبر قول الرازى السالف الذكر " فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس " دليلاً واضحاً على أولوية النفس فى الصلة بينها وبين الجسم. لذا ينصح الرازى بأن يكون طبيب الجسم، طبيباً للنفس أولاً، فيستطيع أن يقف على ما يجرى فى نفس المريض من خواطر، ويستشف من خلاله ملامح الظاهرة ما يعينه على تشخيص المرض العضوى، ولأهمية هذا الجانب صنف الرازى كتاباً خاصاً أسماه " الطب الروحانى " غرضه فيه

---

(1) الرازى،وتحقيق خالد حربى، الحاوى،ج 3: الأمراض النفسية.

إصطلاح أخلاق النفس.

والناظر فى موضوعات هذا الكتاب يرى أنها مفيدة جداً على الأقل بالنسبة للطبيب أو المعالج النفسانى كأخلاق ينبغى أن يتمسك بها، خاصة وهو يعالج الاضطرابات النفسية.

ولقد تمسك الرازى بالتوازن القائم بين النفس والجسد، وأبرز الصلة بينها، وإلى أى حد يوجد تأثير وتأثر بينهما وذلك من خلال فصول كتابه العشرين، والتى يتضح منها أيضاً أن للنفوس أمراضاً يمكن علاجها كأمراض الأبدان تماماً، وأن الجسم المريض ينتج عنه أخلاقاً رديئة، وعلاجها إنما هو علاج لهذه الأخلاق.

ولم يتوقف الرازى فى معالجة مثل هذه الأمراض عند حد استخدام ذكاءه، وفهم مشاعر المريض، بل نراه ينصح باستعمال الأدوية والأعشاب الطبيعية تماماً كما فى معالجة الأمراض العضوية. فمن ذلك قوله : "... ولوجع الفؤاد يدق الجرجير ويشرب ثلاثة أيام على الريق مع الزبيب "[1]. ولزيادة الفائدة يذكر أن المعالجات ما يكون صالحاً لعلل عضوية ونفسية فى آن واحد فيقول: يسقى من الراسن درهمين بماء حار للهم والغم ووجع الفؤاد وفم المعدة[2]. فالهم، والغم، ووجع الفؤاد من المشاعر النفسية، بينما يندرج ألم فم المعدة ضمن سلسلة العلل العضوية.

وخلاصة القول إن الرازى كان سباقاً فى الاهتمام بمعالجة أصحاب الأمراض النفسية، فسجلَ بذلك للمسلمين والعرب أروع الصفحات فى تاريخ الإنسانية، فقد كان اليونان يأمرون أهل المريض الذى يعانى ضعفاً فى قواه العقلية بحبسه فى منزلهم، حتى يمنع ضرره

---

(1) الرازى، وتحقيق خالد حربي جراب المجربات وخزانة الأطباء، ص 70.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

عن المجتمع. وكانت أوروبا فى العصور الوسطى تعامل أصحاب هذه العلل أسوأ معاملة يعامل بها إنسان " فكان هؤلاء البشر المعذبون يوضعون فى سجون مظلمة، وقد قيدت أيدهم وأرجلهم، أو يعزلون عن العالم وعن أهلهم فى المستشفى السجن " أو " البيت العجيب " أو " برج المجانين " أو " القفص العجيب " كما كانوا يسمونها آنذاك، ويسلم أمرهم إلى رجال أفظاظ لا يعرفون إلا لغة الضرب والشتم والتعذيب وذلك أمد الحياة !!"[1].

وكان مبعث ذلك لدى الأوروبيين آنذاك هو الاعتقاد السائد بأن هذا المريض قد لعنته السماء عقاباً له على اثم ارتكبه، فأنزلت به هذا المرض. أو أن شيطا ماكراً ضاقت به الدنيا فحل فى جسم هذا المريض !. وعلى ذلك فإنه يحل تعذيب ذلك الجسد لأنه بمثابة منزل لشيطان رجيم !. أى فهم خاطئ للدين المسيحى كان هذا ؟! وقد ظلت أوروبا على هذا الحال إلى قبيل القرن التاسع عشر، عندما قام طبيب فرنسى يدعى بينل " Pinel " بمطالبة مجلس الأديرة بتحرير المجانين السجناء، وتسلميهم لعناية ورعاية الأطباء[2].

كان هذا فى الوقت الذى خصص فيه العرب البيمارستانات الخاصة بهذا المريض والتى كان يعامل فيها معاملة كريمة تليق به كإنسان. ومن الأمثلة على ذلك البيمارستان العضدى فى بغداد الذى شغل الرازى منصب ساعوراً له كان به قسماً خاصاً لهؤلاء المرضى، وقد تولى الرازى بنفسه مراقبتهم والإشراف على علاجهم. وسيأتى الحديث بشيء من التفصيل عن البيمارستان التى شهدها العالم

---

(1) زيجريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ط 2،بيروت1969، ص 255.

(2) نفس المرجع، 256.

الإسلامي، وشهدت هى أقساماً لعلاج أصحاب الأمراض العقلية .

تلك كانت أمثلة عن بعض إسهامات الرازى فى هذا المجال. وهناك أطباء كثيرين غير الرازى كل أدلى بدلوه فى هذا الميدان مثل جبرائيل بن بختيشوع، وعلى بن رضوان، وأبو القاسم الزهراوى، ورشيد الدين أبو حليقة ، وسكرة الحلبى، والشيخ الرئيس ابن سينا.ويمكن تتبع ذلك فيما يلى: **جبرائيل بن بختيشوع:** وصل إلينا عن إسهام جبرائيل بن يختيشوع مثلاً فى ميدان الطب النفسي هذه الحالة التى سجلها إبن أبي أصيبعة[1] حيث يذكر أنه كان لهارون الرشيد جارية رفعت يدها فبقيت هكذا لا يمكنها ردها. والأطباء يعالجونها بالتمريخ والادهان، ولا ينفع ذلك شيئاً، فاستدعى جبرائيل بن بختشيوع، فقال له الرشيد : أى شيء تعرف عن الطب ؟ فقال : أبرد الحار، وأسخن البارد، وأرطب اليابس ، وأيبس الرطب الخارج عن الطبع. فضحك الخليفة وقال: هذا غاية ما يحتاج إليه فى صناعة الطب ، ثم شرح له حال الصبية، فقال له جبرائيل: إن لم يسخط علىّ أمير المؤمنين فلها عندى حيلة ، فقال له : وما هى ؟ قال : تخرج الجارية إلى هنا بحضرة الجميع حتى أعمل ما أريده، وتمهل على ولا تعجل بالسخط ، فأمر الرشيد بإحضار الجارية فخرجت. وحين رآها جبرائيل عاد إليها ونكس رأسه ومسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها، فانزعجت الجارية، ومن شدة الحياء والانزعاج استرسلت أعضاؤها، وبسطت يدها إلى أسفل ومسكت ذيلها. فقال جبرائيل : قد برئت يا أمير المؤمنين ، فقال الرشيد للجارية : أبسطى يدك يمنة ويسرة، ففعلت ذلك، وعجب الرشيد وكل من كان بين يديه. يُفسر علم النفس الحديث حالة هذه الفتاة على أنها حالة "فصام"

---

(1) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص 188.

"Schizophrenia" من نوع يسمى "الفصام التشنجى" "Catatonia"
أو الفصام التصلبي Catatonic الذى يتميز سلوك صاحبه بالتيبس النفسي والجسمى حيث يجلس المريض ساعات طويلة جامد لا يتحرك وإذا رفع يده أو ذراعه فإنه يبقيه لمدة طويلة كما لو كان منفصلاً عن جسمه، لذا تعتبر هذه الحالة إحدى الاضطرابات الحركية[1] ذات الأعراض التكوينية والنفسية [2] وربما تنتج عن الاستثارة المستمرة الداخلية منطقة غير محددة بالمخ حيث يزداد نشاط "الجاما أمينو بيوتريك أسيد" GABA "Gamma amino butyric acid"[3].

والفصام أو الشيزوفرنيا بلغة العلم الحديث هو مرض ذهانى يتسم بمجموعة من الأعراض النفسية والعقلية يمكن أن تؤدى إلى اضطرابات واضحة فى السلوك والشخصية العامة، وذلك إن لم تعالج فى بدايتها. ويتميز الفصامى بسمات معينة تميزه، منها: أنه لا يسلك دائماً سلوكاً متوائماً مع الموقف، ويظهره دائماً فى صورة الشخص الذى يصعب التآلف معه، حيث يتسم سلوكه دائماً بتصيد أخطاء الآخرين، فضلاً عن عدم تميزه بين الواقع والخيال والهلوسات السمعية والبصرية، والبرود العاطفى، والهذاءات، وإنهيار عمليات التفكير بصفة عامة.

وينقسم الفصام إلى خمسة أنواع ، هى : الفصام البارانويي، وأبرز أعراضه هذاءات العظمة، والفصام التخشبى أو الكاتاتونى، وفيه يتخذ المريض أوضاعاً متخشبة أو ثابتة يظل عليها لفترات طويلة. والفصام

(1) Kirk Caldy, Brvee (Ed.) "Motorobnormalities and the psychopathology of Schizophrenia " in "Normalities and abrormalities in human movement Medicine and sport Scince, Vol 29, Barel, Switzerland, p 109.
(2) Curran , vitoria , marergo , joannel ; "Psychological assessement of catatonic Schizophernia" Gournal of personality assessement 1990 win , vol 55 , p.3.
(3) Trimble , Michael R; cumming jefferyl (Ed) "Catatonia" in "contemporary behavioral newrology " blue Booksoft practical newrology, vol. 16. wobum , MA 1997, p . 348.

الهيبفريني ، وأبرز سماته القيام بأعمال مشينة أو تافهة مع إطلاق عبارات خالية تماماً من المعنى. والفصام الوجداني الذي يتميز بتغيرات واضحة في الحالة الوجدانية . والفصام البسيط الذي يتميز صاحبه بالبلادة والخمول وعدم الاكتراث بأي شيء .

ويلاحظ أن الطبيب " جبرائيل " قد استخدم ما يعرف حالياً بالعلاج السلوكي Behavior therapy الذي يهتم في أبسط حالاته بعلاج العرض الملاحظ .

ويعتمد العلاج السلوكي على أبحاث ونظريات بافلوف Pavlov أحد رواد المدرسة السلوكية التي تعني بتفسير السلوك الإنساني كاستجابة لمثير خارجي دون إعطاء أهمية للعوامل الداخلية للفرد بالإضافة إلى إسهامات B.F.Ski.nner سكنر في هذه النظرية[1]. حيث استخدم جبرائيل الفعل المنعكس Reflex action الذي لا يصدر عن المخ وإنما يصدر عن النخاع الشوكي وبالتالي لا يخضع للتفكير الرمزي.

فالانعكاس العصبي أو قوى الانعكاس Reflex arc واحد من أبسط الأنشطة المعروفة عن النخاع الشوكي ويعني بالتكيف التلقائي للإبقاء على توازن الجسم دون تفكير.

فتصلب يد الفتاة فعل قسري تعجز عن تغييره بطرق الإقناع العادية ، ولذلك فلابد وأن يتم علاجه بظروف تعجز الفتاة عن عدم الاستجابة لها ، أي بفعل لا إرادي، وهذا ما فعله جبرائيل، وهي طريقة أقرب ما يمكن لطريقة الكف المتبادل الحديثة حيث أبطلت الاستجابة القديمة بواسطة استجابة جديدة أقوى منها.

---

(1) Wagne weiten , Margaret A.Lbyd , Psychology Applied to modern life" Boston : Brooksl col publishing company 1997, p.48.

ابن سينا :اعتنى ابن سينا بعلم النفس عناية لا نكاد نجد لها مثيلاً لدى واحد من رجال التاريخ القديم والوسيط، فألم بمسائله المختلفة إلماماً واسعاً، واستقصى مشاكله وتعمق فيها تعمقاً كبيراً، وأكثر من التأليف فيه إلى درجة ملحوظة.

ومع أن ابن سينا قد استعان كثيراً بأراء أرسطو، إلا أنه قد أفاد أيضاً من مصادر أخرى لم يستفيد منها أرسطو، وعلى الأخص الدراسات الطبية والتشريحية لعلماء القرون التالية لعصر أرسطو. ومن هنا نستطيع أن نفهم السبب فى أن علم النفس السينوى يفوق فى مواضع كثيرة علم النفس الأرسطي الذى جرت العادة بين مؤرخى الفلسفة الأوروبية ، على اعتباره – تجاوز أو خطأ – المثال الوحيد الكامل لعلم النفس القديم. والحق أن علم النفس السينوى هو المثال الوحيد الكامل لعلم النفس القديم على العموم[1].

ويعد ابن سينا أول العلماء الذين ربطوا وظائف الإحساسات والخيال والذاكرة بشروطها الفسيولوجية ، كما أن له فضلاً كبيراً فى توضيح أوجه الشبه بين إدراك الحيوان وإدراك الإنسان. كما أدرك ابن سينا بوضوح تعقيد عملية الإدراك الحسي وتركيبها من عناصر متعددة متداخلة، إذ يبدأ الإدراك باستخدام الحواس، ثم الربط بين الأفكار الحسية المختلفة وكيفية إدراك المعانى التى ليست لها حواس خاصة كالشكل والحركة ونحوها، ولم يغفل دور الخيال والذاكرة فى تكوين الإدراك الحسي.

---

(1) توفيق الطويل ، فى تراثنا العربي الإسلامي ، عالم المعرفة – المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1985، ص 139.

ولعل أبرز ما يميز علم النفس ابن سينا ويجعله سابقاً لعصره بشكل عجيب من جهة ، كما يجعله من جهة أخرى يبدو عصرياً إلى حد مذهل، معالجته لمفهوم الوعى بالذات أو "الشعور بالذات" كما يسميه هو. حيث يتلاءم مذهب ابن سينا مع النظرية السيكولوجية الحديثة الخاصة بالشعور وأقسامه، والتى يقبلها جمهرة المحدثين، حيث تجعل من الشعور قوة عاملة توحد الذات، وتجمع أطراف الشخصية ، فيحس المرء أنه هو فى الماضى والحاضر والمستقبل. فيذهب ابن سينا إلى أن الشعور بالذات يصدر عن النفس بأسرها كوحدة مختلفة عن البدن متميزة عنه. وهذا الشعور بالذات يختلف تماماً عن أى إدراك آخر، فالإدراك العادى قد يحدث وقد لا يحدث، أما الشعور بالذات فموجود دائماً إلا أن صاحبه قد يكون واعياً به، وقد لا يكون " حتى أن النائم فى نومه والسكران فى سكره، لا تغرب ذاته عن ذاته، وإن لم يثبت تمثله لذاته فى ذكره" كما يقول ابن سينا .

ويعترف عالم النفس الأمريكي هليجارد صراحة بأن ابن سينا قد تعرف على ما يعرف اليوم باسم الأمراض الوظيفية Function Illnesses والتى تقال فى مقابل الأمراض العضوية organic Illnesses والأمراض الوظيفية هى أمراض نفسية الأسباب ونفسية النشأة psychogenesis ، وهى الأمراض التى لا ترجع إلى خلل أو أسباب عضوية فى جسد الإنسان أو جهازه العصبي أو الغدى ، بمعنى أن المرض المنتج عن وجود تغيرات فى الدماغ أو الجهاز العصبي المركزى يرتبط بهذا المرض قبل الإصابة. ولكن هذه الأمراض الوظيفية تصيب وظيفة العضو وليس العضو ذاته كالتفكير بالنسبة للدماغ. ومن هذه الأسباب الوظيفية أو النفسية الأزمات والكوارث وخبرات الفشل

والإحباط والحرمان والقسوة والخضوع لحالات من الضغط النفسي والاجتماعى والتعرض للخبرات والصدمات النفسية . وتشمل هذه الأمراض الوظيفية كل من الأمراض العقلية والنفسية ، العقلية كالاكتئاب والفصام والهوس وجنون العظمة والاضطهاد. أما الأسباب العضوية للأمراض العقلية ، فمنها إدمان الخمور أو المخدرات، ومن الإصابات بمرض الزهرى Syphilis والأورام والإصابات الناجمة عن الإصابة بالأعيرة أو الطلقات النارية .. ومن المدهش أو يعترف عالم أمريكي من علماء النفس المعاصرين بفضل علماء الإسلام فيذكر أن الأمراض الوظيفية هذه اكتشفها وأدركها وعرفها العلماء العرب، بل وعالجوها منذ أكثر من 900 عاماً مضت ، وخاصة الطبيب العربي الشيخ الرئيس ابن سينا[1].

وينصح ابن سينا بالتزاوج بين العقاقير والوسائل النفسية فى معالجة الأمراض النفسية ، إذ يقول "يجب مراعاة أحوال النفس من الغضب والغم والفرح واللذة وغير ذلك ، فإن الأغذية الحارة مع الغضب مضرة ، وكذلك البارد مع الخوف الشديد ، أو اللذة المفرطة مضرة"[2] هذا النص يشير إلى أن ابن سينا أدرك - متأثراً بالرازى فى قوله : فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس - أن صحة البدن تابعة لاعتدال المزاج.

---

(1) عبد الرحمن محمد العيسوى ، الطب العقلى فى الفكر السينوى ، دراسة مقارنة مع الفكر السيكولوجى الحديث ، مؤتمر الطب والصيدلة عند العرب، آداب الإسكندرية 1998 ص 222-223.

(2) ابن سينا، كتاب تدارك الأخطاء، مخطوط مكتبة جامعة الإسكندرية ، رقم 59، ورقة 4 ظهر .

ومن الجدير بالاعتبار أن واحداً من أكبر علماء النفس الأمريكيين المعاصرين، هو جيمس كولمان James C.coleman يضمن كتابه " Abnormal Psychology and modern life " حالة مرضية نفسية عالجها ابن سينا بطريقة مبتكرة أفادت علم النفس الحديث . يقول كولمان[1]: أصيب أحد الأمراء بالمالنخوليا، وظهرت من أعراضها عليه أن تخيل نفسه "بقرة" يجب أن تذبح ويتغذى الناس من لحمها اللذيذ. وكان هذا المريض يخرج صوت كصوت البقرة (الخوار)، ويصيح : اذبحونى .. اذبحونى ، ولذا امتنع عن الطعام ، الأمر الذى أدى إلى ضعفه وهزاله. ولما تم إقناع ابن سينا بعلاج هذا الأمير، بدأ علاجه بأن أرسل إليه رسالة يبلغه فيها بأنه ينبغي أن يكون فى حالة نفسية جيدة، حيث سيقدم الجزار قريباً لذبحه، ففرح المريض بهذه الرسالة ، وهيأن نفسه – نفسياً- للذبح. وبعد فترة دخل عليه ابن سينا غرفته شاهراً سكيناً كبيراً، وقال : "أين هذه البقرة التى سوف أذبحها " فأجابه المريض بإصدار خوار البقرة كى يعرفه ، فأمر ابن سينا بأن يطرح أرضاً ، وتقيد أيديه وأرجله ، وبعد إتمام هذا الأمر ، تحسس ابن سينا كل جسمه، ثم قال : إنها بقرة نحيفة جداً لا تصلح للذبح الآن ، يجب أن تتغذى وتسمن أولاً، ثم أمرهم بإطعام المريض بأطعمة جيدة ومناسبة ، فاكتسب المريض حيوية وقوة، الأمر الذى جعله يتحرر مما اعتراه من أعراض وهذاءات، وتم له الشفاء التام .

تكشف معالجة هذه الحالة وتشخيصها عن كثير من الحقائق الطبية التى سبق فيها ابن سينا أطباء الغرب، ومنها استخدامه التفكير العلمى الموضوعى ، ولم يكن هناك مجال للسحر أو الشعوذة أو الخرافة .

---

(1) Coleman , James ; Abnormal Psychology and Modern life , Scott Chicago , 1956, p.27.

أو القـول بتلـبس الأرواح والشـياطين لجسـد المـريض. كمـا أن معالجتـه اتسمت بالطابع الإنساني والعلمى ، ولم يخضع المريض لكثير من وجوه التعذيب والقسوة والسحل والكى بالنار، والتى كانت سائدة فى الغرب آنذاك . وعلى ذلك فإن أسلوب ابن سينا فى العلاج لم يكن الأسلوب الشائع فى وقته، وإنما كان أسلوباً فريداً مبتكراً يتفق مع ظروف كل حالـة مرضـية، والحالـة التـى عالجهـا هـى المالنخوليـا Melancholia بأعراضها المعروفة . كما أدرك ابن سينا المقصود بمصطلح الهذاء أو الضلالة Delusion وتعرف على مضمون هـذا المصطلح ومـا يقابلـه مـن أعراض من حيث اكتشافه أن مريضه كان يعتقد اعتقاداً خاطئاً بأنه بقرة، وأنه كان يصدر خوار البقرة لإقناع الناس بأنه بالفعل بقرة. والهـذاءات أو الضـلالات أحـد الأعـراض المميـزة للـذهان العقلـى Psychosis أو المرض العقلى المرادف للجنون. وقد أشار ابن سينا إلى حالة فقدان الشهية التى غالباً ما تصاحب حالات مرض الاكتئاب الذى ينبغي أى يعالج بالتدرج، وهو ما فعله ابن سينا، حيث أرسل رسالة إلى المريض يخبره فيها بأن الجزار سوف يأتى كى يذبحه كما يرغب، وكى يقدم من لحمه وجبة شهية. وتعد هذه الخطوة ضرورية لتمهيد ذهن المريض لخطوات المعالجة، وكى يتوقع ما يحدث له بعد ذلك من تأثيرات . وبعد فترة من هـذه الرسـالة أقدم ابـن سـينا حـاملاً سـكينه فـى يديـه، ودخل على المريض غرفته ، ويمثل هذا الدخول رعشة أو رجفة خوف فى ذهـن المـريض تشـبه حاليـاً الصـدمات الكهربـاء التـى تعـالج بهـا حـالات الذهان العقلى أو ما يعرف بالعلاج بالصدمات Shock therapy ومن ذلك يكون ابن سينا أسبق فى استخدام هذا المنهج أو على الأقل أفاد به فى العلاج النفسي الحديث.

أوحدالزمان: أبو البركات هبة الله بن على ملكا، البلدى لأن مولده ببلد، ثم أقام ببغداد، كان يهودياً وأسلم، وكان فى خدمة المستنجد بالله، وتصانيفه فى نهاية الجودة. وكان له اهتمام بالغ فى العلوم وفطرة فائقة فيها. وكان مبدأ تعلمه صناعة الطب أن أبا الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين كان من المشايخ المتميزين فى صناعة الطب، وكان له تلاميذ عدة يتناوبونه فى كل يوم للقراءة عليه، وكان أوحد الزمان يشتهى أن يجتمع به، وأن يتعلم منه، وثقل عليه بكل طريق، فلم يقدر على ذلك. فكان يتخادم للبواب الذى له، ويجلس فى دهليز الشيخ بحيث يسمع جميع ما يقرأ عليه، وما يجرى معه من البحث، وهو كلما سمع شيئاً تفهمه وتعقله عنده. فلما كان بعد مدة سنة أو نحوها، جرت مسألة عند الشيخ وبحثوا فيها فلم يجتمع لهم عنها جواب وبقوا متطلعين إلى حلها. فلما تحقق ذلك منهم أوحد الزمان، دخل وخدم الشيخ، وقال: يا سيدنا عن أمر مولانا أتكلم فى هذه المسألة ؟ فقال : قل إن كان عندك فيها شىء. فأجاب عنها بشىء من كلام جالينوس، وقال: يا سيدنا، هذا جرى فى اليوم الفلانى من الشهر الفلانى، فى ميعاد فلان، وعلق بخاطرى من ذلك اليوم. فبقى الشيخ متعجباً من ذكائه وحرصه، واستخبره عن الموضع الذى كان يجلس فيه، فأعلمه به. فقال : من يكون بهذه المثابة ما نستمل أن نمنعه من العلم ، وقربه من ذلك الوقت، وصار من أجل تلاميذه، حتى أشتهر، وصار (أوحد زمانه) فى صناعة الطب. ولأوحد الزمان من الكتب: كتاب المعتبر، وهو من أجل كتبه، وأشهرها فى الحكمة. مقالة فى سبب ظهور الكواكب ليلاً واختفائها نهاراً، ألفها للسلطان غياث الدين أبى شجاع محمد بن ملك شاة. اختصار التشريح، اختصره من كلام

جالنيوس، ولخصه باوجزه عبارة. كتاب الأقراباذين، ثلاث مقالات. مقالة فى الدواء الذى ألفه المسمى برشعثا استقصى فيه صفته وشح أدويته. مقالة فى معجون آخر ألفه وسماه أمين الأرواح. رسالة فى العقل وماهيته[1].

ومن اسهامه فى الطب النفسى: أن مريضاً ببغداد كان يعتقد أن على رأسه دنا، وانه لا يفارقه أبداً. فكان كلما مشى يتحايد المواضع التى سقوفها قصيرة ويمشى برفق ولا يترك أحداً يدنو منه، حتى لا يميل الدن أو يقع عن رأسه. وبقى بهذا المرض وهو فى شدة منه. وعالجه جماعة من الأطباء ولم يحصل بمعالجتهم تأثير ينتفع به. وأنهى أمره إلى أوحد الزمان ففكر أنه ما بقى شىء يمكن أن يبرأ إلا بالأمور الوهمية، فقال لأهله : إذا كنت فى الدار فأتونى به. ثم أن أوحد الزمان أمر أحد غلمانه بأن ذلك المريض إذا دخل إليه وشرع فى الكلام معه، وأشار إلى الغلام بعلامة بينهما، أن يسرع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض على بعد منه كأنه يريد الدن الذى يزعم أنه على رأسه، وأوصى غلاماً أخر، وكان قد أعد معه دنا فى أعلى السطح، أنه إذا رأى ذلك الغلام قد ضرب فوق رأس صاحب المالنخوليا أن يرمى الدن الذى عنده بسرعة إلى الأرض. ولما كان أوحد الزمان فى داره، واتاه المريض شرع فى الكلام معه وحادثه، وانكر عليه حمله للدن، وأشار إلى الغلام الذى عنده من غير علم المريض فأقبل إليه، وقال والله لا بد لي أن أكسر الدن وأريحك منه. ثم أدار تلك الخشبة التى معه وضرب بها فوق رأسه بنحو ذراع، وعند ذلك رمى الغلام الأخر الدن من أعلى السطح، فكانت له جلبة عظيمة، وتكسر قطعاً كثيرة، فلما

---

(1) راجع، ابن ابى اصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص 374-376بتصرف .

عاين المريض ما فعل به، وأن الدن المنكسر، تأوه لكسرهم إياه، ولم يشك أن الذى كان على رأسه بزعمه، وأثر فيه الوهم أثراً برأ من علته تلك.

فى علم النفس الحديث تفسير حالة مريض بغداد هذه على أنها حالة أعراض هلاوس " Halluacination "[1] وهى من الأعراض الشائعة لدى الذهانيين والنادرة بين العصابيين وتعرف الهلاوس على أنها مدركات حسية خاطئة ذات طابع قشرى لا تنشأ عن موضوعات واقعية فى العالم الخارجى بل عن وضوح الخيالات والصور الذهنية ونصوعها نصوعاً شديداً بحيث يستجيب لها المريض كوقائع بالفعل وقد تكون هذه الهلاوس بصرية سمعية أو ذوقية أو حتى شمية وهى فى حالتنا هذه هلاوس بصرية.

وقد استخدم " أوحد الزمان " فى علاجه لهذه الحالة ما يعرف بالعلاج بالإيحاء وهى طريقة لعلاج أعراض المرض تساعد على تحديد المريض من اعتقاده الفاسد.

سكرة الحلبى: وأشتهر أيضاً من أطباء العرب فى الطب النفسى ومعالجته، الطبيب سكرة الحلبى، نسبة إلى مدينة حلب بسوريا، كانت له دربة فى العلاج، وتصرف فى المداواة. ومن أمثلة معالجاته النفسية ما يلى[2] :

كان للملك العادل نور الدين محمود بن زنكى حظية فى قلعة حلب، يميل إليها كثيراً، ومرضت مرضاً صعبا. وتوجه الملك العادل إلى

---

(1) يلاحظ هنا تأثر المصطلح الانجيلزى للهلاوس بالتسمية العربية ومن هذا القبيل أيضاً: Hysteria هيستريا. Hysteric هيسترى. Malancholia مالنخوليا..

(2) راجع ابن ابى أصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص 637- 638 بتصرف.

دمشق وبقى قلبه عندها، وكل وقت يسأل عنها فتطاول مرضها، وكان يعالجها جماعة من أفاضل الأطباء، وأحضر إليها الحكيم سكرة فوجدها قليلة الأكل متغيرة المزاج، لم تزل جانبها إلى الأرض، فتردد إليها مع الجماعة، ثم استأذن الخادم فى الحضور إليها وحده فأذنت له، فقال لها: يا ستي أنا أعالجك بعلاج تبرئى به فى أسرع وقت إن شاء الله تعالى، وما تحتاجى معه إلى شىء آخر، فقالت افعل. فقال: أشتهى أن مهما أسألك عنه تخبرنى به ولا تخفينى. فقالت: نعم. وأخذ منها إذناً فقال: تعرفيني ما جنسك ؟ فقالت: علانية (قبيلة فارسية كانت تدين بالنصرانية)، فقال: العلان فى بلادهم نصارى، فعرفيني إيش كان أكثر أكلك فى بلدك؟ فقالت: لحم البقر. فقال: يا ستى، وما كنت تشربي من النبيذ الذى عندهم، فقالت: كذا كان. فقال: أبشرى بالعافية. وراح إلى بيته واشترى عجلاً وذبحه وطبخ منه، وجلب معه فى زبدية منه قطع لحم مسلوق، وقد جعلها فى لبن وثوم، وفوقها رغيف خبز فأحضره بين يديها وقال: كلى، فمالت نفسها إليه، وصارت تجعل اللحم فى اللبن والثوم وتأكل حتى شبعت. ثم بعد ذلك أخرج من كمه برنية صغيرة، وقال: ياستى هذا شراب ينفعك فتناوليه فشربته، وطلبت النوم، وغطيت فرجية فرو سنجاب، فعرقت عرقاً كثيراً وأصبحت فى عافية. وصار يأتى لها من ذلك الغذاء والشراب يومين آخرين، فتكاملت عافيتها فانعمت عليه، واعطته صينية مملوءة حلياً. فقال: أريد مع هذا أن تكتبي كتاباً إلى السلطان وتعرفيه ما كنت فيه من المرض وأنك تعافيت على يدي، فوعدته بذلك وكتبت إلى السلطان تشكر منه، وتقول له فيه أنها كانت قد أشرفت على الموت وأن فلاناً عالجنى وما وجدت العافية إلا على يديه، وجميع الأطباء الذين

كانوا عندى ما عرفوا مرضى. وطلبت منه أن يحسن إليه . فلما قرأ الكتاب استدعاه واحترمه، وقال له : هم شاكرون من مداواتك . فقال : يا مولانا كانت من الهالكين، وإنما الله عز وجل، جعل عافيتها على يدي لبقية أجل كان لها. فاستحسن قوله، وأغدق عليه العطايا.

فى ضوء علم النفس الحديث نجد أن "سكرة الحلبى" فى علاجه لمحظية "نور الدين محمود" قد استخدم نظرية الذات التى قال بها كارل روجرز C.Rogers وتسمى أيضاً بنظرية العلاج المعقود على المريض حيث أجرى مقابلته مع المريضة فى جو طليق سمح ولم يقدم لها تشخيص أو حلاً للمشكلة وإنما أدلى لها بنصيحة وأصغى إلى إجابتها عن أسئلته. وهذه الطريقة تختلف عن التحليل النفسي فى أنه ليس من الضرورى أن يفهم المريض أصل مشكلة فى الطفولة فكل ما يفعله المعالج إطلاق الحرية للمريض وتهيئة الجو للتعبير عن متابعة. وهذه الطريقة لا تحتاج لعدد كبير من الجلسات وتستخدم فى الحالات التى لا تحتاج إلى بحث عميق فى الماضى والتى لا ترتبط بطفولة المريض أو حياته البعيدة. وتجدر الإشارة إلى أن تغيير النمط الغذائي قد لعب دوراً فى تحسين حالة الفتاة حيث تعافت بعد رجوعها إلى النمط الغذائي الذى تعودت عليه فى بيئتها الأولى ومن المعروف أن هناك علاقة وطيدة بين الذوق والسرور حيث أن الفرد قد يتعرض عند تغيير غذاءه لما يعرف بمقت الطعام Taste - aversion وربما يستتبع ذلك فقدان الشهية وعدم السرور.

أما الطبيب **رشيد الدين أبو حليقة** فمن نوادره فى العلاج النفساني[1]: أنه جاءت إليه امرأة من الريف، ومعها ولدها، وهو شاب قد

---

(1) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص 595.

غلب عليه النحول والمرض ، فشكت إليه حال ولدها، وأنها قد أعيت فيه من المداواة ، وهو لا يزداد إلا سقماً ونحولاً. وكانت قد جاءت إليه بالغداة قبل ركوبه، وكان الوقت بارداً. فنظر إليه واستقرأ حاله، وجس نبضه. فبينما هو يجس نبضه قال لغلامه : ادخل ناولنى الفرجية حتى أجعلها على، فتغير نبض ذلك الشاب عند قوله تغيراً كثيراً واختلف وزنه، وتغير لونه أيضاً فحدس أن يكون عاشقاً. ثم جس نبضه بعد ذلك فتساكن. وعندما خرج الغلام إليه وقال له : هذه الفرجية، جس نبضه فوجده أيضاً قد تغير، فقال لوالدته ابنك هذا عاشق والتى يهواها أسمها فرجية، فقالت أى والله يا مولاى هو يحب واحدة أسمها فرجية ، وقد عجزت مما أعذله فيها، وتعجبت من قوله لها غاية التعجب ومن اطلاعه على اسم المرأة من غير معرفة متقدمة له بذلك.

ومع أن ابن أبى أصيبعة فى تعليقه على هذه الحالة يذكر أن مثلها قد عرضت لجالينوس لما عرف المرأة العاشقة ، إلا أن رشيد الدين أبو حليقة ، هو أول من عالج مثل هذه الحالات من الأطباء العرب، وعنه انتقلت طريقة المعالجة إلى الأجيال اللاحقة ، حتى وصلت إلى علم النفس الحديث الذي يفسرها بما يلى :

يُعد تشخيص أبي حليقة لهذه الحالة ، تشخيص ممتاز ، لما اعترى المريض من اضطراب فى النبض عند سماع اسم المعشوق، حيث ينتابه حالة تهيج انفعالى مصحوبة بعمليات عصبية وفسيولوجية حيث تصل إلى أحد المراكز داخل لحاء المخ يسمى Hypothalmaus تنبعث منه رسائل عصبية إلى العضلات المختصة. كما تؤثر المثيرات العصبية فى المراكز العليا فى المخ، وتؤثر فى العمليات الفسيولوجية المتصلة بالانفعال. كما تهبط هذه المثيرات إلى الجهاز العصبي المستقل أو الذاتى

وهو الجهاز الذى يتحكم فى المتغيرات الفسيولوجية فى الأفعال ومن هذه التغيرات زيادة ضغط الدم ، زيادة سرعة النبض، اتساع الممرات الهوائية الموصلة للرئتين واتساع حدقة العين، إفراز العرق. ويزداد سكر الدم ويزيد إفراز هرمون الأدرينالين، ويقف شعر الرأس، ويعاق الهضم وتزداد ضربات القلب. وعلى ذلك فإن انفعال العاطفة لدى العاشقين يؤدى إلى زيادة ضربات القلب التى تُعد مفتاح التشخيص فى مثل هذه الحالات

ولقد أدرك الطب الإسلامى آثار الحالة النفسية للإنسان، فى وظائف أجهزة الجسم المختلفة، فالحالة النفسية فى الانقباض والفرج والهم والغم والخجل، تؤثر تأثيراً مباشراً فى سلوك الإنسان، وقد تؤدي إلى الجنون وفقدان العقل، والأمراض النفسية الشديدة التى يحتاج علاجها إلى بحث دقيق وعميق، وهذا ما فعله الأطباء العرب المسلمون وطبقوه بالفعل فى أقسام الأمراض العقلية فى البيمارستانات حيث فطن العرب والمسلمين إلى ضرورة تخصيص أماكن خاصة لمعالجة أصحاب الأمراض العقلية، فكان يخصص لها قسم فى كل بيمارستان، يتلقى فيه المريض عناية خاصة من أطباء حاذقين ومهرة فى فنون العلاج النفسي.

وقد وصل الاهتمام بهؤلاء المرضى حداً إلى الدرجة التى معه كانت أقسامهم فى بيمارستانات بغداد ودمشق، والقاهرة، وقرطبة تفرش بفرش من القطن فى ردهات يتوفر فيها الهدوء والهواء الطلق والنور ، وعليهم مشرفون يتعهدونهم بالأشربة المسكنة والمرطبة، ويغذونهم بمرق الدجاج وأنواع الألبان ، وفى بعض البيمارستانات مثل بيمارستان حلب خص المريض بخادمين ينزعان عنه ثيابه كل صباح، ويحممانه بالماء البارد، ويلبسانه أنظف الثياب ، ويحملانه على أداء

الصلاة، ويسمعانه قراءة القرآن - ألا بذكر الله تطمئن القلوب -
ويخرجان به إلى الهواء الطلق .

فصل طب العيون

أطلق أطباء وعلماء الحضارة الإسلامية على علم طب العيون مصطلح "الكحال" ، وعلى الطبيب المتخصص "الكحال" الذى يعنى التخصص الطبى الرفيع فى طب العيون ، ولا يحصل عليه إلا من كان على علم وخبرة بتشريح العين ودقائقها ووظائفها ، ومجتازاً لامتحانات قاسية أمام المحتسب فى عدد طبقات العين ، وعدد رطوباتها ، وجراحاتها وأمراضها الرئيسة والفرعية ، وتركيب أدويتها ، الأمر الذى مكّن المتخرجين من الأطباء من الممارسة المهنية الجيدة ، والتأليف المعتبر ، فقدموا من الإنجازات ما شهدت به وأفادت منه العصور اللاحقة حتى العصر الحديث .

عُنى أطباء الحضارة الإسلامية عناية فائقة بجراحة العين وأجزائها كالأجفان ، وفصلوا القول فى جراحتها وما يصيبها مثل الشعرة الناكسة وكيفية معالجتها بالتشمير والكى ، وجراحة السّبل والظفرة ، والثآليل التى تعرض فى جفون العين ، والبرَدَ وهو اجتماع رطوبة غليظة فى الجفنين ، والشرناق وهو تشكل الحليمات فى الملتحمة الجفنية ، وكذلك استئصال السعفات والأورام ، وأطلقوا تعبير "الماء النازل فى العين" على الساد ، وابتكروا المقدح المجوّف واستخدامه فى تفتيت الماء بالمص أو الشفط ، ثم طوروه بجعل حافة إبرته رقيقة كالسيف ، بعد أن كانت مثلثة ، وصنعوها من النحاس الأصفر ، وذكروا لأول مرة أن الساد (الماء) يقع خلف العنبية (القزحية) وليس أمامها ، كما كان سائداً ، ووصفوا لأول مرة عملية استخراج الساد عن طريق الضغط عليه من خارج العين واستدراجه برأس الإبرة ليخرج من الجرح أسفل الإكيل القرنى ، وأظهروا لأول مرة رسومات الآلات

الجراحية ، وحذروا للمرة الأولى فى تاريخ الطب من أذية بطانة القرنية أثناء القدح ، إذ أن ذلك يوجب آفة مستديمة وتغيماً وأبيضاضا فى القرينة يصعب علاجه ، كما أن عدم التئام الجرح واستمرار نز الرطوبات العينية منه يؤدى بالعين إلى انخسافها وضمورها ، وفقدان بصرها ، وهذا ما يحذره جراحوا العيون حالياً ، واكتشفوا ودونوا لأول مرة فى تاريخ الطب أن الحدقة تضيق فى الضوء وتتسع فى الظلمة ، وعرفوا كيفية خياطة الجروح من الداخل بحيث لا تترك أثراً فى الخارج ، وذلك عن طريق استعمال إبرتين وخيط واحد مثبت بهما ، واستعملوا لأول مرة المغناطيس فى استخراج الأجسام المعدنية التى تدخل فى العين ، ووضعوا أول كتاب منهجى متكامل عن طب العيون فى الحضارة الإسلامية يبحث فى الأمراض التى يمكن أن تصيب العين وكيفية معالجتها ، ويختلف عن المؤلفات اليونانية التى كانت تفصل بين المرض وعلاجه ، ولذا ظل مصدراً غنياً نهل منه أطباء العيون على مستوى العالم لأجيال متلاحقة ، وقدموا مفاهيم وأسس علمية ونظريات مبتكرة غير مسبوقة فى الإبصار ، قامت عليها النظريات الحديثة ، مثل كيفية الإبصار ، وأخطاء البصر ، والانعكاس والانعطاف وأنواع المرايا ، وألفوا أول كتاب عن تشريح العين وملحقاتها فى تاريخ الإنسانية ، وأول من رسم مقطعاً أفقياً للعينين والتصالب البصرى والدماغ ، وأول من وضع رسماً توضيحياً لمقطع أفقى وعمودى فى العين ، إلى غير ذلك من الإنجازات التى جعلت طب العيون يحتل مكاناً مرموقاً فى تاريخ العلم العالمى .

وهذا ما حفّزَ الباحثين والعلماء من الجانبين العربى ، والغربى على البحث والتنقيب فى المخطوطات العربية لهذا الاختصاص الفريد ،

وذلك بغرض الوقوف على الحجم الحقيقى لما قدمه علماء الحضارة الإسلامية فيه ، خاصة وأن ما وصلنا من مؤلفات ومخطوطات الكحالة فى الحضارة الإسلامية ، ليست هى كل المادة العلمية التى كتبها العلماء ، فبعضها وصل ، وبعضها فُقد ، وبعضها ضاع ، وبعضها ضاع مؤلفها ، كمخطوطة "كتاب فى العين" بمكتبة نور عثمانية باسطنبول لموسى بن هارون ، والذى يخلو تاريخ الطب العربى الإسلامى من اسمه حتى الآن. وكذلك هناك كثير من أطباء العيون لم يأت ذكرهم لا فى المصادر القديمة ، ولا فى الكتابات الحديثة ، ولا وجود لهم إلا من خلال مؤلفات ونصوص لهم اقتبس منها الرازى فى موسوعته الحاوى، ولولا الرازى ، لضاعت مثل هذه النصوص كما ضاع أصحابها كأبى عبد الله بن يحى صاحب كتاب الاختصارات ، وأبى عمرو الكمال ، والواسطى صاحب "جامع الكحاليين" ، وابن طلاوس.

وفى دراسة مستقلة[1] حاولت الكشف عن مثل هذه النصوص وإضافتها إلى المحصول العلمى والمعرفى لطب العيون فى الحضارة الإسلامية ، وذلك من خلال تحقيق كل نصوص أطباء العيون فى الحضارة الإسلامية التى دوّنها الرازى فى موسوعته الحاوى ، بالإضافة إلى نصوصه هو ، وكل ذلك بغرض الوقوف على الحجم الحقيقى لعلم طب العيون فى الحضارة الإسلامية ، وأثره فى الحضارة الإنسانية .

وبدءا بإسهام تياذوق فى الكحالة أو طب العيون ، فلم أقف عليه إلا من خلال الرازى الذى اقتبس كثير من نصوص تياذوق فى طب العيون وصيدلانيتها ، ودوّنها فى الحاوى[2].

---

(1) خالد حربى، طب العيون فى الحضارة الإسلامية أسس واكتشافات،ط الأولى، المكتب الجامعى الحديث، الاسكندرية2010.

(2) أنظر نصوص تياذوق فى طب العيون فى فصل تياذوق فيما سبق من هذا الكتاب.

وساهم ماسرجويه البصرى فى حقل الكحالة ، وألف "كتاب فى العين" ، ومع أن هذا الكتاب لم يصل إلينا كغيره من مؤلفات ماسرجويه ، إلا أن الرازى قد حفظ لنا كثير من نصوصه فى موسوعته الحاوى ، وتلك مسألة تشير إلى أهمية نصوص ماسرجويه فى طب العيون ، حيث أقرها الرازى بعد أكثر من قرن من الزمان ، ودوّنها فى الحاوى منسوبة إلى صاحبها ماسرجويه [1].

وتناول عيسى بن حكم الدمشقى فى كُناشه الكحالة ، فعرف كثيراً من أمراض العيون مثل الشعيرة والطرفة ، والوردينج ، والساد ، والخيالات ، وتشخيصها ، وصيدلانيتها ، وجاءت معلوماته فى هذا الحقل مفيدة للاحقين من أجيال العلماء ، فنقلوا منها فى مؤلفاتهم ، لاسيما الرازى الذى أقر كثيراً من معارف عيسى فى طب العيون ، ودوّنها فى الحاوى ، فحفظها من الضياع .

وكان عبدوس طبيباً مشهوراً ببغداد على أيام المعتضد (ت 289هـ) ، حسن المعالجة ، جيد التدبير ، ويعرف كثيراً من الأدوية المركبة ، وله تجارب حميدة ، وتصرفات بليغة فى صناعة الطب ، وله من الكتب كتاب التذكرة فى الطب[2].

وإذا كان كُناش الساهر لم يصل إلينا مثله مثل كثير من مؤلفات الطب العربى الإسلامى ، إلا أن الرازى حفظ لنا كثيراً من نصوصه فى موسوعته الحاوى ، الأمر الذى يشير إلى أهمية كُناش الساهر من ناحية ، وأهمية الحاوى من ناحية أوسع .

([1]) أنظر نصوص ماسرجويه البصرى فى فصل ماسرجويه فيما سبق من هذا الكتاب.

([2]) ابن أبى اصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، دار الحياة ، بيروت بدون تاريخ ، ص 312.

ولا يخلو اهتمام عائلة **بختيشوع** بالطب ، وتضلعهم فيه ، من حيز للكحالة ، أو طب العيون ، فقد اهتموا بالعين مثلها مثل بقية أجزاء الجسم التى عرفوها ، ووقفوا على أمراضها ، وقدموا لها من العلاجات ما يساعد على الشفاء منها ، كما دوّنوا معلوماتهم العلمية فى مؤلفات مثل مالجورجس من : رسالة مختصرة فى الطب ، وكتاب الباه ، وكُناشه الذى نقله حنين بن اسحق من السريانية إلى العربية ، ومثل مالبختيشوع من: التذكرة ، وكتاب فى الحجامة على طريق السؤال والجواب ، ومثل لجبرائيل من: كناشه الكبير الملقب بالكافى ، والروضة الطبية ، ومقالة فى ألم الدماغ، ورسالة فى عصب العين.

وبخلاف كتاب الروضة الطبية لجبرائيل والذى نشره بول سباط فى القاهرة سنة 1927 ، وكتابه "مقالة فى العين" الذى رأى سباط مخطوطته فى مكتبة الجراح الخاصة بحلب ، تكاد تكون مؤلفات عائلة بختيشوع غائبة أو مفقودة. ومن أحسن السبل التى تساعد على الوقوف على نصوص منها "حاوى" الرازى. فلقد اقتبس الرازى من مؤلفات العائلة كثير من النصوص ، ودوّنها منسوبة إلى أصحابها فى موسوعته الأهم ، الحاوى .

وكتب **الطبرى** مؤلفات كثيرة فى الطب وغيره ، بقى منها كتاب حفظ الصحة (مخطوط اكسفورد) ، وكتاب اللؤلؤة (مخطوط استانبول) ، فضلاً عن فردوس الحكمة. وضاع منها : كتاب ارفاق الحياة ، كتاب تحفة الملوك ، كتاب كُناش الحضرة ، كتاب منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير ، كتاب فى الحجامة ، كتاب فى ترتيب الأغذية.

إلا أن أهم واشهر كتبه الطبية التى وصلتنا ، هو كتاب "فردوس الحكمة" ، أقدم تأليف عربى جامع لفنون الطب ، وأول موسوعة طبية عربية اعتنت بالطب وعلومه ، وما يلزم لدراستها ، فاحتوت علم الأجنة ، وعلم السموم ، والطب الباطنى ، والعقلى ، وطب النساء ، والتشريح كما لخص الطبرى فيها آراء الأقدمين فى الطب والعلوم الطبيعية . ويقع الكتاب كما يقول الطبرى : فى سبعة أنواع من العلم ، ولهذه الأنواع ثلاثون مقالة ، ولمقالاتها كلها ثلاث مائة وستون بابا.

ويشغل طب العيون حيزاً كبيراً فى فردوس الحكمة تضمن تركيب العين وتشريحها ، وعدد طبقاتها ورطوبتها ، وعللها وأعراضها وأسباب حدوثها ، وعلاجاتها وغيرها من المسائل الأخرى التى تتعلق بطب العيون.

ويعد **يحى بن ماسويه** رائداً من وراء طب العيون فى الإسلام ، إذ كتب فى هذا المجال كتابين مهمين ، هما كتاب "دَغَل العين" ، وكتاب "معرفة محنة الكحالين. ويُعد "دَغَل العين" أقدم كتاب تعليمى فى طب العين تمتلكه البشرية فى نسخ خطية نادرة، يتميز أسلوبه بحيوية توضح الصلة القائمة بين الأستاذ وتلاميذه ، وتعلق أهمية كبيرة على دقة استجواب المريض كما هو متبع حتى اليوم .

تُرجم كتاب "دَغَل العين" إلى اللاتينية واعتمدته أوربا مرجعاً لطب العين يشهد لمؤلفه بفتح جديد فى تاريخ الطب ، فهو أول من وصف المرض الذى يتصف بظهور أوعية دموية على القرينة ، وهو مرض السبل .

وفى كتاب "معرفة محنة الكحالين" يختصر ابن ماسويه كل أمراض العين فى هيئة سؤال وجواب لكى يسهل على دراسى الطب

دراستها. ويعد هذا الكتاب أقدم كتاب عربى كتب على شكل السؤال والجواب ، وتتضح أهمية هذا النمط التعليمى فى تاريخ الطب ، إذا علمنا أنه شاع لدى علماء الحضارة الإسلامية اللاحقين ليحيى بن ماسويه ، وليس فى طب العيون فحسب ، بل وفى فروع الطب المختلفة ، وذلك ما تجده على سبيل المثال لدى حنين بن اسحق – تلميذ ابن ماسويه – والرازى ، وغيرهما.

اقتصر معظم من كتب فى طب العيون عند يحيى بن ماسويه على ذكر هذين الكتابين "دغَل العين" و "معرفة محنة الكحالين" ، إلا أن البحث المستقصى والدراسة المتأنية ليكشفان عن مؤلفات أخرى ليحيى بن ماسويه تناول فيها طب العيون ، ومنها كتاب الكمال والتمام ، وكتاب الأدوية المنقية ، الأول ذكره المؤرخون ومنهم ابن أبى اصيبعة ، والآخر لم يذكره المؤرخون ، ولا يوجد نصوص منه إلا فى حاوى الرازى .

وفى فصلين سابقين من هذا الكتاب. تعرضنا لإسهام حنين بن اسحاق، وإبنه إسحاق فى طب العيون.

وإذا كان ابن أبى أصيبعة قدم قائمة طويلة بمؤلفات **قسطا البعلبكى** [1] بيد أنها تخلو من مؤلفات فى الكحالة ، أو طب العيون ، إلا أن صاحب تاريخ أطباء العيون العرب[2] يذكر أن قسطا ترك لنا كتاباً واحداً على الأقل فى الكحل ، هو "كتاب فى تركيب العين

([1]) منها : كتاب فى أوجاع النقرس ، كتاب فى الروائح وعللها ، رسالة إلى أبى محمد الحسن بن مخلد فى أحوال الباه وأسبابه على طريق المسألة والجواب ، كتاب جامع فى الدخول إلى علم الطب ، كتاب فى السهر ، ألفه لأبى الغطريف البطريق مولى أمير المؤمنين ، كتاب فى العطش ، كتاب فى القوة والضعف ، كتاب فى الأغذية على طريق القوانين الكلية ، كتاب فى النبض ومعرفة الحميات وضروب البحرانات ، كتاب فى علة الموت فجأة ، كتاب فى أيام البحران فى الأمراض (ابن أبى اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص 130).

([2]) نشأت الحمارنة ، تاريخ أطباء العيون العرب ، مجلة الكحال ، 2007 ، ج 2 ، ص 24.

وعللها" ، هذا الكتاب رأه السباط فى حلب ، كما رأى أيضاً لقسطا "رسالة فى تركيب العين وإظهار حكمة الله فيها" ، ولكن سباط لا يقول لنا ما إذا كان هذان المؤلفان عملاً واحداً ، أم أن الرسالة جزء من الكتاب. ويظل هذا الأمر مجهولاً إلى أن يقيض الله لنا أن نرى من جديد هذين الأثرين اللذين غابا فى حلب .

وإلى أن يظهرا يمكن للقارئ والمتخصص فى تاريخ الطب أن يحصل على نصوص لقسطا اقتبسها الرازى ، فى الحاوى ، وحفظها من الغياب أو الضياع.

أما **الرازى** فلم يترك أياً من أجزاء الجسم إلا ودرسه ، ووصفه ، وشخّص أمراضه ، وقدم لها العلاجات المناسبة ، يدلنا على ذلك منهجه فى التأليف ، حيث امتازت معظم مؤلفاته بتناول الأعضاء ، أو الأمراض من الرأس إلى القدم . وهذا ما نجده، على سبيل المثال ، فى "الحاوى" ، "المنصورى" ، "بُرء ساعة" ، "التجارب" ، "الجراب" ، "منافع الأغذية ودفع مضارها" ، و "كتاب فى علاج الأمراض بالأغذية والأدوية" . وغير ذلك . كما أبدع الرازى فى تخصيص مؤلفات خاصة لأمراض بعينها ، مثل : "رسالة فى الجدرى والحصبة" ، "كتاب فى الفالج" ، "كتاب فى اللقوة" ، "كتاب فى الحصى فى الكُلى والمثانة" ، " كتاب القولنج" ، " مقالة فى البواسير والشقاق فى المقعدة" ، و " مقالة فى النقرس" .

ومع ما تشغله هذه المؤلفات من أهمية فى تاريخ الطب الإنسانى ، إلا أن "**العين**" بالذات ، وطبها ، وصيدلانيتها قد شغلت حيزاً كبيراً من اهتمام الرازى[1] . فتكاد تكون العين هى العضو الوحيد من أعضاء

(1) خالد حربى ، اسهام الرازى فى طب العيون وصيدلانيتها ، "بحث فى أعمال مؤتمر "العين فى التراث الطبى الإسلامى 13 – 15 مارس 2007 ، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ، الكويت.

الجسم الذى أفرد له الرازى عدة مؤلفات ، لا مؤلف واحد . ومنها : " كتاب فى هيئة العين : ، "كتاب فى فضل العين على سائر الحواس" ، " مقالة فى المنفعة فى أطراف الأجفان" ، " مقالة فى العلة التى من أجلها تضيق النواظر فى النور وتتسع فى الظلمة" ، " مقالة فى علاج العين بالحديد" ، و" كتاب فى كيفية الإبصار". هذا بالإضافة إلى ما احتوت عليه المؤلفات الجامعة من أبواب وفصول مستقلة فى العين وأمراضها وعلاجها .

قدم الرازى وصفاً بليغاً لتركيب العين ، يكاد لا يقل عما هو معروف فى الطب الحديث عن أجزاء العين ، فالعين ، تبعاً للرازى[1] ، تتركب من سبع الرطوبات والطبقات خلقت لمعونة هذه الرطوبة لتؤدى إليها منفعة ، أو لتدفع عنها مضرة ، فهن كالخدام لها ، فيحطن بها من كل الجوانب ، وهى فى الوسط كالنقطة فى الكرة .

والدليل على أن البصر يكون بهذه الرطوبة ، أنه إذا حال الماء بينها وبين المحسوس ، امتنع البصر .

وتقع هذه الرطوبة بين رطوبتين ، واحدة أمامها شبيهة ببياض البيض تسمى "البيضية" وأخرى خلفها شبيهة بالزجاج المذاب وتسمى "الزجاجية" .

وخلف هذه الرطوبة ثلاث طبقات ، أولها شبيهة بالشبكة وتسمى "الشبكية".

وخلف هذه الطبقة ، طبقة شبيهة بالمشيمة ، وتسمى "المشيمية".

والطبقة الثالثة تقع خلف الثانية ، ولها خاصية صلبة شبيهة بالعظم ، ويقال لها "الصلبة" .

([1]) الرازى ، الفاخر فى علم الطب ، مخطوط مكتبة بلدية الإسكندرية رقم 7400 ، مسلسل 3775 ، 3775 ج ، ورقة 141 ظهر ، 142 وجه بتصرف.

وتلى هذه الرطوبة البيضاء ثلاث طبقات ، الأولى شبيهة بحب العنب ، فى لونها سواد مع لون السماء ، مختلف لونها فى الأبدان . وفى وسطها ثقب يلى الجليدية ، يتسع فى حالة ، ويضيق فى أخرى بمقدار حاجة الجليدية إلى الضيق ، فيضيق عند الضوء الشديد ، ويتسع فى الظلمة. وهذا الثقب هو "الحدقة". وهنا يكتشف الرازى لأول مرة فى تاريخ الطب أن الحدقة تضيق فى الضوء ، وتتسع فى الظلمة.

وقد كان مورجانى عالم التشريح المرضى الشهير فى القرن الثامن عشر أول من انتبه إلى ذلك ، فأشار إلى أن الرازى هو السبّاق إلى اكتشاف هذه الخاصية الغريزية ، ثم أكد ذلك بدج Budge فى منتصف القرن التاسع عشر. والمؤسف أن مؤرخى طب العيون لا يتوقفون طويلاً عند هذه المسألة المهمة التى فاتت الأطباء والفلاسفة الإغريق كما يقول هيرشبرج. والمؤسف أيضاً أن أطباء العيون فى العالم لا يعرفون هذه الحقيقة ، والأشد إيلاماً أن الأطباء العرب ليسوا أحسن حالاً فى هذه المسألة ، على الرغم من أن كشف الرازى هذا هو إحدى النقاط المضيئة فى تاريخ العلوم العربية[1].

وتلى طبقة الحدقة ، طبقة أخرى شبيهة بالقرن ، وهى "القرنية" التى تقى الجليدية الآفات والضوء.

وتحيط بالقرنية وتلتحم بها طبقة تسمى "الملتحم" ، وهى بياض العين[2].

([1]) نشات الحمارنة ، تاريخ أطباء العيون العرب ، دمشق2007، 3 / 91 .

([2]) تتركب العين فى الطب الحديث من : مقلة العين ، وهى عبارة عن عضو كروى الشكل ، يبلغ قطره 24 مم تقريباً . ويبين قطاع طولى فى المقلة أنها تتركب من : أولاً الجدار ، ويتكون من ثلاث طبقات ، هى : 1- الطبقة الخارجية (الصلبة والقرنية) ، حيث يسمى الجزء الخلفى من الطبقة الخارجية "الصلبة" ، وهى التى يطلق عليها العامة "بياض العين" ، وهى جزء معتم حتى يسمح بإظلام تجويف العين تماماً. أما "القرنية" فتشكل السدس الأمامى لهذه الطبقة ، وهى شفافة تماماً مما يسمح بدخول الضوء إلى العين . 2- الطبقة المتوسطة (المشيمة) ، وهى طبقة إسفنجية=

وتظهر دقة واختصاص الرازى بطب العيون فى "المشجَّرة" ، تلك الرسالة المهمة التى كتبها الرازى فى أمراض العيون ، ولم تذكرها أى من مصادر ومراجع تأريخ الطب الإسلامى .

تقع "المشجرَّة" فى أربعة أبواب ، الأول منها مخصص لعلم التشلايح فيبحث فى ماهية حد العين وكيفية تركيبها. وفى العلل العارضة للعين يصنف الباب الثانى الأمراض وفق تسلسل تشريحى صارم ، والباب الثالث فى أسباب الأمراض العارضة للعين وعلاماتها ، والباب الرابع فى علاج الأمراض العارضة للعين.

ويسجل الباب الثالث من "المشجرة"[1]: الخطوة التاريخية المهمة التى خطاها الرازى فى مضمار تصنيف كتب التدريس ، إذ جمع أسباب الأمراض وعلامات هذه الأمراض فى موضع واحد ، بينما كان الأقدمون يضعون الأسباب وحدها فى باب والعلامات وحدها فى باب آخر.

=رقيقة تتكون من شبكات متداخلة من الأوعية الدموية وخلايا بنية اللون. والجزء الأمامى من هذه الطبقة مخروطى الشكل يشتمل على عضلات لا إرادية ويسمى "الجسم الهدبى" . ويلتصق بالجسم الهدبى من الأمام قرص يسمى "القزحية" ويحتوى على خلايا ملونة ، وعضلتان لا إراديتان ، ويتوسط قرص القزحية ثقب متغير الاتساع يسمى "البؤبؤ" أو "حدقة العين" التى تتحكم فى كمية الضوء الداخلة للعين ، فيضيق فى الضوء الشديد ، ويتسع فى الضوء الخافت. 3- الطبقة الداخلية (الشبكية) وهى طبقة شفافة من الخلايا العصبية وأليافها ، تسقط عليها صور المرئيات من العالم الخارجى ، ثم يتولى العصب البصرى نقلها إلى مركز الإبصار بالمخ. ثانياً: الجسم الزجاجى : مادة هلامية تحيط جدار مقلة العين ، تحافظ على شكل العين ، وتقى الشبكية من الذبذبات الناتجة عن الحركات السريعة والمفاجئة للعين ، ومن الصدمات الخارجية . ثالثاً: عدسة العين ، وهى عبارة عن قرص جيلاتينى شفاف يقع بين الجزء الزجاجى فى الخلف وقزحية العين فى الأمام وتختص العدسة بمعاونة قرنية العين فى تجميع حزم الأشعة الضوئية الصادرة عن المرئيات البعيدة والقريبة لتظهر صورتها على الشبكية .(راجع ، محمد عمارة ، أمراض وإصابات العيون ، والوقاية منها ، مركز الأهرام للترجمة والنشر 1419 هـ/ 1998 ، ص 10-12).

([1]) نشأت الحمارنة ، تاريخ أطباء العيون العرب ، 3 / 110.

أما عن تشخيص أمراض العين ، فمن الثابت أن الرازى أرسى قواعد التشخيص السريرى . فقد جاء فيه بقواعد لها أهميتها حتى الآن ، ومنها : المراقبة المستمرة للمريض. والاختبار العلاجى ، وهو أن يُعطى العليل علاجاً مراقباً أثره ، وموجهاً للتشخيص وفقاً لهذا الأثر . ومنها دقة استجواب المريض ، فينبغى للطبيب أن لا يدع مسائلة المريض عن كل ما يمكن أن يتولد عن علته من داخل ، ومن خارج ، ثم يقضى بالأقوى. وكذلك العناية بفحص المريض فحصاً شاملاً . وإلى جانب هذه القواعد ، هناك مجموعة أخرى وضعها الرازى ينبغى لمن يريد التشخيص السليم من الأطباء أن يتبعها ، فيذهب إلى أن الحاجة إلى استدلال العلل الباطنة يحتاج إلى[1]: العلم بجواهرها ، العلم بمواضعها ، العلم بأشكالها ، العلم بأعظامها ، العلم بما تحتوى عليه ، العلم بفضولها التى تدفع عنها . ففى مثل هذه الأمور وأشباهها ينبغى أن يكون قد تدرب من يريد استخراج علل الأعضاء الباطنة لكى يمكنه اكتساب الدلائل. ويصيب المقدمات الدالة على العضو الوجع ، وماهية وجعه ، لأنه متى لم يعرف ذلك ، لم يكن علاجه على طريق الصواب .

وبتطبيق هذه القواعد على العين ، يشخّص الرازى معظم أمراضها عن طريق فحص أجزائها ، خاصة وأنه من الممكن أن يضعف البصر ، أو يفقد بدون تغير ملحوظ فى شكل العين الخارجى.

يقول الرازى معلماً تلاميذه[2]: تذكر جملة ذهاب البصر وصورة يبسه أولاً ، فإنه ربما يكون البصر قد فقد أو ضعف وليس فى شكل العين كثير تغير ، وإن كان فيكون قليلاً ، وإن كان لا يبصر الإنسان وليس فى الحدقة اتساع ولا ضيق بيّن ولا كدورة ، والعين بحاله ،

([1]) راجع الرازى ، المرشد أو الفصول ، ، ص 66-68 .

([2]) الرازى ، وتحقيق خالد حربى، الحاوى فى الطب، ج5 طب العيون. ،

فانظر هل هناك سدة بأن تنقله من الضوء إلى الظلمة. وتفقد اتساع الناظر بتغميض إحدى العينين أيضاً ، فإن تفقدت ذلك وكان على الحال الطبيعية ، فانظر فلعل الثقب قد اتسع فضل اتساع ، أو ضاق فضل ضيق ، ولم يستبن لك ذلك لأنك لم تر الحدقة فى الصحة. ويمكنك أن تعرف ذلك بعدم تشابه حال الحدقتين ، فأحداهما تضيق أكثر مما تتسع ، أو تتسع أكثر مما تضيق .

فإذا تقصيت النظر فى أمر الثقب وعلمت أنه لم يحدث له ضيق ولا اتساع خارج عن الطبع ، انظر فى أمر العصب الجائى ، فإن كان ثقل فى الرأس ، وبطئ فى الحواس أجمع ، وسائر ذلك من ضرر الحواس ، فالعلة فى الدماغ. وعندئذ أنظر إلى التدبير وحال البدن والنوم واليقظة لتستدل أمن يبس هو ، أم من رطوبة.

يتضح من هذا مدى دقة ومهارة وعلم وخبرة الرازى بتركيب العين ومعرفة أدق أجزاءها ، إن فى حال الصحة ، أو المرض.وتتجلى هذه المهارة فى تشخيص أمراض العين بالاستدلال من حالة أجزاءها الداخلية ، لاسيما وأن البصر قد يضعف أو يفقد بدون تغيّر ملحوظ يلاحظه الطبيب فى شكل العين الخارجى. ويدلنا مثل هذا التشخيص على أن صاحبه لابد وأن يكون على علم وخبرة بالتشريح وممارسته.

وقد مارس الرازى التشريح وأوضح دليل على ذلك كتابه "المنصورى" -فضلاً عن الحاوى وغيره- وخاصة مقالته الأولى التى عنّونها بـ "فى المدخل فى الطب وفى شكل الأعضاء وهيئتها". فالمطالع لهذه المقالة يدرك من خلال ما تحتويه من وصف دقيق أن صاحبها على علم كبير بتشريح الأعضاء.

وقد انعكست خبرة الرازى فى التشريح على تشخيصه الدقيق لمعظم أمراض الجسم من الرأس إلى القدم . وهاك بعض التشخيصات الرازية لبعض أمراض العيون:

الرمد [1] ورم حار يعرض فى الغشاء الملتحم ، وله ثلاثة أنواع:

النوع الأول : يسمى باليونانية طارايحس ، أى الاضطراب وأكثر هذا النوع يكون من علة ترد إلى العين من خارج مثل الدخان ، أو الشمس ، أو الغبار ، وما أشبه ذلك .

النوع الثانى : يعرف بالالتوى ، وهو أشد صعوبة من النوع الأول. ويحدث من سببين ، أحدهما خارجى ، والآخر داخلى. فأما الخارجى ، فمثل ما يعرض فى النوع الأول ، إلا أنه يكون فى هذا النوع أقوى وأشد وأصعب. وأما الداخلى فيكون من انصباب مادة إلى العين ، وبالتحديد إلى الغشاء المعروف (بالملتحم) ، والسبب فى ذلك ضعف العضو القابل للمادة ، وهو العين ، وقوة العضو الدافع وهو الدماغ.

والفرق بين هذا النوع والنوع الأول ، هو أن الأول يسكن بسكون السبب المحدث له. أما النوع الثانى فإنه يبقى بعد سكون السبب المحدث له نتيجة لرطوبة تعم العين.

النوع الثالث : يسمى باليونانية حيمرسيوس ، وهو أشد صعوبة من النوع الثانى ، وأعراضه : وجع العصب واحمرار العين ، وامتلاء العروق التى فيها ، وغلظ الأجفان إلى الدرجة التى يمكن معها أن تنقلب إلى الخارج ، فضلاً عن عسر حركتها ، وورم يعرض فى بياض العين.

وفى موضع آخر من الفاخر ، يُعرِّف الرازى الرمد عن طريق

([1]) راجع ، الرازى ، الفاخر فى علم الطب ، مخطوط مكتبة بلدية الإسكندرية رقم 7400 ، مسلسل 3775 ج ، ورقة 138 ظهر ، 139 وجه .

الاستدلال بأعراضه قائلاً[1] : الرمد إما أن يكون من كثرة الدم ، وعلامته شدة حمرة العين ، وعَظِمْ الانتفاخ ، وكثرة التمدد .. أو يكون من الصفراء ، وعلامته أن يكون الورم والانتفاخ والتمدد وسيلان الدموع أقل .. أو يكون من البلغم وعلامته عِظمْ الانتفاخ ، مع قلة الحمرة ، وكثرة الدموع .

العلة المسماة زرقة ، وهى أن ينظر فى ثقب العنبى فيرى كأن ذلك الموضع من الخبز العنبى أزرق ، فإن كان العنبى كله أزرق ، فذلك الموضع يكون اشد زرقة حتى يستبين ذلك ، وصاحبه لا يبصر إذا استحكم ، ويضعف بصره إذا بدأ ، وإنما هو جفاف وغلظ يعرض للجليدى[2].

والقروح تكون فى العين مع وجع شديد بنخس ذو ضربان ، ودموع كثيرة . وإذا رفعت الجفن ، وجدت فى بياض العين مكاناً قد أحمر ، وموضعاً به بقايا حمرة. أو موضعاً فى سوادها قد أبيض نتيجة خروج بثرة فى العين .

وتنقسم قروح العين إلى سبعة أنواع[3]: أربعة فى سطح القرنية ، وثلاثة فى قعرها.

- النوع الأول من الأنواع الأربعة يسمى "الظلمة" ، وهى قرحة تكون فى السطح الخارج من الطبقة القرنية ، لونها شبيه بلون الدخان ، وتشغل حيزاً كبيراً من سواد العين.
- النوع الثانى : "السحاب" ، وهى قرحة أكثر غوراً من قرحة النوع الأول ، واشد بياضاً ، وأصغر منها كثيرا .

([1]) الرازى ، الفاخر فى علم الطب ، ورقة 144 ظهر ، 145 وجه .
([2]) الرازى ، وتحقيق خالد حربى، الحاوى فى الطب، ج5 طب العيون. ،
([3]) راجع الرازى ، الفاخر فى علم الطب ، ورقة 152-153 بتصرف .

- النوع الثالث : "اوغيمون" وهى قرحة تكون على طرف الإكليل ، وهو سواد العين ، وتأخذ موضعاً يسيراً من بياض العين ، ويُرى فيه لونين ، فما كان خارجاً من الإكليل ، يُرى أحمر. وما كان منها داخل الإكليل ، يُرى أبيض . والعلة فى ذلك أن ما كان من القرحة داخل الإكليل ، فهو فى القرنية ، وما كان منها خارج الإكليل ، فهو فى الملتحم . وكل قرحة تعرض فى الطبقة الملتحمة ، تكون حمراء . وتميل القروح العارضة فى القرنية إلى البياض.

- النوع الرابع : الاحتراق ، وهى قرحة تعرض فى السطح الخارجى لطبقة القرنية .

والنوع الأول من الأنواع الثلاثة التى تعرض فى قعر القرنية ، هو قرحة عميقة صافية ضيقة .

النوع الثانى : قرحة أوسع من القرحة الأولى ، ولكنها أقل عمقاً منها .

النوع الثالث : قرحة (وسخة) كثيرة السدد ، وتعرض فى أكثر الأمر لصاحبها بسبب فضل عارض فى طبقات العين .

أما الجرب فينقسم إلى أربعة أنواع[1] : الأول يحدث فى باطن الجفن الأعلى ، وتتبعه حمرة شديدة وخشونة ، والنوع الثانى تكون الخشونة فيه أشد منها فى النوع الأول ، ويتبعه وجع شديد. وقد تَعُمْ النوعان معاً رطوبة تحدث فى العين. أما النوع الثالث ، فإنه أقوى من الثانى ، واصعب ، وتبلغ شدة الخشونة فيه أنها تُحدث ثقب فى جفن العين شبيه بالثقب فى التبن المتراكم ، ولهذا يسمى هذا النوع من الجرب "التبنى" . والنوع الرابع من الجرب أشد صعوبة من الثانى والثالث ، وأكثر خشونة ، وأطول مدة .

([1]) الفاخر ، ورقة 158 ظهر ، 159 وجه .

والطرفة هى انصباب يعرض فى الغشاء الملتحم من انقطاع عرق ، أو من ضربة ، فتحدث نقط حمراء فى العين. وقد تُعرض فى الفرد من فضل مجتمع ، فيصدع ويجرى إلى الغشاء الملتحم[1].

أما ماء العيون ، فمنه مبتدأ ، وعلامته أن يرى ما يشبه البق الصغير أمام العين. وسبب هذا النوع هو المعدة ، خاصة إذا كان فى العينين معاً ، وخف مرة واشتد أخرى بحسب حال المعدة فى خفتها وثقلها. وإن كانت الحدقة كدرة وكان فيها ضباباً أو دخاناً ، فليس عن المعدة.

ومنه مستحكم ، وعلامته أن يمنع البصر ، وترى الحدقة إذا نظرت إليها مسدودة. وهو صنوف ، والذى يعالج منه بالقدح ما كان إذا نظرت إليه يوجد صافياً ، فإذا غمزته بإبهامك ، انبسط ، ثم عاد فاجتمع.

فأما الأسود والذى لا يتحرك والذى ينقطع إذا غمزته ، ولا يسهل اجتماعه ، فإنه ثابت فى ابتداء الماء فى العين. فينظر إلى العين أهى متساوية فى الظلمة والتخيل ، وفى الابتداء والكثرة ، أم مختلفة .. فإن كان التخيل فى عين واحدة ، أو فى العينين جميعاً مختلفاً ، فإنه دليل الماء ، وإن لم يكن مختلفاً فإنه دليل ألم المعدة .

وينظر أيضاً فى وقت ابتداء التخيل ، فإن كان قد مضى عليه ثلاثة اشهر ، ولم ينكر من صفاء الحدقة شيئاً ، ولم يُر فى العين كدورة ، فذلك من ألم المعدة[2].

والانتشار يحدث بعقب ضربة على العين ، وعلامته اتساع ثقب سواد العين ، وذلك لسيلان الرطوبة إليها ، الأمر الذى يجعل المريض لا

([1]) الفاخر ، ورقة 162 وجه.
([2]) الفاخر ، ورقة 176 ظهر ، 177 وجه.

يقوى على النظر إلى النور والشمس ، وما يراه أصغر مما هو عليه ، ويرى بالليل[1].

والالتزاق هو التحام الجفن ببياض العين أو بسوادها. أو التحام احدى الجفنتين بالأخرى. والنوع الأول يعرض من قرحة ، أو من بعد قطع الظفرة . ويعرض الثانى عند قرحة فى أحد الجفنين[2].

والشعيرة ورم مستطيل يخرج على الجفن ، ويُطلى فى أول أمرها بالصبر والحضض ، ثم تكمد بعد ذلك بشمع حار ، أما الشترة فهى انقلاب الجفن. وسبب هذه العلة إما من غدد ، أو من نبات لحم زائد ، أو من قرحة [3].

والحَوَل[4] يكون من امتداد يعرض فى العضل المحرك للعين .. وقد يعرض من امتلاء فى الفضل من رطوبة ، أو من خلاء وتيبس فى العضل .

ومن أطباء العيون والمؤلفين فى الحضارة الإسلامية من لم يعرف تاريخ ميلاده ولا وفاته ، ولا العصر الذى عاش فيه تحديداً ، إلا أن الأرجح أنه سابق على الرازى أو معاصراً له ، يدلنا على ذلك نصوصه التى اقتبسها الرازى فى الحاوى ، ومنهم :

عبد الله بن يحى : صاحب كناش الاختصارات ، والذى قال فيه: علامات الرمد الكائن من الحرارة أن ترى العين حمراء وارمة ، وتلقى رمص ، فعالجها بالأشياف والذرور الأبيض ، وعلامة الرمد البارد أن تكون العين مع الورم ثقيلة قليلة الحمرة ، فعليك بالذرور الأصفر

---

(1) الفاخر ، ورقة 173.
(2) الحاوى ، وتحقيق خالد حربى، الحاوى فى الطب، ج5 طب العيون. ،
(3) الفاخر ، ورقة 176.
(4) الفاخر ، ورقة 177 .

والغرز والشياف الأحمر اللين .

فأما الوردينج فإنه أكثر ما يعرض للصبيان وعلامته أن ترى العين وارمة ، وخاصة جفونها ، حتى أنها تنشق ويخرج منها الدم ، فذرها بالذرور الأصفر .

وليحذر الحمام والآبزن من كان به رمد حتى يبرئ من رمده.

الماء ألوان : فالجيد منه الطيب الذى يقدح ما كان منه أبيض صاف كلون اللؤلؤ البراق ، وإذا كان صاحبه يبصر قليلاً بالنهار ، فإنه لم يجتمع ، فلا يقدح حتى يجتمع .

وإذا قدح فليستلقى ويشد رأسه لئلا يتحرك ، وأطعمه أخف الطعام وأسرعه هضماً ، ورفده بعد أن تضع عليه مح بيضة مع دهن بنفسج ، وجود ذلك فى أول النهار وآخره ثلاثة أيام ، ثم قطر فى عينه لبناً إلى أسبوع ، فإذا سكن الوجع بعد السابع ، يقطر فيه شياف أبيض قابض ، وليقدح إما فى أول الشتاء أو فى آخره.

أبو عمرو الكحال : للظفرة: زنجار محكوك جزء ، أشق نصف جزء ، يسحق كل واحد على حدة ، ثم يجمعان ويسحقان ثانية ، ويخط فى العين منه خمسة أميال بالغداة ، وخمسة بالعشى ، ثم يرده بعد بأصول السوسن مسحوقة مثل الغبار ، فإنه عجيب للظفرة.

لبن اليتوع يقلع الظفرة ، وثمرة الكرم التى مع العسل تبرئ الظفرة ، والملح يذيب الظفرة واللحم الزائد فى العين .

السرطان البحرى إذا خلط بالملح المختص أذاب الظفرة .

لعلاج الطرفة : يؤخذ سنجبويه درهمان ، فلفل درهم ، عروق الصباغين نصف ، نانخواه دانق ونصف ، يكتحل به فإنه عجيب جداً ، أو يغمس الميل فى شحم الخنافس السوداء الكبار ، ويكحل بزعفران

، ويُجعل شيافاً ، ويكحل به كحلاً رقيقاً فإنه حار جداً.

كبد المعز إذا شوى ، فالرطوبة السائلة منه نافعة للعشاء ، وإن فتح العين بحذاء بخاره أيضاً نفع.

قشر الكندر إذا أُحرق كان جيداً للحكة فى العين ، والمر نافع لخشونة الأجفان ، ودخانه كذلك ، وتوبال النحاس يحلل الخشونة العارضة فى الجفون ، والزنجار إن خلط بالعسل واكتحل به نفع للجساء فى الجفن ، وينبغى أن يكمد العين بعد ذلك بماء حار ، وتوبال النحاس بالشياف الذى يقع فيه ، يحلل النوع الشديد من الجرب .

الواسطى :إشارة واحدة وردت عنه فى "عيون الأنباء" حيث ذكر ابن أبى أصيبعة أنه كان أستاذ لجبرائيل بن بختيشوع ، وكتابه الآتى ذكره الرازى فى الحاوى.

كتاب جامع الكحاليين :إذا كان بصبى ورد ينج ولم يقدر أن يفتح عينه ، فينظر هل فيها قرحة أم لا ، فاكحله بالعتزروت ، والزعفران ، وأشياف ماميثا ، وأفيون ، فإنه لا مضرة منه على القروح ، وهو جيد للوردينج.

وسكن الأورام بالضمادات المعمولة من صفار البيض ، وإكليل الملك .

ابن طلاوس لم نجد له ذكرا فى أيٍ من مصادر تاريخ الطب ، ولم نعرفه إلا من خلال ما اقتبسه الرازى منه ، ودوّنه فى الحاوى ، ومنه:

للشعيرة: أذب شمعاً أبيضاً ، وضعه عليه ، أو خذ قنة ونطرون قليلاً فاعجنه بالقنة ، وخذ بالمرود شيئاً يسيراً وضع عليه ، أو خذ خبزاً فبله بالماء حتى يصير كالعجين وضعه عليه فإنه يبدده.

للطرفة: اسق ورق الكرنب وضمد به العين بعد أن يرفع الدم ونحوه ، أو اطبخ صعتراً فى الماء وكمده مرات ، وبل فيه خرقة وضعها على العين ، أو يكب على بخاره دائماً ، ثم يوضع عليه اسفنجة بخل وماء ، فإن لم ينجع ذلك وبقى الورم والحمرة بحالهما ، فاسحق خردلاً حتى يصير ناعماً ، وضعه عليه.

ليكن شراب صاحب الرمد الماء ، فإنه يسكن الحرارة ، وليكثر النوم ، فإنه يسكن الحرارة وينضج ، ويقلل الغذاء ، واطل الجبهة والأجفان بالورد ، ويغسل وجهه بخل وماء ، ويستعمل بعض الأشياف التى تجفف بلا لذع ، ويسهل البطن ، ويجعل وسادته عند النوم مرتفعة ، ويحلق رأسه ليتنفس ، وتُمشط دائماً.

ادخل فى الغرب من الخريق الأسود ، فإنه يقلع اللحم الردئ ، أو خذ من الزنجار أثنى عشر درهماً ، وأشقا ستة دراهم ، فاجعل منه شيافاً ، وضع منه فى الغرب ، واحشه بزاج وعسل .

أما **على بن عيسى الكحال** (329 – 400 هـ)، فهو البغدادى المولد والنشأة والتعليم ، تفرغ للكحالة ، حتى صار مشهوراً فى صناعة الكحل متميزاً فيها ، وبكلامه يقتدى فى أمراض العين ومداواتها ، وكتابه المشهور "بتذكرة الكحالين" هو الذى لابد لكل من يعانى صناعة الكحل أن يحفظه ، وقد اقتصر الناس عليه دون غيره من سائر الكتب التى أُلفت فى هذا الفن ، وصار ذلك مستمراً عندهم[1].

تَذكِرة الكحالين ، أول كتاب منهجى يتبع طريقة حديثة فى الكتابة الطبية ، صار فيه على بن عيسى على منهج علمى صارم مهتدياً بالتقسيم التشريحى للعين ، فجمع ووصل بين وصف المرض وأعراضه

---

(1) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ص 333.

وعلاماته وسبل معالجاته ، فيتحدث عن أمراض الجفن ، ثم الملتحمة ، ثم القرنية ، مما يدل على أن التأليف فى عهده انتقل من النمط التقليدى إلى نمط جديد يعتمد التقسيم التشريحى للعين ، وذلك ما زال متبعاً حتى الآن فى المؤلفات الطبية الحديثة .

تحتوى "تَذكِرة" على بن عيسى على[1] ثلاث مقالات ، الأولى فى تشريح أعضاء العيون ووظائفها ، الثانية فى الأمراض الظاهرة ، والثالثة فى الأمراض الباطنة للعين . والباب الثالث والعشرون من هذه المقالة خصصه المؤلف لحفظ صحة العين ، وبيّن أن صحة العين تتعلق بحفظ صحة البدن عموماً والدماغ خصوصاً ، ذاكراً الأسباب العامة المشتركة للصحة والمرض ، والتى تؤثر فى حفظ الصحة بعامة ، والعين بخاصة ، من الهواء المحيط والمآكل والمشارب ، والحركة والسكون ، والنوم واليقظة ، والاستفراغ والاحتقان ، والأحداث النفسانية ، مع تركيب ثمانية أنواع من الأكحال تقوى البصر وتحفظ صحة العين ، وبعدها عرض الأدوية المفردة لعلاج العين مرتبة على حروف الهجاء ، و 143 دواء تعالج 140 مرضاً فى العيون.

وصف على بن عيسى فى التذكرة مرض الساد (نزول الماء فى العين) وأشكاله وشرح كيفية فحصه ، وشروط استطبابه. وفى مقدمته الألمانية لكتاب تذكرة الكحالين ، يذكر مؤرخ طب العيون الألمانى الشهير هيرشبرج أن على بن عيسى أول كحال اقترح التقويم والتخدير بالعقاقير فى العمل الجراحى ، وذكر العلماء الألمان أنه أول من وصف مرض التهاب الشريان الصدغى وأثره على البصر .

([1]) على بن عيسى ، تذكرة الكحالين ، تحقيق الحكيم عوث الدين محى الدين القادرى الشرفى ، حيدر آباد الدكن ، الهند 1383 هـ ، 1963 م.

وعلى ذلك عُدَّ تذكرة الكحالين مرجعاً علمياً لكل من كتب فى طب العيون على المستويين العربى والغربى ، وصاحبه على بن عيسى– على حد قول هيرشبرج – مؤسس طب العيون عند العرب .

وفى كتابه "التصريف .." يخصص **الزهراوى** للجراحة ستة عشر باباً ، الباب الثامن منها خُصص لجراحة العين ، ومحتوياً على اثنين وثلاثين فصلاً ، عرض الفصل الأخير منها لجراحة الساد أو الماء وهو[1] :رطوبة تشبه الرطوبة التى يتنخعها الإنسان تحدث فيما بين البردية والعنبية ويتعلق بخملها ، فيسد الثقب ويمنع سلوك النور الباصر إلى خارج. وحدوثه من سببين ، إما من داخل أو من خارج ، ويكون على نوعين ، نوع ينجع فيه القدح ، ونوع لا ينجع فيه القدح ، ويكون حديثاً مبدياً ، ويكون مزمناً.

وألوان الماء كثيرة ، ومنه[2] : أزرق وأخضر وعلى لون الجص شديد الجمود والجفوف وأحمر وأسود وأبيض وعلى لون الزئبق فى صفاته ورجرجته ، وعلى لون السماء ، وعلى لون الزجاج ، ومنه رقيق ، ومنه غليظ ، ومنه شيئ يشبه الكمنة . والفرق بين الماء والكمنة ، أن الماء إذا نزل بالقدح إلى أسفل يرتفع إلى أن يكبس مراراً إلى أسفل ، والقيح إذا نزل إلى أسفل لم يرتفع البتة لغلظه.

وولد **عمار بن على الموصلى** (356 – 411 هـ / 966 – 1020 م) ، ونشأ وتعلم بالبصرة حتى صار كحالاً مشهوراً ومعالجاً مذكوراً ، له خبرة بمداواة أمراض العين ، ودربة بأعمال الجراحة التى مارس العمل بها فى البصرة ، والكوفة ، والموصل ، وبغداد ، وديار بكر ،

([1]) الزهراوى ، التصريف لمن عجز عن التأليف ، تحقيق صبحى محمود حمامى ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى 2004 ، ص 440.

([2]) الزهراوى ، المصدر نفسه ، ص 442.

وخراسان ، ودمشق ، واستقر بعض الوقت فى طبريا بفلسطين ، ثم سافر إلى تونس ، واستقر فى القاهرة مزاولاً للمهنة ، ومتمتعاً بالحظوة الكبرى فى الحاكم بأمر الله الفاطمى الذى ألف له عمار كتابه "المنتخب فى أمراض العين وعللها ومعالجتها بالأدوية والحديد".

تضمن هذا الكتاب ابتكار عمار بن على الموصلى طريقة جديدة لاستخراج الماء من العين ، أحدثت نقلة كبرى فى جراحة الساد ، وذلك باختراعه المقدح المجوّف واستخدامه فى تفتيت الساد (الماء) بالمص أو الشفط .

ويشير عمار إلى أن سبب تأليفه لهذا الكتاب هو جهل عامة من يعالجون أمراض العيون إما بالتجربة ، أو بالوراثة من طرق الآباء وغيرهم ، الأمر الذى يؤدى بهم إلى كثير من الأخطاء ، لذلك تراه يبين فى الكتاب طبقات العين مثل الصُلبة والزجاجية والجليدية والشبكية ، وسبب تسميتها ، وكيفية عمل كل واحدة منها . وذكر عدد أمراض العين وأسبابها ، وطرق معالجتها ، وأوصى بالجراحة فى قلع الشعر الزائد فى الأجفان[1] ، وتناول من جراحات العين عملية لماء العين اللينة للامتصاص عن طريق أنبوب معدنى ، أو المقدح المجوف الذى اخترعه ، وشرح عدداً من العمليات التى أجراها بكل تفاصيلها ودقائقها ، وشاعت عملية شفط الساد الطرى عند العلماء المعاصرين واللاحقين لعمار الموصلى فى المشرق والمغرب الإسلامى على السواء ، ودونوها فى مؤلفاتهم منسوبة له ، وذلك ما نجده عند الزهراوى فى المغرب ، والأندلس ، وصلاح الدين الحموى ، وسديد الدين بن رقيقة ، وخليفة

([1]) عمار بن على الموصلى ، المنتخب فى علم العين وعللها ومداواتها بالأدوية والحديد ، مخطوط دار الكتب المصرية رقم 30604 طب 477 ، وتحت عنوان : المنتخب فى علاج أمراض العين ، نشر الكتاب الدكتور محمد رواس قلعه جى ، مكتبة العبيكان ، الرياض 1991.

الحلبى فى سوريا ، وتُرجم الكتاب إلى اللغة اللاتينية ، والعبرية ، وظلت أوروبا تعتمد عليه فى تعليم طب العيون حتى منتصف القرن الثامن عشر ، كما تُرجم إلى الألمانية بمعرفة هيرشبرج Hirschberg ، وليبرت Lippert ، ومنفوخ Mittwoch ، وطُبع فى Leipzig 1905.

إن اكثر النواحى إعجاباً فى كتاب عمار الموصلى على حد قول هيرشيرج[1] هى أخباره الستة المجملة بطريقة تامة وحيوية ، والمتعلقة بتجاربه الجراحية الخاصة ، والتى يفهمها القارئ الحديث ، ولا يصادفنا شئ فى التراث الإغريقى على الإطلاق شبيه بذلك .

وفى الجزء الثانى من القانون خصص **ابن سينا** فصل الفن الثالث لتركيب العين وأمراضها ، مثل الرمد[2] ومنه ما هو ورم بسيط غير مجاوز للحد فى درور العرق والسيلان والوجع ، ومنه ما هو عظيم مجاوز للحد فى العظم ، يربو فيه البياض على الحدقة فيغطيها ويمنع التغميض ، وسببه قد يكون حادثاً من أسباب خارجية مثل الدخان والغبار والريح العاصفة والشمس التى تنظرها العينان ، والصداع الاحتراقى ، وإدامة التحديق إلى الشيئ الواحد ، وكثرة البكاء ، وإطالة النوم على القفا ، والسهر الشديد ، وقلة النوم ، والإستكثار من الجماع ، والاستكثار من السُكر ، والبطنة والنوم بعدها.

والبياض[3] فى العين من الرمد وغيره يحدث عند اندمال القرحة أو البشرة إذا انفجرت واندملت ، فإن كان رقيقاً سمى غماما ، ويكون

([1]) فؤاد سنركين ، محاضرات فى تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت ، ألمانيا الاتحادية 1984 ، ص 49.

([2]) ابن سينا ، القانون فى الطب ، دار صار ، بيروت عن طبعة بولاق ، الجزء الثانى ص 281 ، 85 .

([3]) ابن سينا ، القانون 2 / 136 .

فى السطح الخارج ، وإن كان غليظاً سمى بالبياض مطلقاً.

والسبل[1] غشاوة تكون فى العين بسبب انتفاخ عروقها الظاهرة فى سطح الملتحمة والقرنية ، ويسبب السبل امتلاء تلك العروق بسبب مواد سالت إليها عن طريق الغشاء الظاهر أو الباطن لامتلاء الرأس وضعف العين .

والظَّفَرَةُ هى زيادة من الملتحمة أو من الحجاب المحيط بالعين ، يبتدئ فى أكثر الأمر من الموق ، ويجرى دائماً على الملتحمة ، ومنها ما هو أصلب ، ومنها ما هو ألين ، ومنها ما يحتاج إلى سلخ ، وأفضل علاجه الكشط بالحديد ، وخصوصاً لان منه ، وأما الصلب فإن كاشطه إذا لم يرفق أدى إلى ضرر ، ويجب أن يُشال بالصنارات ، فإن تعلق سهل قرضه ، وإن امتنع سُلخ بشعرة أو إبريشم ينفذ تحته بإبره أو بأصل ريشة لطيفة[2] .

والعشا هو : أن يتعطل البصر ليلاً ويبصر نهاراً ويضعف فى آخره ، وتسببه كثرة رطوبة العين وغِلظها ، أو رطوبة الروح الباصر وغِلظُه .. وعلاجه إن كان فى حال الكثرة ، فصد القيفال ، واستعمال سائر المستفرغات المعروفات مثل السقمونيا بتكرار ، ومن الأدوية أيضاً الاكتحال بالعسل وماء الرازيانج ، ودماء الحيوان الحارة المزاج ، والمرارات أيضاً نافعة[3] .

والساد ، وهو نزول الماء فى العينين[4] ، مرض سدى وهو رطوبة غريبة تقف فى الثقبة العنبية بين الرطوبة البيضية والصفاق القرنى ،

([1]) المصدر نفسه ، 126 .
([2]) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.
([3]) المصدر نفسه 2 / 141 .
([4]) المصدر نفسه 2 / 141.

فتمنع نفوذ الأشباح إلى البصر ، وقد تختلف فى الكم والكيف فاختلافها فى الكم أنه ربما كان كثيراً بالقياس إلى الثقبة ، يسد جميع الثقبة ، فلا ترى العين شيئاً ، وربما كان قليلاً بالقياس إليها ، فتسد جهة وتخلى جهة مكشوفة ، فما كان من المرئيات بالجهة المسدودة لم يدركه البصر ، وما كان بالجهة المكشوفة أدركه .. ومما يعالج به الأكحال المحللة والملطفة والاستفراغات والحمية ، وتقليل الغذاء واجتناب المرطبات والاقتصار على المشويات والقلايا.

كذلك شَخّص ابن سينا وعالج من أمراض العيون ، الطرفة ، والدمعة وكمثة المدة ، وضعف البصر ، وضيق الحدقة ، والانتشار ، والحول ، والوردينج ، والسلاق ، والغدة فى العين ، وانتفاخ الأجفان ، والشعيرة .. وإن وسائط تعرف علل العين هى حال انفعالاتها ، وحال ما يسيل منها ، وملمسها ، وعروقها ، وشكلها ، وحركتها ، وقدرها ، وفعلها الخاص .

وأنكر ابن سينا على أصحاب الشعاع نظريتهم التى ترى أن الإبصار يتم بخروج شئ من البصر يلاقى المبصرات ، وذلك خطأ عند ابن سينا ، لأن الشعاع لو كان يخرج من البصر ، ويلاقى المحسوسات لما احتاج البصر إلى الضوء الخارجى ، ولكان ينوّر الهواء عند خروجه فى الظلام .

كما أن أصحاب القوة المتصورة ارتكبوا شنعة أعظم فجعلوا خلقة العين وتركيبها معطلين لا يجديان فائدة ، ولا يحتاج إليهما فى الإدراك البصرى ، لأنهم تصوروا أن القوة المتصورة تلاقى بذاتها المحسوسات.

وفـى المقابـل يأخـذ ابـن سـينا بـرأى أرسـطو ، مقـرراً أن الإدراك البصرى يكون بانطباع أشباح المحسوسات المرئية فى الرطوبة الجليدية من العين عند توسط الجسم المشف بالفعل عند إشراق الضوء عليه كانطباع الصورة فى المرائى[1].

وولد**ابن وافداللخمى** الوزير ، أحد أشراف أهل الأندلس ، وذوى السلف الصالح منهم. وتعلم وعاش فى طليطلة وتمهر بعلم الأدوية حتى ضبط منها ما لم يضبطه أحد فى عصره ، وكان لا يرى التداوى بالأدوية ما أمكن التداوى بالأغذية ، وله من الكتب: الأدوية المفردة ، الوساد فى الطب ، مجربات فى الطب ، المغيث ، تدقيق النظر فى علل حاسة البصر[2] ، نزهة الأفكار فى علاج الأبصار.

اطلع ابن وافد على التراث الطبى العربى السابق عليه وتعرض لمؤلفات أئمة الطب قبله بالدرس والاستيعاب والتحليل ، وأفاد مما قدموه من إنجازات فى طب العيون ، لينتهى هو الآخر فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى بإنجاز يحسب له ، وهو معالجة الساد الرقيق بالأدوية المسهلة .

وفى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى يعود مركز الثقل فى طب العيون من الأندلس إلى الشرق الإسلامى. ففى دمشق تظهر المدرسة الدخوارية التى أسسها عبد الرحيم مهذب الدين الدخوار (565 – 628 هـ) الذى تعلم طب العيون على والده "على بن حامد" ، وبدا حياته كحالاً أو طبيب عيون حتى إذ ذاع صيته ، أصبح طبيباً خاصاً للملك العادل نور الدين محمود بن زنكى ، والذى ولاه البيمارستان

([1]) ابن سنا ، مبحث القوى النفسانية ، تحقيق إدوارد كرنيليوس ، شركة طبع الكتب العربية بمصر 1325 هـ ، ص 40 .

([2]) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص 496.

الكبير الذى أنشأه بدمشق .

ويعد الدخوار صاحب مدرسة علمية كبيرة ، إذ تخرج على يديه كثير من الأطباء فى الإسلام أمثال: بدر الدين المظفر بن قاضى بعلبك أحد أبرع تلاميذ الدخوار ، تولى التدريس بالمدرسة الدخوارية ، وصار رئيساً على سائر الحكماء بمنشور ملكى سنة 637 هـ أصدره الملك الجواد.

ومنهم خليفة بن أبى المحاسن الحلبى صاحب أول كتاب يظهر فيه رسم لمقطع تشريح العين والتصالب البصرى ، وهو كتاب "الكافى فى الكحل" الذى يثبت أيضاً أن صاحبه "خليفة" أول من استعمل المغناطيس فى إخراج الأجسام المعدنية التى تدخل فى العين ، إذ استخرج بالمغناطيس قطعة صغيرة كسرت من المهت أثناء قدحه للساد (الماء) من العين .

ومن مدرسة الدخوار أيضاً ابن أبى أُصيبعة أشهر مؤرخى الطب منذ ابتداءه وحتى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى . ولد بالقاهرة فى حدود سنة 595 هـ ، وتوفى بسوريا عن سبعين عاماً.

ويعد كتابه "عيون الأنباء فى طبقات الأطباء" من أعم وأهم المراجع فى تاريخ الطب فى الفترة التى غطاها. ومع أن موسوعة "عيون الأنباء" يصعب أن يستغنى عنها أى باحث عربى أو غربى فى تاريخ الطب ، إلا أنها لم تُنشر نشرة علمية محققة حتى الآن.

ويذكر ابن أبى أُصيبعة أن معاصره سديد الدين بن رقيقة –من مدرسة الدخوار- كان بارعاً فى عملية شفط الساد ، إذا كان على معرفة بصناعة الكحل والجراح ، وحاول كثيراً من أعمال الحديد فى مداواة العين ، وأجرى تعديلاً على المقدح بجعل نهايته منحنية ، فكان مقدحه مجوفاً ، وله عطفة لتمكن فى وقت القدح من امتصاص الماء ،

ويكون العلاج به أبلغ.

وضمت المدرسة الدخوارية أيضاً عز الدين السويدى الدمشقى ، من ولد سعد بن معاذ ، تتلمذ على الدخوار ، وأخذ ما عنده من الفوائد الطبية والأسرار الحكمية ، واشتغل بصناعة الطب حتى أتقنها اتقاناً لا مزيد عليه ، وتولى التدريس بالمدرسة الدخوارية ، وخدم فى بيمارستان باب البرد ، والبيمارستان النورى بدمشق ، وله عدة مؤلفات فى الطب ، أهمها: كتاب التذكرة ، وكتاب الذخيرة الكافية فى الطب .

أما أشهر تلاميذ مدرسة الدخوار ، فهو الشيخ الطبيب ، علاء الدين بن أبى الحزم القرشى الدمشقى المصرى الشافعى المعروف بابن النفيس الحكيم.

وبمثل اهتمامه بالتشريح ، وصولاً منه إلى اكتشاف الدورة الصغرى ، يعنى ابن النفيس بتركيب العين والأعصاب عناية وصلت به إلى نقد ابن سينا فى بعض الآراء التشريحية ، حيث بحث الأعصاب وخاصة العصبين البصريين النافذين إلى العينين على غير استقامة ، والقوة الباصرة هى مركز الإبصار ، وهى فى موضع التقاء تجويفى العصبين فى وسط المسافة إلى العين ، تلك التى تحتاج أن تكون فى أعلى موضع من البدن ، لتكون قريبة جداً من الدماغ وليكون العصب الذى يأتى إليها منه قريباً من طبيعة الدماغ[1].

وفى كتابه "المهذب فى الكحل المجرب" يعرض ابن النفيس نظريته فى الإبصار ، مقدماً لها بتشريحه لطبقات العين التى قسمها إلى خمس طبقات ، وثلاث رطوبات ، فالطبقات هى : الصُلبة والقرنية ، والمشيمية والعنبية والشبكية ، والرطوبات هى الزجاجية والجليدية

([1]) ابن النفيس ، شرح تشريح القانون ، تحقيق سليمان قطاية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1988 ، ص 334 ، 36.

والبيضية. والإبصار يتم بأحد وجهين ، الأول يتم بتوسط شيئ آخر ، والثانى يتم بدون أى توسط ، وهما شيئان فقط ، اللون والضوء ، ولا تتم الرؤية إلا إذا توفر شروط ثمانية ، هى[1]:

1- سلامة القوة والروح والآلات .

2- أن يكون المرئى ملوناً مضيئاً بذاته أو مستنيراً بغيره.

3- أن يكون على وضع مخصوص من الحاسة أو محاذياً لها أو محاذياً لصقيل يحاذيها كما يُرى الشيئ فى المرآة.

4- أن لا يكون بين الحدقة والجسم المرئى حجاب يمنع الرؤية .

5- أن يتوسط بين الحدقة والجسم المرئى جسم شفاف كالهواء والماء.

6- أن لا يكون المرئى صغير جداً.

7- أن لا يكون المرئى بغاية البعد من الحدقة .

8- أن لا يكون المرئى بغاية القرب من الحدقة .

من كل ما سبق يمكن الوقوف بصورة ما على حجم طب العيون فى الحضارة الإسلاميةوأثره فى العلم الحديث، فيما يلى :

عُنى أطباء الحضارة الإسلامية عناية فائقة بجراحة العين وأجزائها كالأجفان ، وفصلوا القول فى جراحتها وما يصيبها مثل الشعرة الناكسة وكيفية معالجتها بالتشمير والكى ، وجراحة السّبل والظفرة ، والثآليل التى تعرض فى جفون العين ، والبرَدَ وهو اجتماع رطوبة غليظة فى الجفنين ، والشرناق وهو تشكل الحليمات فى الملتحمة الجفنية ، وكذلك استئصال السعفات والأورام ، وأطلقوا تعبير "الماء النازل فى العين" على الساد ، وابتكروا المقدح المجوّف واستخدامه فى تفتيت الماء بالمص أو الشفط ، ثم طوروه بجعل حافة إبرته رقيقة

([1]) ابن النفيس ، المهذب فى الكحل المجرب ، تحقيق محمد ظافر الوفائى ، محمد رواس ، قلعة جى ، الإيسيسكو 1988 .

كالسيف ، بعد أن كانت مثلثة ، وصنعوها من النحاس الأصفر ، وذكروا لأول مرة أن الساد (الماء) يقع خلف العنبية (القزحية) وليس أمامها ، كما كان سائداً ، ووصفوا لأول مرة عملية استخراج الساد عن طريق الضغط عليه من خارج العين واستدراجه برأس الإبرة ليخرج من الجرح أسفل الإكيل القرنى ، وأظهروا لأول مرة رسومات الآلات الجراحية ، وحذروا للمرة الأولى فى تاريخ الطب من أذية بطانة القرنية أثناء القدح ، إذ أن ذلك يوجب آفة مستديمة وتغيماً وأبيضاضا فى القرينة يصعب علاجه ، كما أن عدم التئام الجرح واستمرار نز الرطوبات العينية منه يؤدى بالعين إلى انخسافها وضمورها ، وفقدان بصرها ، وهذا ما يحذره جراحوا العيون حالياً ، واكتشفوا ودونوا لأول مرة فى تاريخ الطب أن الحدقة تضيق فى الضوء وتتسع فى الظلمة واستعملوا لأول مرة المغناطيس فى استخراج الأجسام المعدنية التى تدخل العين ، ووضعوا أول كتاب منهجى متكامل عن طب العيون فى الحضارة الإسلامية يبحث فى الأمراض التى يمكن أن تصيب العين وكيفية معالجتها ، ويختلف عن المؤلفات اليونانية التى كانت تفصل بين المرض وعلاجه ، ولذا ظل مصدراً غنياً نهل منه أطباء العيون على مستوى العالم لأجيال متلاحقة ، وقدموا مفاهيم وأسس علمية ونظريات مبتكرة غير مسبوقة فى الإبصار ، قامت عليها النظريات الحديثة ، مثل كيفية الإبصار ، وأخطاء البصر ، والانعكاس والانعطاف وأنواع المريا ، وألفوا أول كتاب عن تشريح العين وملحقاتها فى تاريخ الإنسانية ، وأول من رسم مقطعاً أفقياً للعينين والتصالب البصرى والدماغ ، وأول من وضع رسماً توضيحياً لمقطع أفقى وعمودى فى العين .

كل هذه الانجازات جعلت طب العيون فى الحضارة الإسلامية يحتل مكاناً مرموقاً فى تاريخ الطب العالمى، ويؤسس العلم الحديث .

فصل طب الأنف والأذن والحنجرة

فى دراسة مستقلة [1] حاولت الكشف عن إسهامات أطباء الحضارة الإسلامية فى طب الأنف والأذن والحنجرة ، ذلك الاختصاص الفريد الذى نال ازدهارا وتطورا مثله مثل الاختصاصات الأخرى فى طب الحضارة الإسلامية. ومع ذلك قلما تجد أياً من الكتابات العربية قد أفردت لهذا الاختصاص ، وربما يكون للاستشراق دور فى هذا التوجه ، إذ يندر أن تجد فى كتابات المستشرقين ، منذ أن عاودوا التنقيب فى المخطوطات العربية الإسلامية إبان منتصف القرن التاسع عشر ، أى كتابات مستقلة عن طب الأنف والأذن والحنجرة ، فسلك الكتاب العرب نفس مسلكهم !

شغل طب الأنف والأذن والحنجرة حيزا مرموقا فى بناء علم الطب فى الحضارة الاسلامية، ذلك الذى يشغل مكانا رئيسا فى تاريخ الطب العالمى ، ومع هذا لم نقف حتى الآن على حلقة مكتملة للإسهام الإسلامى فى طب الأنف والأذن والحنجرة فى سلسلة تاريخ الطب العالمى ، وذلك يرجع إلى أن ما وصلنا من مؤلفات ومخطوطات طب الأنف والأذن والحنجرة فى الحضارة الإسلامية ليست هى كل المادة العلمية التى كتبها العلماء ، فبعضها وصل ، وبعضها فقد ، وبعضها ضاع ، وبعضها ضاع مؤلفها ، يشير إلى ذلك ما بات نألفه فى فهارس المخطوطات من تدوين مؤلفات كثيرة منسوبة إلى مجهولين !

وكذلك هناك كثير من العلماء والأطباء لم يأت ذكرهم لا فى المصادر القديمة ، ولا فى الكتابات الحديثة ، ولا وجود لهم إلا من

---

(1) خالد حربى ، طب الأنف والأذن والحنجرة فى الحضارة الإسلامية ، تأسيس وتأصيل ، ط الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2012.

خلال مؤلفات ونصوص لهم اقتبس منها الرازى فى موسوعته الحاوى ، ولولا الرازى لضاعت مثل هذه النصوص كما ضاع أصحابها ، كابن طلاوس.

ومن هنا حاولت الكشف عن مثل هذه النصوص ، وإضافتها إلى المحصول العلمى والمعرفى لطب الأنف والأذن والحنجرة فى الحضارة الإسلامية ، وذلك من خلال تحقيق كل نصوص أطباء الأنف والأذن والحنجرة فى الحضارة الإسلامية التى دوّنها الرازى فى موسوعته الحاوى ، بالإضافة إلى نصوصه هو ، ثم تتبعت إنجازات الأطباء والعلماء اللاحقين للرازى وخاصة الزهراوى ، والشيخ الرئيس ابن سينا ،وابن زهر، وكل ذلك بغرض الوقوف على الحجم الحقيقى لعلم طب الأنف والأذن والحنجرة فى الحضارة الإسلامية ، وأثره فى الحضارة الإنسانية.

فمن الثابت أن الرازى أرسى قواعد التشخيص السريرى. فقد جاء فيه بقواعد لها أهميتها حتى الآن. وبتطبيق هذه القواعد على الأنف والأذن والحنجرة، يشخّص الرازى معظم أمراضها عن طريق فحص أجزائها، فعرف الرازى وعالج أورام الأنف، وأجرى جراحة قطع السليلات، واستخدم ميلا (خيطا) جعل عيه عقد متباعدة لتجريف انسداد الأنف، كما عالجه بتقطير مواد منقوعة فى الخل، ووصف سرطان الأنف بأنه صلب ونصح بعدم استئصاله، ووصف الزكام التحسسى وصفا إكلينيكيا دقيقا، وعالج الرعاف (النزيف الأنفى).

وبمسبار عليه صمغ استخرج الرازى الحجر المتوضع فى الأذن، وعالج الألم بالمضاد المستخرج من الخشخاش، وبتقطير الدواء الصنوع من الأفيون.وفى علاج طنين الأذن نبه إلى ضرورة أن تكون قطرات البنج والأفيون وغيرهما فاترة.

وعالج الرازى القلاع فى الحلق، ووصف وصنف الخناق إلى الورمى والغير ورمى، ويتوضع الورمى فى اللهاة أو فى اللوزتينأو فى الحنجرة أوفى المرىء، ومنه ما يكون سرطانيا. ووصف كيفية قطع اللهاة، وأجرى جراحتها، وعدد أساليب معالجاتها، وحذر من الأذى الذى يحدث للصوت بعد قطعها.

وعالج **الزهراوى** كسور الأنف بمرود يدخل فى الأنف، ثم يدله بالشاش، كما عالج بردها بالإصبع. وعالج الناصور الأفنى الخلقى بشقه جراحياً بمبرد كروى وإخراج الصديد، واستأصل القرحات الورمية الخبيثة من جذر الأنف، وبالكلابة استأصل السليلات الأنفية.

صنف الزهراوى أمراض الأنف إلى: الزكام، العطاس الكثير، تعذر العطاس، الرعاف، عدم الشم أو نقصانه، النتر والأورام والقروح، وما يسقط من الأنف من شىء غريب[1].

أما الزكام فهو سيلان فضول اجتمعت فى البطين من الدماغ، من الثقب الذى فى العظم الشبيه بالمصفى إلى المنخرين، فيكون بذلك سلامة العليل من أمراض مزمنة. وسبب اجتماع تلك الفضول أسباب أربعة أولية: حر وبرد أو ورم يحدث فى مقدم الرأس أو ضعف جملة الرأس. وعلامة الزكام الحار حمرة الوجه وحرارة المنخرين مع حكاك وخشونة فى الحلق والخياشيم والعطس والحمى. وعلاقة البارد امتداد فى الجبهة وثقل فى مقدم الرأس وسدة فى الثقب الشبيه بالمصفى حتى لا يشم العليل شيئاً، ويكون كلامه من أنفه ويقذف بلغما منهضم. وعلاقة الزكام الذى يكون سببه ورم، دومان سيلان الرطوبة متغيرة أو غير متغيرة من الأنف، وأكثر ما يعترى الصبيان فى أثر الجدرى أو عن ورم

---

(1) الزهراوى، التصريف 363.

غيره. وعلاقة الذى يكون سبب من ضعف الرأس أن يعتريه الزكام فى دائم الأوقات من أقل ريح أو أقل برد. ويقدم الزهراوى[1] لكل نوع من أنواع الزكام السالفة العلاج المناسب.

أما الرعاف (النزيف النفى) فهو انفتاق عرق ساكن أو شريان فى الدماغ بسبب من داخل البدن أو من خارجه. والذى سببه من داخل على ضربين، إما عن طريق البحران الذى يعرض فى الحمى المحرقة وعلة البُرسام والنوازل الحارة، وإما أن يكون عن امتلاء من الدم فى العروق أو ضعف القوة الحابسة للدم. والذى سببه من خارج يكون إما من ضربة تقع فى الرأس وعلى الأنف أو وقبة أو برد شديد أو استنشاق دواء حار كالغربيون ونحوه. وإما عن صياح كثير وخصومة شديدة، فيحمى الدم الذى فى العروق فيشق ويرعف صاحبه.

ويصنف الزهراوى عدم الشم أو نقصانه إلى ضربين، إما طبيعياً يولد به الإنسان، وهذا العلاج له ولا براء منه. وإما عرضياص ويكون إما عن سبب من خارج أو سبب من داخل. وأما الذى سببه من خارج فيكون من ثلاثة أسباب: إما من سعوط بارد مخدر فيفسد حاسة الشم، وإما من كسر يحدث فى جمجمة الرأس فيضغط الدماغ فتدخل الآفة على الشم، وإما من جرح أو ثدخ يعرض للأنف نفسه فيفسد الشم. والذى يحدث من داخل البدن يكون عن أسباب كثيرة، إما عن سوء مزاج يغلب على بطنى الدماغ الذى يكون بهما الشم، وإما لسدة تعرض فيهما كما يعرض فى السكتة والفالج، وإما عن سدة تكون فى العظم المشاشى الذى فيه ثقب كثيرة الشبيهة بالمصفى التى فى أقصى الأنف، وإما أن تكون السدة فى أحد هذه المجارى، تكون إما باصورا أو ورما

---

(1) التصريف 363.

سرطانياً، أو الورم الذى يسمى كثير الأرجل، أو نحوها من الأورام والقروح.

ويعدد الزهراوى علامات وأعراض كل نوع ممن أنواع السدات الأنفية، وبناءً على تشخيصها يقدم لها العلاجات المناسبة

أما أورام الأنف، فمنها[1]: بواصير، ومنها الورم المعروف بالكثير الأرجل، ومنها السرطان، ومنها القروح ذات الخشكريشات. وعلامة الباصور غلظ الأنف ولحم ردئ الصورة يسد مجرى الأنف ويمتلئ منه. وعلامة الورم الكثير الأرجل هو لحم يشبه العقربان ذو أرجل كثيرة كمد اللون. وعلامة السرطان سواد لون الورم وجساوته وقلة وجعه. وعلاج الباصور أن يدخل فى الأنف فتيلاً ملتوثة بالمرهم المصرى أو المرهم الأخضر حتى يذهب، ثم يعالج بعد ذلك بالمرهم النخلى أياماً، ثم يستعمل أنبوباً رصاصياً ويدخل فى الأنف لئلا يعود الباصور. وعلاج الورم الكثير الأرجل والسرطان فى مقالة صناعة اليد وسائر الأورام. وعلاج القروح الخشكريشية بالقيروطى والمرهم الأبيض إلى أن يبرأ إن شاء الله تعالى.

وفى علاج أمراض الأذن ابتكر الزهراوى مشرط خاص لفتح الصماخ السمعى الظاهر المغلق خلقياً، وأجرى العديد من العمليات الجراحية، فاستخرج الديدان والأجسام الغريبة من الأذن بكلابة رفيعة أو بملقط، أو بالامتصاص بإسطوانة معدنية، أو بفتح شق عند شحمة الأذن، فيستخرج الجسم الغريب، ثم يخيط الجرح ويضمده.

ومن أمراض الأذن: الطرش، وهو ثقل السمع بحيث لا يسمع الإنسان الصوت المنخفض ويسمع الصوت المرتفع، فإن تزيد مع طول

---

(1) التصريف 378.

الزمان إلى أن يصير صمماً فلا علاج له ولا بُرء منه، ويكون كالصمم الطبيعى الذى يولد الإنسان به، وهذا هو الضرب الأول منه، أما الضرب الثانى فهو العرضى الذى يكون سببه إما من داخل البدن، وإما من خارجه. والذى سببه من داخل يكون على ستة أسباب، إما عن سوء مزاج يغلب على آلة السمع، وإما من سدة أو ورم يحدث فى الزوج الرابع من عصب الدماغ الذى يكون به حس السمع، وإما أن يكون بعقب البرسام الحار، وإما من لحكم زائد نابت فى مجرى الأذن، وإما من وسخ مجتمع فيه فيفسده، وإما من دم يخرج ممن الأذن من غير ضربة أو قرحة بل تدفعه الطبيعة فيسد السمع[1].

وعلامة الذى يكون من خلط حار يغلب على آلة السمع أو يرتفع إليه من المعدة، أن تخف العلة عند الشبع وتشتد عند الجوع. وعلامة الذى يكون من خلط بارد أن تزيد العلة فى وقت الجوع، وأن تكون بعقب مرض بارد وفى إثر تخمة أو أطعمة غليظة باردة، وإن اتفق السمر والمزاج كان الأمر أوكد. وعلامة الذى يكون من ريح غليظة أن يجد خفة فى الرأس مع دوىّ وطنين وتمدد.

والفرق بين العلة إذا كانت فى العصبة التى يكون بها حسّ السمع، وبين العلة التى تكون فى الأذن نفسها، ينظر إلى الأذن، فإن لم ير فيها ورماً ولا وسخاً ولا بثرة، ولا سدة، علمنا أن العلة فى العصبة، ويعرض لصاحبها النسيان وشبه الاختلاط، ويكون كلامه مع ثقل فى السمع غير مفهوم.

وبعد أن يعدد الزهراوى علامات وأعراض كل صنف من أصناف الطرش، يشرع بعد التشخيص السليم فى وصف ووضع

(1) التصريف 380.

العلاجات المناسبة... وهكذا فى كل أمراض الذن التى وقف عليها كالوجع فيها، والدوّى والطنين، وخروج الدم والقيح منها، وسيلان البلة من غير قيح، وأورامها وجراحاتها.

وفى علاج خراجات اللوز والبلعوم، ابتكر الزهراوى مساعد للسان فى استأصال اللوزة بجذبها بالكلابة وقطعها بمشرط حاد، أو قطعها بما يشبه مقص حاد الشفرتين. وأورد الزهراوى أول شرح للآلة المستعملة فى علاج اللوزتين.

وفى معالجة الاختناق (الذبحة) يعد الزهراوى أول من نجح فى عملية شق القصبة الهوائية Trachomi وذلك بفتح شق تحت الحلقة الزعامية الثالثة والرابعة، فيزول خط الاختناق، فيضم الجرح ويخيط الجلد. وهذا الكشف العلمى الكبير أخذه الجراح الفرنسى الشهير امبروازبارى ونسبه لنفسه سنة 1552!!

وفى القانون خصص الشيخ الرئيس ابن سينا حيزاً لطب الأنف والأذن والحنجرة مشاركاً به أطباء الحضارة الإسلامية السابقين عليه، سيما الرازى، والزهراوى، فى منظومة الإبداع التى شهدها علم طب الأنف والأذن والحنجرة، فعرف الشيخ الرئيس ووصف الدلك الأنفى ومارسه، وأجرى جراحة استئصال أورام الفك مميزاً فيها بين الحميد والخبيث. وتعود الآلة الجراحية الشبيهة بالمنشار السلكى والمستخدمة حالياً فى قص الفك العلوى إلى اكتشاف ابن سينا لها وتصنيعها، كما أجرى جراحة استئصال سليلات الأنف، وجراحة رد كسر الأنف المتبدل.

تناول ابن سينا بحث الأنف فى القانون عبر مقالتين[1] خصص الأولى لآفات الشم والسيلانات الأنفية، ومقسمة إلى فصول تحتوى على

---

(1) ابن سينا، القانون فى الطب، طبعة بولاق القديمة، القاهرة، بدون تاريخ.

تشـريح الأنـف وطـرق مداواتـه، وغريـزة الشـم وآفاتـه واصـفاً إياهـا، وأسـبابها وعلاماتها ومعالجاتهـا، والفـرق الإكلينيكـى بـين الزكـام والنظلات الأنفية مع ذكر الأعراض والأسباب والعلاجات.

وتحتوى المقالة الثانيـة على أمـراض الأنـف، فتنـاول فصـولها نـتن الأنف وقروحه التى يصنفها ابن سينا من حيث التوضع إلى قروح ظاهـرة، وقـروح باطنـة، ومـن حيـث طبيعتهـا إلى قـروح نتنـة وقـروح بثريـة وقـروح سـلاخة وقـروح حلـوة وخشـكريشـات، معـدداً أسـبابها وواصـفاً لطرائـق معالجتهـا. وعـرّف انسـداد الأنـف ووصـفه موضـحاً علاماتـه وأسـبابه ومداواتـه، ووصـف عمليـة كسـر الأنـف الجراحـى بالـدك والتسـوية الخارجية، فضلاً عن المعالجات الموضعية. وسمى ابن سـينا الأورام الأنفيـة بالبواسـير ووصـفها بأنهـا زوائـد لحميـة، وفـرق فيهـا بـين نـوعين، الأول أبيض رخو غير مؤلم، ويسمى بالسليلات الأنفيـة، والآخـر أحمـر مؤلـم، ويأتى من هذا النوع ورم سرطانى مؤلم يشوه الأنف.

وفرّق ابن سينا بين الورم الحميد والخبيـث ببداية النشـأة والسـير المرضـى والعلامـات الإكلينيكيـة، ووصـف العمليـات الجراحيـة لاستئصاله، والتى تتنوع بين القطع والتجريف والكى، وكـذلك عملية جراحة استئصال جزء من الفك العلوى بالمنشار الخيطى، يعقبها وضـع ضـماد أنبـوبى خـاص محمـلاً بالأدويـة، وذلـك للمحافظـة علـى التـنفس الأنفى.

ويفصّـل الشـيخ الـرئيس آفـات السـمع، فيصـنفها إلى درجـتين، الأولى فقد أو بطلان السمع، والأخرى نقص السمع، ويشرح قياس درجة النقص بقدرة المرء على سماع الصوت المهموس عن بعد. وينحصـر نقـص السـمع فـى نـوعين، الأول تضـعف فيـه القـدرة السـمعية، والآخـر يحـدث

بسبب الطنين الذى يشوش قدرة السمع. وتشريحياً هناك نوعان أيضاً من الإصابة، الأول هو فقد السمع التوصيلى بالمعنى الحديث ويدعوه ابن سينا بالصمم الذى يرجع سببه إلى تشوه تشكيل الأذن الظاهرة والوسطى، والآخر هو الطرش ويعنى به نقص السمع الحسى، وينتج نتيجة إصابة تامة أو جزئية فى العصب السمعى دون أذية فى الصماخ السمعى الظاهر أو جوف الطبل.

وينقسم نقص السمع من حيث المنشأ إلى اصابات ولادية، وإصابات عارضة أو مكتسبة، ولا علاج للصمم أو الطرش الولادى، كما تصعب معالجة المكتسب المزمن، ويمكن معالجة الحالات الحادثة القريبة العهد، والتى تتنوع أسبابها، فمنها ما يكون بمشاركة عضو مجاور كافة فى الدماغ أو الأسنان كنبت أحدها، فقد تكون الإصابة السنية سبباً للطنين الذى يُعد أحد أشكال التشويش السمعى ونقص السمع. وقد تكون الآفة بالأذن فتصيب الصماخ السمعى الظاهر أو العصب السمعى. ولعل ابن سينا عرف وأشار إلى ما يُعرف حالياً بالأورام الخبيثة أو الصمغ السفلسى حين تحدث عن الآفات الآلية التى وصفها بالأورام الحارة أو الصلبة أو الغشاوة من الأوساخ، أو الآفات الإنحلالية المخرية مثل التآكل أو التقرح.

ويتفق الفهم التشريحى الفيزيولوجى الحديث مع عرض ابن سينا لأسباب إصابات الأذن، وخاصة – بيانه طبيعة الصوت بأنه عبارة عن أمواج تحتاج ضرورة إلى الهواء لتوصيلها إلى التجويف الباطن، فيتشكل فى حالة الإصابة ما يشبه العنبة التى تحتوى على هواء راكد.

اما نقص السمع الحديث، فتحدثه أمراض الصماخ السمعى الظاهر منها السليلات والديدان والصملاخ والأوساخ والثاليل. وتصنف

هذه الأمراض إلى فئتين تبعاً لسبب حدوثها، فئة تحدث عن سبب داخلى فى البدن مثل الدود أو انفجار ورم كاالدمامل، أو الورم الكولوسترولى. والفئة الأخرى تحدث عن سبب خارج البدن مثل الأجسام الغريبة التى تسد الصماخ السمعى الظاهر كخثرة دموية جافة أو حصاة أو رمل.

وتحدث الشيخ الرئيس عن تشريح البلعوم، وتعرض للأجسام الغريبة فيه، وبيّن العلق وأعراضه وعلاماته وطريقة استخراجه، ووصف أمراض اللهاة وكيفية قطعها، وأمراض ومعالجة واستئصال اللوزتين. أما الحنجرة فتحدث عن تشريحها وغريزتها ووصف الغضروف الحلقى ونعته باللا سم له، كما وصف الغضروفين الطرجهاريين والعظم اللامى والعضلات، وشرح التشنج والشلل الحنجرى واضطرابات الصوت ومعالجاتها، وعالج شلل العصب بالتدخل الجراحى للعنق. ونصح ابن سينا بشق القصبة أو فغر الرغامى فى حالة الاختناق، وذلك عن طريق شق الرباط الذى بين حلقتين رغاميتين بدون أن ينال الغضروف حتى يتم التنفس منه، وعند الفراغ من تدبير الورم، يخاط الرباط ويعالج.

وذكر ابن زهر رتق القمع الأنفى وكيف أنه يذهب بالشم، ووصف وعالج السليلات الأنفية وخراج الوتيرة، واستخرج العلق من الأنف بالجفت (الملقط)، ووصف وعالج الالتهاب الحاد للأذن الوسطى، كما وصف وعالج تورم اللهاة والحنجرة، وكيف أن تورم الحنجرة قد يسبب الاختناق (الذبحة) تلك التى عالجها بعملية فغر الرغامى .

من كل ما سبق يمكننا أن نقف بصورة ما على حجم طب الأنف والأذن والحنجرة فى الحضارة الإسلامية، وأثره فى العلم الحديث، فيما يلى:

عرف أطباء الحضارة الإسلامية وعالجوا أورام الأنف، وأجروا جراحة قطع السليلات الأنفية بآلة الكلابة، واستخدموا خيطاً عليه عقد متباعدة لتجريف انسداد الأنف، وأجروا جراحة استئصال أورام الفك مميزين فيها بين الحميد والخبيث. وتعود الآلة الجراحية الشبيهة بالمنشار السلكى والمستخدمة حالياً فى قص الفك العلوى إلى اكتشاف المسلمين لها وتضيعها، واشتخرجوا العلق من الأنف بالجفت (الملقط)، وعالجوا الناسور الأنفى الخلقى بشقه جراحياً بمبر كروى وإخراج الصديد، واستأصلوا القرحات الورمية الخبيئة من جذر الأنف، ووصفوا سرطان الأنف بأنه صلب ونصحوا بعدم استئصاله، كما وصفوا الزكام التحسسى وصفاً إكلينيكيا دقيقاً، وعالجوا النزيف الأنفى، وعالجوا كسور الأنف بمرود يدخل فى الأنف، ثم يدك بالشاش، وعالجوها بردها بالإصبع أيضاً.

ومن خلال تشريح الأنف درس أطباء الحضارة الإسلامية وبحثوا فى آفات الشم والسيلانات الأنفية، فعرفوا أمراض الأنف مثل النتن وقروح الأنف التى صنفوها إلى ظاهرة وباطنة من حيث توضعها، وإلى نتنة وبثرية وسلاخة وحلوة وخشكريشات من حيث طبيعتها، معددين أسبابها وواصفين لطرائق معالجاتها. وسمى أطباء الحضارة الإسلامية الأورام الأنفية بالبواسير ووصفوها بأنها زوائد لحمية، وفرقوا بين نوعين، الأول أبيض رخو غير مؤلم، ويسمى بالسليلات الأنفية، والآخر أحمر مؤلم، ويأتى من هذا النوع ورم سرطانى مؤلم يشوه الأنف. وفرقوا بين الورم الحميد والخبيث ببداية النشأة والسير المرضى والعلامات الإكلينيكية، ووصفوا وأجروا العمليات الجراحية لاستئصاله، والتى تتنوع بين القطع والتجريف والكى.

وفـى الأذن فصّـل أطبـاء الحضـارة الإسـلامية آفـات السـمع وصـنفوهـا إلى درجـتين، الأولى فقـد أو بطـلان السـمع، والأخـرى نقـص السـمع، وشـرحوا قيـاس درجـة النقص بقـدرة المرء علـى سمـاع الصـوت المهمـوس عـن بعـد، وبيّنـوا أن نقـص السـمع ينحصـر فـى نـوعين، الأول تضعف فيه القدرة السـمعية، والآخـر يحدث بسبب الطنين الـذى يشـوش قدرة السمع. ومن الناحية التشريحية أوضح أطباء الحضارة الإسـلامية أن هناك نوعين من الإصابة أيضـاً، الأول هـو فقد السـمع التوصيلى بـالمعنى الحديث، والذى دعوه بالصمم الذى يرجع سببه إلى تشوه تشـكيل الأذن الظاهرة والوسطى، والآخر هو الطرش، وعنوا بـه نقص السـمع الحسـى العصبى، وينتج عن إصابة تامة أو جزئية فـى العصب السـمعى دون أذية فى الصماخ السمعى الظاهر أو جوف الطبل.

وأشـار أطبـاء الحضـارة الإسـلامية إلى مـا يُعـرف حاليـاً بـالأورام الخبيثة أو الصمغ السفسلى حين تحدثوا عن الآفات الآليـة التـى وصفوهـا بـالأورام الحـارة أو الصلبة أو الغشـاوة مـن الأوسـاخ، أوالآفـات الانحلاليـة المخربة مثل التآكل أو التقرح. كما يتفق الفهم التشـريحى الفيزيولـوجى الحديث مع عرضهم لأسباب اصابات الأذن، وخاصة بيان طبيعة الصـوت بأنـه عبـارة عـن أمـواج تحتـاج ضـرورة إلى الهواء لتوصيلها إلى التجـويف البـاطن، فيتشـكل فـى حالـة الإصابة مـا يشـبه العنبـة التـى تحتـوى علـى هواء راكد. وينقسم نقص السـمع مـن حيـث المنشـأ إلى اصابات ولادية، وإصـابات عارضـة أو مكتسـبة، ولا عـلاج للصـمم أو الطـرش الـولادى، كمـا تصـعب معالجـة المكتسـب المـزمن، ويمكـن معالجـة الحـالات الحادثة القريبة العهد، والتى تتنوع أسبابها، فمنها مـا يكـون بمشـاركة عضـو مجـاور كآفـة فـى الـدماغ أو الأسـنان، وقـد تكـون الآفـة بـالأذن

فتصيب الصماخ السمعى الظاهر أو العصب السمعى. أما نقص السمع الحديث، فتحدثه أمراض الصماخ السمعى الظاهر ومنها السليلات والديدان والصملاخ والأوساخ والثاليل. وتصنف هذه الأمراض إلى فئتين تبعاً لسبب حدوثها، فئة تحدث عن سبب داخلى فى البدن مثل الدود أو انفجار ورم كالدمامل، أو الورم الكولوسترولى، والفئة الأخرى تحدث عن سبب خارج البدن مثل الأجسام الغريبة التى تسد الصماغ السمعى الظاهرة كخثرة دموية جافة أو حصاة أو رمل.

وبمسبار عليه صمغ استخرج أطباء الحضارة الإسلامية الحجر المتموضع فى الأذن، وابتكروا مشرط خاص لفتح الصماخ السمعى الظاهر المغلق خلقياً، وأجروا العديد من العمليات الجراحية، فاستخرجوا الديدان والأجسام الغريبة بالكلابة الرفيعة أو بالملقط، أو بالامتصاص باسطوانة معدنية، أو بفتح شق عند شحمة الأذن، فيستخرج الجسم الغريب، ثم يُخيط الجرح ويُضمد. وعالج أطباء الحضارة الإسلامية الالتهاب الحاد للأذن الوسطى، وعالجوا الألم بالمضاد المستخرج من الخشخاش، وبتقطير الدواء المصنوع من الأفيون، ونبهوا فى علاج طنين الذن إلى ضرورة أن تكون قطرات البنج وغيرها فاترة.

وشَرّح أطباء الحضارة الإسلامية البلعوم، وأجروا جراحات شق العنق، واستخرجوا من البلعوم الحسك والعلق وغيرهما من الأجسام الغريبة، وأوضحوا العلق وأعراضه وعلاماته وطرق استخراجه. وفى علاج خراجات اللوز والبلعوم ابتكروا مساعد للسان فى استأصال اللوزة بجذبها بالكلابة وقطعها بمشرط حاد أو قطعها بما يشبه المقص حاد الشفرتين. وعالجوا القلاع فى الحلق، ووصفوا وصنفوا الخناق إلى الورمى والغير ورمى، ويتوضع الورمى فى اللهاة أو فى اللوزتين أو فى

الحنجرة أو فى المرئ، ومنه ما يكون سرطانياً. وأجرى أطباء الحضارة الإسلامية جراحة قطع اللهاة، وعددوا أساليب معالجتها. وحذروا من الأذى الذى يحدث للصوت بعد قطعها.

وفى معالجة الاختناق (الذبحة) يعد أطباء الحضارة الإسلامية أول من نجحوا فى عملية شق القصبة الهوائية أو فغر الرغامى، وهذا فتح علمى كبير ادعى تحقيقه لأول مرة الجراح الفرنسى الشهير امبروازباري سنة 1552، فى حين أن أطباء الحضارة الإسلامية - وخاصة الزهراوى - قد حققوه وعلموه تلاميذهم قبل ذلك بستمائة سنة، وذلك حين شقوا الرباط الذى بين حلقتين رغاميتين، وبالتحديد الحلقة الرغامية الثالثة والرابعة، بدون أن ينال الغضروف حتى يتم التنفس منه، فيزول الاختناق، ويخاط الرباط ويعالج.

فصل طب الأسنان

فـى دراسـة مسـتقلة [1] حاولـت أن أكشـف عـن إسـهامات أطبـاء الحضارة الإسلامية فى طب الأسنان ، ذلك الاختصاص الفريد الذى نـال ازدهـارا وتطـورا مثلـه مثـل الاختصاصـات الأخـرى فـى طـب الحضـارة الإسلامية. ومع ذلك قلما تجد أياً من الكتابات العربية قد أفردت لهذا الاختصاص ، اللهم إلا دراسة واحدة قدمها الدكتور فؤاد الذاكرى ، وكانت ضمن أعماله التى اقتسم بها معى جائزة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية المقدمة من مؤسسة الكويت للتقدم العلمى فى مجال الفقه الطبى وتحقيق التراث سنة 2007 ، وذلك إلى جانب بعض الأبحاث القليلة والسطور الأقل فى مؤتمرات وكتب تاريخ العلوم عند العرب .

وربما يكون للاستشراق دور فى هذا التوجه ، إذ يندر أن تجد فـى كتابات المستشرقين ، منـذ أن عـاودوا التنقيب فـى المخطوطات العربية الإسلامية إبان منتصف القرن التاسع عشر ، أى كتابات مستقلة عن طب الأسنان ، فسلك الكتاب العرب نفس مسلكهم !

عُنـى أطبـاء الحضـارة الإسـلامية عنايـة كبيرة بوقاية وتنظيف الأسـنان ، مؤكـدين علـى اسـتعمال أعـواد السـواك كفرشـاة ، وذلـك لاحتوائها على نسبة عالية من الكاليسوم والعفص والحديد. واهتموا بمعالجة السن بكل الطرق والوسائل ، فابتكروا واتبعوا طرقاً دقيقة فى العلاج تكاد تقترب كثيرا مما هو سائد حالياً فى الطب الحديث. فلقـد وضـعوا أسـس التشـخيص التفريقـى Differential Diagnosis المتبع الآن لأمراض الأسنان ، ففرقوا بين الأعراض

---

(1) خالد حربى ، طب الأسنان فى الحضارة الإسلامية-إبداع ممتد إلى العلم الحديث، ط الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية2011.

والآلام المصاحبة للإمراض ، وذلك للوقوف على الأسباب الحقيقية للمرض ، فكان الطبيب يتحرى الدقة فى تشخيص السن المصاب تشخيصا سليما لاسيما إذا كان النخر فى السن جانبى يصعب رؤيته ، ويتخذ الألم شكل الشعاع ممتداً إلى السن السليم .

وعالج أطباء الحضارة الإسلامية عصب السن والجذور Endodontics بما يعرف حالياً بتحنيط لب السن pulp fixation وإماتته ، وأرسوا أساس حشو الجذور المستعمل حالياً ، فابتكروا فى مجال تسويس الأسنان Teeth caries ، لأول مرة فى تاريخ الطب ، طريقة ثقب وسط السن المتآكل بمثقب يدوى لإخراج المواد المحقنة الناتجة عن التهاب العصب ، واستعملوا أنواع عديدة من الحشوات مثل الكبريت والقرنفل والشيح والمصطكى والقطران ، وحشوا الضرس بمسحوق الفلفل ، فإذا استمر الألم ، استبدل بالزرنيخ الأحمر. واستعملوا الحشوات المصبوبة المركبة من خليط من المواد الغير قابلة للصدأ مثل الذهب لتعويض الأجزاء المكسورة أو المفقودة من الأسنان، كما صنعوا ونحتوا أسنان صناعية من عظام البقر والعاج لتحل محل الأسنان المفقودة وتملئ حفرتها مثبتة بسلوك من ذهب .

واتبع أطباء الحضارة الإسلامية فى قلع الأسنان نفس الطريقة المتبعة حالياً ، حيث يبدأ القلع بقطع رباط سنى خاص يربط السن باللثة ، ثم يشرط حول السن من الطرف الدهليزى الخارجى ، ومن الطرف اللسانى الداخلى ، ثم يمسك السن بالآلة الخاصة بذلك وهى الكلابة ، ويقلقل للخارج وللداخل ، ثم سحبه لأسفل إذا كان من الأسنان العلوية ، ولأعلى إذا كان من الأسنان السفلية.

وفى قلع أصول الأضراس واستخراج عظام الفك المكسورة ، ابتكروا واستخدموا الروافع والكلابة التى تشبه فم الطائر ، وقاموا بفتح شريحة لثوية للقلع. وإذا ما تفتت عظم من الفك بعد القلع يسبب التهاب ، فإنهم أوصوا بإزالته بالأدوية تماماً كما هو متبع الآن فى الطب الحديث ، بل أشاروا لأول مرة إلى استعمال الخل المركز لإيقاف النزيف بعد خلع الضروس .

وإلى جانب الآلات الجراحية الخاصة بخلع الأسنان ، برع أطباء الحضارة الإسلامية فى تصنيع وتصنيف الآلات الخاصة بجرف التسوس والتآكل ، والآلات الثاقبة والقاطعة مثل المجرفات والأزاميل ، والمسلات ، والمثاقب ، والمبارد ، بالإضافة إلى الصنانير والخطاطيف ومسابر الكى الحرارى ، تلك التى مازالت تستخدم فى طب الأسنان ، بعد أن نال بعضها التطور التكنولوجى الحديث .

وفى مجال التخدير لمنع الألم ، يُعد أطباء الحضارة الإسلامية الرواد الأُول فى التخدير العام بالاستنشاق والذى سجلوا به سبقا على الطب الغربى الحديث . وتقوم نظريتهم فيه على بل قطعة من الإسفنج بمحلول مسحوق نبات الزوان والأفيون والحشيش والسيكران ، وتوضع على أنف وفم العليل للاستنشاق حتى يفقد وعيه ، فلا يشعر بالألم أثناء إجراء العلميات الجراحية. وكذلك فى مجال التخدير الموضوعى لمنع الألم عند خلع الأسنان ، ووصفوا لأول مرة فى تاريخ الطب التبريد لتسكين الآلام ، وذلك بوضع قطع الثلج على الأماكن المؤلمة فى الأسنان. كما وصفوا استعمال بذور نبات القنة والأفيون والميعة والبنج المعجونة بالعسل التى توضع على الأسنان ، فإذا استمر الألم ، وضعوا الزيت المغلى فى ثقوبها ، أو كيها حراريا.

وبرع أطباء الحضارة الإسلامية فى تشبيك الأسنان المتحركة بالجبيرة السلكية التى وصفوها واستخدموها بأسلاك الذهب استخداماً دقيقاً ، ووسعوا منابت الأسنان فى حالة تآكل العظم بسبب آفة نسج داعمة ، أو خراج سنى ، وأشاوروا إلى الامتصاص الدورى الحديث حين وصفوا تآكل يدقق السن بما ينقص منها. كما وقفوا على التراجع اللثوى الذى ينشئْ عن النسج الداعمة إذا التهبت ، وذلك بمعرفتهم نقصان لحم العمور.

وأجرى أطباء الحضارة الإسلامية ما يُعرف حالياً فى الطب بالجراحة التجميلية لتشوه الأسنان Malocclusion ، فنشروا الأسنان النابتة على غيرها .. فربما نبت للأسنان سن زائد ، فانظر إن كان فى أصل السن ، فينبغى أن تقلعه بالآلة التى تشبه المنقار ، ثم تبْرده إن كان قد بقى منه شيئ ، وإن كان السن الزائد ليس فى أصل السن بل خارج عنه ، فينبغى أن يقلع بالكلا بتين ، وإن زاد بعض الأسنان على ما ينبغى زيادة بيّنة ، فينبغى أن تبرد تلك الزيادة بالمبرد حتى تستوى مع سائر الأسنان ، وتنقى الشظايا من العمور بالآلة التى تخلل بها الأسنان ، فإن كان على الأسنان خفر ، فينبغى أن تحكه وتجرده بمجرد الأسنان.

ويسجل أطباء الحضارة الإسلامية السبق العلمى الأصيل فى تشخيص ووصف القلح والترسبات القلحية وأثرها فى فساد اللثة ، وأساليب وطرق إزالتها تلك التى مازالت مستخدمة فى الطب الحديث ، ذلك الذى أقر أيضاً بتشخيصهم لما يُعرف حالياً باسم البثعة Epulis أو الورم اللثوى الذى ينبت على اللثة وفى جوانب الأسنان ، ووضعوا له العلاجات المناسبة والتى تنوعت بين الجراحة والأدوية .

وكذلك عالج أطباء الحضارة الإسلامية كسر اللحى أو الفك السفلى Mandibular Fractures وخلع الفك السفلى Mandibular Dislocation بطرق ما زالت متبعة فى الطب الحديث مثل الرد الإصبعى وتثبيت الأسنان وربطها بأسلاك من ذهب التى تقابل الآن أسلاك الفولاذ ، وربط الفك السفلى فى اتجاه الرأس بعد رده برباط قماش والذى يقابل الرباط المطاطى حاليا.

وتأسيساً على كل ما سبق ، احتل طب الأسنان فى الحضارة الإسلامية مكاناً مرموقاً فى تاريخ الطب العالمى ، ومع هذا لم نقف حتى الآن على حلقة مكتملة للإسهام الإسلامى فى طب الأسنان فى سلسلة تاريخ الطب العالمى ، وذلك يرجع إلى أن ما وصلنا من مؤلفات ومخطوطات طب الأسنان فى الحضارة الإسلامية ليست هى كل المادة العلمية التى كتبها العلماء ، فبعضها وصل ، وبعضها فقد ، وبعضها ضاع ، وبعضها ضاع مؤلفها ، يشير إلى ذلك ما بات نألفه فى فهارس المخطوطات من تدوين مؤلفات كثيرة منسوبة إلى مجهولين !

وكذلك هناك كثير من العلماء والأطباء لم يأت ذكرهم لا فى المصادر القديمة ، ولا فى الكتابات الحديثة ، ولا وجود لهم إلا من خلال مؤلفات ونصوص لهم اقتبس منها الرازى فى موسوعته الحاوى ، ولولا الرازى لضاعت مثل هذه النصوص كما ضاع أصحابها ، كابن طلاوس.

ومن هنا حاولت فى دراستى" طب الأسنان فى الحضارة الإسلامية- إبداع ممتد إلى العلم الحديث" الكشف عن مثل هذه النصوص ، وإضافتها إلى المحصول العلمى والمعرفى لطب الأسنان فى الحضارة الإسلامية ، وأثره فى الحضارة الإنسانية.

يُعد **أبوبكر محمد بن زكريا الرازى** خير ممثل لمرحلة الإبداع والابتكار من تاريخ الطب العربى الإسلامى ، وذلك بفضل انجازاته الطبية والصيدلانية والبحثية والتعليمية التى أبدعها ، وأفادت منها البشرية جمعاء. وبالنسبة لطب الأسنان ، فبالإضافة إلى ما حفظه للإنسانية من نصوص مجهولة ومفقودة لأطباء الحضارة الإسلامية السابقين عليه ، ودوّنها فى موسوعته الحاوى ، فحفظت من الضياع ، ساهم الرازى فى منظومة إبداع طب الأسنان فى الحضارة الإسلامية ، وخصص لذلك العلم من الطب جزءا خاصا من موسوعته الحاوى فى الطب[1].

وفى كتابه كامل الصناعة الطبية يسجل **على بن العباس** السبق العلمى الأصيل فى تشخيص ووصف ما يُعرف حالياً باسم البثعة Epulis أو الورم اللثوى الذى ينبت على اللثة وفى جوانب الأسنان ، ووضع له العلاجات المناسبة من جراحة وأدوية قائلاً[2]: أما بولس فإنه لحم زائد ينبت فى جوانب الأسنان ، وعلاجه أن يعلق بمنقاش أو سنارة وتقطع بالمبضع. فأما فارولس فهو خراج صغير ينبغى أن يشق بمبضع حتى تخرج منه المدة ، أو يقوّر ، ثم يتمضمض بعده بخل وماء وشيئ من شراب ، ثم بعد ذلك بماء ورد ودهن ورد ، ومن بعد ذلك يتمضمض بماء وعسل.

وأجرى على بن العباس ما يُعرف حالياً فى الطب بالجراحة التجميلية لتشوه الأسنان Malocclusion ، فنشر الأسنان النابتة

---

(1) الرازى وتحقيق خالد حربى، الحاوى فى الطب،م.س، الجزء الثامن: فى طب الأسنان.

(2) على بن العباس ، كامل الصناعة الطبية ، طبعة معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، ألمانيا 1996 ، جـ 2 ، ص 478.

على غيرها ، فربما كما يقول[1]: نبت للأسنان سن زائد فينبغى أن تنظر فإن كان ذلك فى أصل السن ، فينبغى أن تقلعه بالآلة التى تشبه المنقار ، ثم تبرده إن كان قد بقى منه شيئ . وإن كانت السن ليست هى فى أصل السن بل خارجة عنه ، فينبغى أن تقلع بالكلابتين. وإن زاد بعض الأسنان على ما ينبغى زيادة بيّنة فإنه قبيح ، فينبغى أن تبرد تلك الزيادة بالمبرد حتى تستوى مع سائر الأسنان ، وتنقى الشظايا من العمور بالآلة التى تخلل بها الأسنان. فإن كان على الأسنان حفر ، فينبغى أن تحكه وتجرده بمبرد الأسنان.

وفى قلع الأسنان اتبع على بن العباس الطريقة العلمية الصحيحة التى لا تخرج عما هو متبع الآن ، فيقول[2] : ينبغى لمن أراد أن يقلع الأضراس أن يشرط اللحم الذى فى أصل الضرس ويحله جيداً حتى لا يبقى شيئ من اللحم ملتصقاً بأصل الضرس ، ثم يضع كلبتى الأضراس عليه ويقبض على عمودها قبضاً شديداً ويهزه هزاً جيداً يميناً وشمالاً ، ثم يجذبه بقوة وينثره ، فإنه ينقلع .

ومتى انكسر اللحى الأسفل من خارج ولم ينفصل ما انكسر ، فينبغى أن تنظر فإن كان الكسر فى الفك الأيسر فينبغى أن تدخل الإصبع اليسرى من اليد اليسرى والسبابة فى الفك وترفع بهما الحادث فى الفك إلى خارج حتى يستوى وتسويه على شكله من خارج باليد اليمنى ، وإن كان الكسر فى الفك الأيمن فادخل أصابع اليد اليمنى وافعل بها مثل ما ذكرت لك ، وأنت تعرف رجوع الفك إلى حالة من استواء الأسنان التى فيه ورجوعها إلى أصلها الطبيعى. فإن انكسر اللحى واندار ما انكسر ، فينبغى أن تستعمل المدة من الناحيتين بمعاونة

---

(1) على بن العباس ، المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.
(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

بعض الخدم لك حتى ترده إلى حقه وشكله ، وينبغى أن تشد الأسنان التى فى اللحى المكسور برباط من ذهب أو فضة بعضها إلى بعض إن أمكن ذلك ، فإن لم يمكن فتربط بخيوط إبريسم مفتولة فتلاً جيداً ، ثم تستعمل الرباط الذى ينبغى أن يربط وهو أن تصير وسط الرباط إلى القفا وتمد الطرفين من الجانبين وتمر بهما على الأذنين إلى أن يصير اللحى إلى محله ثم تديرها ثانية إلى ناحية القفا وتمدها ثانية إلى تحت اللحى وتصعد بهما إلى فوق الخدين وتربط على اليافوخ وتعصب الجبهة بعصابة تمر على الرباط إلى خلف الرأس[1].

يتضح من تحليل النص أن على بن العباس عالج كسر اللحى أو الفك السفلى Mandibular fractures وخلع الفك السفلى Mandibular Dislication بطرق ما زالت متبعة فى الطب الحديث مثل الرد الإصبعى وتثبيت الأسنان وربطها بأسلاك من ذهب التى تقابل الآن أسلاك الفولاذ ، وربط الفك السفلى فى اتجاه الرأس بعد رده برباط قماش والذى يقابل الرباط المطاطى حالياً.

وفى "التصريف.." يسجل **الزهراوى** السبق العلمى الأصيل فى تشخيص ووصف القلح والترسبات القلحية وأثرها فى فساد اللثة ، وأساليب وطرق إزالتها تلك التى ما زالت مستخدمة فى الطب الحديث كما يقول الزهراوى[2]: قد يجتمع فى سطوح الأسنان من داخل ومن خارج وبين اللثات قشور خشنة قبيحة ، وقد تسوّد وتصفر وتخضر حتى يحصل من ذلك فساد إلى اللثة ، فينبغى أن تجلس العليل بين يديك ورأسه فى حجرك وتجرد الضرس والسن الذى ظهر لك فيه القشور ، والشيئ الشبيه بالرمل حتى لا يبقى منه شيئ ، وكذلك تفعل بالسواد

---

(1) على بن العباس ، كامل الصناعة الطبية 2 / 504.
(2) التصريف لمن عجز عن التأيف .

والخضرة والصفرة حتى تنقى ، فإن ذهب ما فيها من أول الجرد ، وإلا فتعيد عليه الجرد يوما ثانيا وثالثا حتى تبلغ الغاية. واعلم أن الضرس يحتاج إلى مجار مختلفة الصور كثيرة الأشكال على حسب ما يتهيأ لعملك من أجل أن المجرد الذى يجرد به الضرس من داخل غير الذى يجرد به من خارج ، والذى يجرد به بين الأضراس على صورة أخرى .

وفى مجال قلقلة الأسنان نجد الزهراوى يبدع ويبرع فى تشبيك الأسنان المتحركة بالجبيرة السلكية التى وصفها واستخدمها بأسلاك الذهب استخداماً دقيقاً. ولا تخرج هذه العملية فى الطب الحديث عما أبدعه الزهراوى الذى يقول[1]: إذا عرض للأضراس القدامية تزعزع وتحرك عن ضربة أو سقطة لا يستطيع العليل العض على شيئ يؤكل لئلا تسقط ، وعالجتها بالأدوية القابضة فلم تنجح ، فالحيلة فيها أن تشد بخيط ذهب على قدر ما يسع بين الأضراس ، وصورة التشبيك أن تأخذ الخيط وتدخل انثناءه بين الضرسين الصحيحين ، ثم تنسج بطرفى الخيط بين الأضراس المتحركة ، واحد كان أو أكثر ، حتى تصل بالنسج إلى الضرس الصحيح من الجهة الأخرى ، ثم تعيد النسج إلى الجهة التى بدأت منها وتشد يدك برفق ، واحكمه حتى لا يتحرك البتة ، ويكون شدك الخيط عند أصول الأضراس لئلا يفلت ، ثم تقطع طرفى الخيط الفاصل بالمقص وتجمعهما وتفتلهما بالجفت وتخفيهما بين الضرس الصحيح والضرس المتحرك لئلا تؤذى اللسان ، ثم تترك هكذا مشدودة ما بقيت ، فإن انحلت أو انقطعت ، شددتها بخيط آخر ، فيستمتع بها هكذا الدهر كله.

---

(1) المصدر نفسه.

وتشغل الجراحة التجميلية لتطاول الأسنان أو النابتة على غيرها حيزا فى اهتمامات أبى الجراحة ، مصمماً وواصفا ومستخدما للآلات الخاصة بذلك ، فالأضراس كما يقول[1]: إذا نبتت على غير مجراها ، قبحت الصورة ، فينبغى أن تنظر فإن كان الضرس قد نبت من خلف ضرس آخر ولم يتمكن نشره ولا برده ، فاقعله ، وإن كان ملصقاً بضرس آخر ، فاقطعه بهذه الآلة التى هذه صورتها .. وهى تشبه المنقار الصغير ، ولتكن من حديد هندى ، وحادة الطرف جداً ، ويكون قطعك له فى أيام كثيرة لصلابة الضرس ، ولئلا تزعزع غيره من الأضراس. وأما إن كان ناتياً مُمكّنا لبرادته فابرده بمبرد من حديد هذه صورته : يكون كله من حديد هندى رقيق النقش جداً كالمبرد الذى تضع به الإبرة ، تبرد به الضرس قليلاً قليلاً فى أيام كثيرة برفق لئلا تزعزع الضرس ، فيسقط ، ثم تملسه آخراً وتجرده ببعض المجارد. وإن كان ضرس قد انكسر منه بعضه فكان يؤذى اللسان عند الكلام ، فينبغى أن تبرده أيضاً حتى تذهب بخشونة ذلك الكسر ويستوى ويملس .

وفى قلع الأسنان ، اتبع الزهراوى ، مع غيره من أطباء الحضارة الإسلامية كعلى بن العباس والرازى ، نفس الطريقة المتبعة حالياً مع وصف للآلات المستخدمة . فيبدأ القلع بقطع رباط سنى خاص يربط السن باللثة ، ثم يشرط حول السن من الطرف الدهليزى الخارجى ، ومن الطرف اللسانى الداخلى ، ثم يمسك السن بالآلة الخاصة بذلك وهى الكلابة ، ويقلقل للخارج وللداخل ، ثم يُسحب . فإذا صح عندك الضرس الوجع بعينه كما يقول الزهراوى: فحينئذ ينبغى أن تشرط حول السن بمبضع فيه بعض القوة حتى تحل اللثة من كل جهة ، ثم تحركه

---

(1) المصدر نفسه.

بأصبعك أو بالكلاليب اللطالف أولاً قليلاً قليلاً حتى تزعزعه ، ثم تمكن حينئذ منه الكلابتين الكبار تمكيناً جيداً ، ورأس العليل بين ركبتيك قد ثقفته حتى لا يتحرك ، ثم تجذب الضرس على استقامته لئلا تكسره. وإن كان الضرس مثقوباً أو متآكلاً ، فينبغى أن تملأ ذلك الثقب بخرقة وتسدها سداً جيداً بطرف مرود رقيق لئلا يتفتت فى حين شدك عليك بالكلاليب .. وإياك أن تصنع ما يصنع جهال الحجامين ، فكثيراً ما يحدثون على الناس بلايا عظيمة أيسرها أن ينكسر الضرس وتبقى عظام الفك كما شاهدناه مراراً ، ثم يتمضض بعد قلعه بشراب أو بخل وملح ، فإن حدث نزف دم من الموضع ، وكثيراً ما يحدث ذلك ، فاسحق حينئذ شيئاً من الزاج واحش به الموضع ، وإلا فاكوه إن لم ينفك الزاج.

وفى حال انكسار التاج أثناء القلع ، وقلع أصول الفك المكسورة ، ابتكر الزهراوى واستخدم الروافع التى ما زلت تستخدم فى الطب الحديث مع تحديث صناعتها. وابتكر الكلابة التى تشبه فم الطائر ، وهى كلابة الجذور الحديثة . وقام بفتح شريحة لثوية للقلع. وإذا ما تفتت عظم من الفك بعد القلع يسبب التهاب ، فإنه أوصى بإزالته بالأدوية تماماً كما هو متبع الآن فى الطب الحديث مع الاختلاف فى تركيب الأدوية فحسب.

فإذا بقى عند قلع الضرس أصل قد انكسر كما يقول الزهراوى: فينبغى أن تضع على الموضع قطنة بالسمن يوماً أو يومين حتى يسترفى الموضع ، ثم تدخل إليه الجفت أو الكلاليب التى تشبه أطرافها فم الطائر الذى يسمى البلرجة ، وتكون قد صنعت كالمبرد من داخل ، فإن لم يجيبك للخروج بهذه الكلاليب ، فينبغى أن تحفر

على الأصل وتكشف اللحم كله بالمبضع ، ثم تدخل الآلة التى تشبه عتلة صغيرة التى هذه صورتها: قصيرة الأطراف ، غليظة قليلاً ، ولا تكون مستقيمة لئلا تنكسر ، فإن خرج الأصل بذلك ، وإلا فاستعن بهذه الآلات الأُخر والآلة ذات الشعبتين وبغيرها من الآلات والحدائد التى تقدم ذكرها فى جرد الأضراس. وقد تستعين بهذه الآلة التى تشبه الصنارة الكبيرة التى هذه صورتها: مثلثة الأطراف فيها بعض الغلظ قليلاً لئلا تنكسر ، وتكون غير مستقيمة. ونستعين بجفت هذه صورته(انظرملحق الصور) : يكون فيه بعض الغلظ قليلاً ليضبط به العزم فلا يفلت حتى يخرج العظم ، وتجبر الموضع بالأدوية الموافقة لذلك.

ويعد الزهراوى فى تاريخ العلم أول من زرع السن بعد نحتها من عظام البقر ، وأول من صنع المشابك السنية لتقويم الأسنان ، وأبدع فى تجبير الكسور ، واخترع وضع الكثير من المكاوى وآلات جراحة الأسنان.

وفى "القانون" خصص **الشيخ الرئيس ابن سينا** حيزاً لطب الأسنان مشاركاً به أطباء الحضارة الإسلامية السابقين عليه ، لاسيما الرازى ، وعلى بن العباس ، والزهراوى ، فى منظومة الإبداع التى شهدها علم طب الأسنان ، فأبدع ابن سينا فى مجال تشبيك الأسنان المتحركة بتوسيع منابت الأسنان فى حالة تآكل العظم بسبب آفة نسج داعمة ، أو خراج سنى ، وأشار إلى الامتصاص الدورى الحديث حين وصف تآكل يدقق السن بما ينقص منها. كما وقف على التراجع اللثوى الذى ينشئ عن النسج الداعمة إذا التهب ، وذلك بمعرفته نقصان لحم العمور ، فقد تقلق السن كما يقول ابن سينا[1]: بسبب باد من سقطة أو

---

(1) ابن سينا ، القانون فى الطب ، ج 2 ، ص 189 .

ضربة ، وقد يقع من رطوبة ترخى العصب الشاد للسن ، وتكون السن مع ذلك سمينة لم تقطف. وقد يقع التآكل ويعرض لمنابت الأسنان فيوسعها أو يدقق السن بما ينقص منها أو لانثلام الدرد. وقد يقع الضمور فيعرض فى الأسنان ليبس غالب ، كما يعرض للناقهين والشيوخ والذين جاعوا جوعاً متوالياً وقصر عنهم الغذاء ، وقد يقع لقصر لحم العمور.

وفى قلع الأسنان اشترك ابن سينا مع سابقيه من أطباء الحضارة الإسلامية فى اتباع الطريقة المتبعة حالياً ، من حيث البدء بقطع رباط سنى خاص يربط السن باللثة ، ثم يشرط حول السن ، ثم يمسك بالكلابة ، ويقلقل للخارج وللداخل ، ثم يُسحب. وكل ذلك بعد استفراغ كل الجهود فى محاولة علاج السن ، وتحرى الدقة فى تحديد السن العليلة مخافة أن تقلع سن غير مصابة. فقد يتأدى كما يقول ابن سينا[1]: أمر السن الوجعة إلى أن لا تقبل علاجاً البتة ، فلا يوجد إلى استئصالها سبيل ، فيكون علاجها القلع ، وتقلع بالكلابتين بعد كشط ما يحيط بأصلها عنها. ويجب أن يتأمل قبل القلع ، فينظر هل العلة فى نفس السن ، فإن لم تكن فى نفس السن ، فإن ذلك وإن خف الوجع قليلاً ، فليس يبطله ، بل يعود. وإنما يخففه بما تحلل من المادة فى الحال وبما يوصل من الأدوية إليه.

لم يكتف ابن سينا بقلع السن آلياً ، بل اشترك مع الرازى فى الاستعانة بالوصفات الدوائية ، وخاصة التى يدخل فيها الزرنيخ لتسهيل الخلع ، وهذا ما أثبته الطب الحديث من استخدام الزرنيخ فى قلع الأسنان بدون ألم كما قال ابن سينا[2]: تؤخذ قشور التوت وقشور

---

(1) ابن سينا ، القانون 2 / 192 .

(2) ابن سينا ، المصدر نفسه 103/2.

الكبر والزرنيخ الأصفر والعاقرحا وأصول الحنظل وشبرم ، ويعجن الجميع بماء الشب أو الخل الثقيف (شديد الحموضة) ويترك ثلاثة أيام ثم يطلى. أو تؤخذ عروق صفر وقشور التوت من كل واحد جزء ، ومن الزرنيخ الأصفر جزءان ، ويعجن الجميع بالعسل ويُجعل حوالى الضرس مدة ، فإنه يقلعه.

وساهم ابن سينا فى ما يُعرف الآن بالجراحة التجميلية للأسنان ، وذلك بتقصير السن المتطاول أو النابت فوق مستوى الأطباق ، واستخدام الآلات والأدوية فى نشر السن النابتة على غيرها قائلاً[1]: يجب أن تؤخذ السن التى تطول بالإصبعين أو بالآلة القابضة ، ثم تبرد بالمبرد ، يم يؤخذ من حب الغار والشب والزراوند الطويل ويستك به.

وعالج ابن سينا الكسور الفكية علاجاً علمياً سليماً ما زالت خطواته متبعة فى طب الأسنان الحديث . ففى حالة كسر الفك السفلى أو اللحى ، أوصى الشيخ الرئيس بالرد الإصبعى وربط وتثبيت الأسنان بأسلاك من ذهب ، وأشار إلى مدة التثبيت اللازمة علمياً والكافية لالتحام الكسر ، وهى ثلاثة أسابيع. وأشار إلى ضرورة إزالة الشظايا العظيمة فى حالة الكسر المركب الذى يصل إلى الجلد. كما عرف الوذمة التى يمكن أن تحدث بعد الكسر ، فإذا تغير شيئ فى الشكل بعد الرباط والتثبيت ، فينبغى حل الرباط القاسى. ففى فصل فى كسر اللحى يقول ابن سينا[2]: ادخل إن انكسر اللحى الأيمن السبابة والوسطى من اليد اليسرى فى فم العليل ، وإن انكسر اللحى الأيسر ، فمن اليد اليمنى وأرفع بهما حدبة الكسر إلى خارج من داخل واستقبلها

---

(1) المصدر نفسه 2 / 193.

(2) المصدر نفسه 211/3.

باليد الأخرى من خارج ، وسوّه ، وتعرف استواءه من مساواة الأسنان التى فيه. وأما إن تقصف اللحى باثنتين فامدده من الجانبين على المقابلة بخادم يمده وخادم يمسك ثم يعبر الطبيب إلى تسويته على ما ذكرنا ، واربط الأسنان التى تعوجت وزالت بعضها ببعض . فإن كان عرض مع الكسر جرح أو شظية عظم بنخس فشق عنه وانزع الشظية واستعمل فيه الخياط والرفائد والأدوية الملحمة بعد الرد والتسوية. ورباطه يكون على هذه الجهة يجعل وسط العصابة على نقرة القفا ويذهب بالطرفين من الجانبين على الأذنين إلى طرف اللحى ، ثم يذهب به أيضاً إلى تحت اللحى على الخدين إلى اليافوخ ، ثم تمر منه أيضاً إلى تحت النقرة ، وليوضع رباط آخر على الجبهة وخلف الرأس ليشد جميع اللف الذى لف ، ويجعل عليه جبيرة خفيفة وإن انفصل اللحيان جميعاً من طرفها فليمد بكلتا اليدين قليلاً ثم يقابلان ويؤلفان ، وتنظر إلى تآلف الأسنان ، وتربط الثنايا بخيط ذهب لئلا يزول التقويم ويوضع وسط الرباط على القفا ، ويجاء برأسه إلى طرف اللحى ويأمر العليل بالسكون والهدوء وترك الكلام ويجعل غذاؤه الإحساء ، وإن تغير شيئ من الشكل فحل الرباط إلا أن يعرض ورم حار فإن عرض فلا تغفل عن الأضمدة التى تصلح لذلك مما يسكن ويحلل باعتدال وعظم الفك يشتد كثيراً قبل الثلاثة الأسابيع لأنه لين وفيه مخ كثير يملؤه.

وبعد ابن سينا استمر تواصل وعطاء علماء وأطباء الحضارة الإسلامية فى ميدان طب الأسنان ، وجراحة الفم والوجه والفكين ، فاهتموا بما قدمه أسلافهم من انجازات وابتكارات ومعالجات ، وزادوا عليها فى كتاباتهم ، مثل سعيد بن هبة الله (ت 495 هـ / 1102م) فى كتابه المغنى فى الطب ، وابن العين زربى (ت 548 هـ /

1153م) فى كتابه الكافى فى الطب ، وابن القُف الكركى (ت 657 هـ / 1213 م) فى كتابه العمدة فى صناعة الجراحة ، وابن هُبل البغدادى (675 هـ / 1231م) فى كتابه المختارات فى الطب ، وابن الفرج القربليانى (ت 761 هـ / 1332 م) فى كتابه الاستقصاء والإبرام فى علاجات الجراحات والأورام .

من كل ما سبق يمكن الوقوف بصورة ما على حجم طب الأسنان فى الحضارة الإسلامية فيما يلى :

عنى أطباء الحضارة الإسلامية عناية كبيرة بوقاية وتنظيف الأسنان ، مؤكدين على استعمال أعواد السواك كفرشاة ، وذلك لاحتوائها على نسبة عالية من الكالسيوم والعفص والحديد. واهتموا بمعالجة السن بكل الطرق والوسائل ، فابتكروا واتبعوا طرقاً دقيقة فى العلاج تكاد تقترب كثيراً مما هو سائد حالياً فى الطب الحديث . فلقد وضعوا أسس التشخيص التفريقى Differential Diagnosis المتبع الآن لأمراض الأسنان ، ففرقوا بين الأعراض والآلام المصاحبة للأمراض ، وذلك للوقوف على الأسباب الحقيقة للمرض ، فكان الطبيب يتحرى الدقة فى تشخيص السن المصاب تشخيصاً سليماً لاسيما إذا كان النخر فى السن جانبى يصعب رؤيته ، ويتخذ الألم شكل الشعاع ممتداً إلى السن السليم .

عالج أطباء الحضارة الإسلامية عصب السن والجذور Endodontics بما يعرف حالياً بتحنيط لب السن pulp fixation وإماتته ، وأرسوا أساس حشو الجذور المستعمل حالياً ، فابتكروا فى مجال تسويس الأسنان Teeth caries ، لأول مرة فى تاريخ الطب ، طريقة ثقب وسط السن المتآكل بمثقب يدوى لإخراج

المواد المحتقنة الناتجة عن التهاب العصب ، واستعملوا أنواع عديدة من الحشوات مثل الكبريت والقرنفل والشيح والمصطكى والقطران ، وحشوا الضرس بمسحوق الفلفل ، فإذا استمر الألم ، استبدل بالزرنيخ الأحمر. واستعملوا الحشوات المصبوبة المركبة من خليط من المواد الغير قابلة للصدأ مثل الذهب لتعويض الأجزاء المكسورة أو المفقودة من الأسنان كما صنعوا ونحتوا أسنان صناعية من عظام البقر والعاج لتحل محل الأسنان المفقودة وتملئ حفرتها مثبتة بسلوك من ذهب.

واتبع أطباء الحضارة الإسلامية فى قلع الأسنان نفس الطريقة المتبعة حالياً ، حيث يبدأ القلع بقطع رباط سنى خاص يربط السن باللثة ، ثم يشرط حول السن من الطرف الدهليزى الخارجى ، ومن الطرف اللسانى الداخلى ، ثم يمسك السن بالآلة الخاصة بذلك وهى الكلابة ، ويقلقل للخارج وللداخل ، ثم سحبه لأسفل إذا كان من الأسنان العلوية ، ولأعلى إذا كان من الأسنان السفلية.

وفى قلع أصول الأضراس واستخراج عظام الفك المكسورة ، ابتكروا واستخدموا الروافع والكلابة التى تشبه فم الطائر ، وقاموا بفتح شريحة لثوية للقلع. وإذا ما تفتت عظم من الفك بعد القلع بسبب التهاب ، فإنهم أوصوا بإزالته بالأدوية تماماً كما هو متبع الآن فى الطب الحديث ، بل أشاروا لأول مرة إلى استعمال الخل المركز لإيقاف النزيف بعد خلع الضرس.

وإلى جانب الآلات الجراحية الخاصة بخلع الأسنان ، برع أطباء الحضارة الإسلامية فى تصنيع وتصنيف الآلات الخاصة بجرف التسوس والتآكل والآلات الثاقبة والقاطعة مثل المجرفات والأزاميل ، والمسلات ، والمثاقب ، والمبارد ، بالإضافة إلى الصنانير والخطاطيف ومسابر الكى

الحرارى ، تلك التى ما زالت تستخدم فى طب الأسنان ، بعد أن نال بعضها التطور التكنولوجى الحديث .

وفى مجال التخدير لمنع الألم ، يُعد أطباء الحضارة الإسلامية الرواد الأُول فى التخدير العام بالاستنشاق والذى سجلوا به سبقاً على الطب الغربى الحديث. وتقوم نظريتهم فيه على بل قطعة من الإسفنج بمحلول مسحوق نبات الزوان والأفيون والحشيش والسيكران ، وتوضع على أنف وفم العليل للاستنشاق حتى يفقد وعيه ، فلا يشعر بالألم أثناء إجراء العمليات الجراحية. وكذلك فى مجال التخدير الموضعى لمنع الألم عند خلع الأسنان ، وصفوا لأول مرة فى تاريخ الطب التبريد لتسكين الآلام ، وذلك بوضع قطع الثلج على الأماكن المؤلمة فى الأسنان. كما وصفوا استعمال بذور نبات القنة والأفيون والميعة والبنج المعجونة بالعسل التى توضع على الأسنان ، فإذا استمر الألم ، وضعوا الزيت المغلى فى ثقوبها ، أو كيها حرارياً.

وبرع أطباء الحضارة الإسلامية فى تشبيك الأسنان المتحركة بالجبيرة السلكية التى وصفوها واستخدموها بأسلاك الذهب استخداماً دقيقاً ، ووسعوا منابت الأسنان فى حالة تآكل العظم بسبب آفة نسج داعمة ، أو خراج سنى ، وأشاروا إلى الامتصاص الدورى الحديث حين وصفوا تآكل يدقق السن بما ينقص منها. كما وقفوا على التراجع اللثوى الذى ينشئ عن النسج الداعمة إذا التهبت ، وذلك بمعرفتهم نقصان لحم العمور.

وأجرى أطباء الحضارة الإسلامية ما يُعرف حالياً فى الطب بالجراحة التجميلية لتشوه الأسنان Malocclusuion ، فنشروا الأسنان النابتة على غيرها ، كما سجلوا السبق العلمى الأصيل فى

تشخيص ووصف القلح والترسبات القلحية وأثرها فى فساد اللثة ، وأساليب وطرق إزالتها تلك التى ما زالت مستخدمة فى الطب الحديث ، ذلك الذى أقر أيضاً بتشخيصهم لما يُعرف حالياً باسم البثعة Epulis أو الورم اللثوى الذى ينبت على اللثة وفى جوانب الأسنان ، ووضعوا له العلاجات المناسبة والتى تنوعت بين الجراحة والأدوية .

وكذلك عالج أطباء الحضارة الإسلامية كسر اللحى أو الفك السفلى Mandibular Fractures وخلع الفك السفلى Mandibular Dislication بطرق مازالت متبعة فى الطب الحديث مثل الرد الإصبعى وتثبيت الأسنان وربطها بأسلاك من ذهب التى تقابل الآن أسلاك الفولاذ ، وربط الفك السفلى فى اتجاه الرأس بعد رده برباط قماش والذى يقابل الرباط المطاطى حالياً.

كل هذه الإنجازات جعلت طب الأسنان فى الحضارة الإسلامية يمثل إبداعاً ممتداً إلى العلم الحديث ، ويحتل مكاناً مرموقاً فى تاريخ الطب العالمى .

فصل طب الباطنة

من الاختصاصات الطبية التى لاقت اهتماماً وتطوراً فى الحضارة الإسلامية ، طب الباطنة ، حيث درس العلماء والأطباء البطن بكل ما تحويه من أعضاء ، وعرفوا ما يعتريها من أمراض ، فشخصوها ، وأبانوا أعراضها ، وقدموا لها ما يناسبها من العلاجات ، كالذى يعرض فى المرئ والمعدة من أمراض سوء المزاج ، وضعف المعدة ، وهو اسم حال المعدة إذ لم تهضم هضما جيداً لسبب فى نفسها وقوها. وفساد الهضم وهو أن يستحيل الطعام استحالة غير طبيعية ، وطفو الطعام وهو عدم اشتمال المعدة على الطعام. وزلق المعدة وهو ملاسة فى سطح المعدة يجعلها لا تستمسك الطعام ، والتهوع وهو حركة من الدافع للدفع عن المعدة لا يصحبها حركة من المندفع ، والقيئ وهو خروج ما فى المعدة عن طريق الفم ، والفواق وهو تشنج ينال المعدة من شيئ يلذع فيها ، أو ريح تمددّها ، أو يبوسة تعقب الاستفراغ المفُرط ، فيجتمع جرمها ليتحرك على وجه الدفع والذب. والإسهال وهو انطلاق البطن بالجهة المعتادة ، لا على الوجه المعتاد. والاختلاف وهو الإسهال الكائن بالأدوار. والخلفة وهو الإسهال الكائن بالألوان. وزلق الأمعاء وهو ملامسة فى سطح الأمعاء بحيث لا يلبث فيه الطعام فينطلق من ساعته. والزحير والزحار أو الدورسنتاريا Desentery ، وهو عبارة عن حركة من الأمعاء المستقيم تدعو إلى دفع البراز اضطرارا ، ولا يخرج منه إلا شيئ يسير من رطوبة مخاطية يخالطهما دم. والسحج وهو انجراد فى سطح الأمعاء يندفع فيه مواد دموية وصديدية وزبدية .. والمغس وهو وجع لاذع فى الأمعاء مع تمدد قليل. والقولنج Colic وهو الألم البطنى الناشئ من الإنسداد المعوى ، وعرف أطباء الحضارة الإسلامية ستة أنواع من القولنج

، هى : إيلاوس وهو نوع من القولنج صعب يكون فى الأمعاء الدقاق ، ويصحبه الغثيان والقيئ ، والقولنج التفلى ، وهو حبس الثفل فى معاء القولون ، والورمى وهو الكائن بسبب ورم الأمعاء ، والريحى وهو حبس الريح فى طبقات الأمعاء ، والبلغمى وهو التصاق سطح الأمعاء بمواد بلغمية ، والالتوائى وهو تقلب الأمعاء بسبب حرارتها أو طعام يابس ، أو غير ذلك.

كذلك درس أطباء الحضارة الإسلامية الأورام والقروح فى تلك الأعضاء الباطنية ، وضعف القوة الجاذبة وبطلانها ، والقوة الماسكة والدافعة والهاضمة ، والحموضة على الصدر ، وسيلان اللعاب ، والجشاء ، والقراقر والرياح فى البطن ، والشهوة الكلبية ، والشهوة البقرية ، والهيضة وهى حركة المواد غير المنهضمة للانفصال عن المعدة عن طريق الأمعاء بعنف وسرعة. ومارسوا البزل البطنى للاستسقاء والخراج داخل المساريقا Mesentry وربطوا الاستسقاء بضمامة الكبد والطحال ، كما هو الآن فى الطب الحديث.

ومن الإسهامات الطبية العربية الإسلامية الإصيلة التى قدمها أطباء الحضارة الإسلامية للإنسانية جمعاء ، ما يُعرف الآن فى الطب الحديث بنظرية التشخيص التفريقى ، تلك النظرية التى يُعد الرازى رائداً لها ، وتقوم على التفرقة بين الأمراض المتشابهة الأعراض ، ومن أمراض الباطنة القولنج وحصاة الكُلى ، حيث استطاع الرازى بمتابعة مشاهداته وملاحظاته وتجاربه التفريقية الدقيقة أن يقف على جوانب الشبه والاختلاف بين أعراض الحصاة فى الكُلى وأعراض القولنج .

فلقد أثبت الرازى بمتابعة مشاهداته وملاحظاته وتجاربه التفريقية الدقيقة أن جالينوس قد أخطأ فى تشخيصه لمرض "القولنج"

على أنه حصاة فى الكُلى. فيذكر الرازى أن جالينوس قال فى كتابه "فى الأعضاء الآلمة" : إنه كان قد حدث به وجع شديد فى ناحية الحالبين والخواصر ، وإنه كان لا يشك أن به حصاة فى إحدى نواحى الكُلى إلى المثانة ، وإنه لما احتقن وخرج منه بلغم لزج ، سكن وجعه على المكان ، فأدرك الرازى وعلم أنه أخطأ فى حدسه ، وإنه كان به وجع القولنج .

ولكن الرازى استطاع من خلال تركيز انتباهه على ما هو مشاهد أن يقف على جوانب الشبه والاختلاف بين أعراض الحصاة فى الكُلى ، وأعراض القولنج ، وقرر وفقاً لمشاهداته الدقيقة –المبنية على العلم وطول الممارسة- أعراض وعلامات ذا المرض ، وهى : إذا حدث فى البطن تحت السرة أو فى إحدى الخاصرتين وجع شبيه بالنخس ، ثم كان معه غثى وتقلب نفس ، واشتد سريعاً حتى يعرق العليل منه عرقاً بارداً ، فأظن أنه وجع القولنج ، ولاسيما إذا كان الذى به هذا الوجع قد أصابه قبل ذلك تخم كثيرة أو أكثر من أطعمة غليظة أو باردة .

ويؤكد الرازى على أن تشخيص القولنج ليس أمراً هيناً نظراً لتشابه آلام الأحشاء الموجودة فى الجوف السفلى من البطن. "وقد يحدث فى ألمعاء أوجاع يظن بها أنها وجع القولنج فى ابتداء كوّن السحج (التقرحات المعوية) وترك الحيات والديدان ، وذلك ينبغى أن تكون عنايتنا بتفصيل هذه الأوجاع المشبهة لوجع القولنج منه عناية شديدة لئلا يقع فى العلاج خطأ. ويأتى تشخيص الرازى للقولنج أيضاً منه عناية شديدة لئلا يقع فى العلاج خطأ". ويأتى تشخيص الرازى للقولنج أيضاً بناء على السوابق المرضية المباشرة والبعيدة ، وعلى موضع الألم وشدته ، وانتشاره ، والأعراض الموافقة للألم من غثى ، وقيئ ، وحمى ، وعلى

فحص المفرغات من براز وبول كماً وكيفاً ، وعلى الاختبار العلاجى. وينتهى الرازى إلى أن وجع القولنج يكون من برد المعدة وبرك الكُليتين .

وبعد التشخيص السليم للقولنج ، يُزيد الرازى من تفرقته بين أعراضه ، وأعراض وجع الكُلى ، فإذا كان الوجع فى الجانب الأيسر ، بظن أنه فى الكُلى ، وإذا كان يتأدى إلى سطح الجسم حتى يحس العليل بألم عند غمز المراق ، فقولنج.

وتأسيساً على ما سبق ، احتل طب الباطنة فى الحضارة الإسلامية مكاناً مرموقاً فى تاريخ الطب العالمى ، ومع هذا لم نقف حتى الآن على حلقة مكتملة للإسهام الإسلامى فى طب الباطنة فى سلسلة تاريخ الطب العالمى ، وذلك يرجع إلى أن ما وصنا من مؤلفات ومخطوطات طب الباطنة فى الحضارة الإسلامية ليست هى كل المادة العلمية التى كتبها العلماء ، فبعضها وصل ، وبعضها فُقد ، وبعضها ضاع ، وبعضها ضاع مؤلفها ، وكذلك هناك كثير من العلماء والأطباء لم يأت ذكرهم لا فى المصادر القديمة ، ولا فى الكتابات الحديثة ، ولا وجود لهم إلا من خلال مؤلفات ونصوص لهم اقتبس منها الرازى فى موسوعته الحاوى ، ولولا الرازى لضاعت مثل هذه النصوص كما ضاع أصحابها ، كأبى عبد الله بن يحيئ صاحب كتاب الاختصارات.

ومن هنا حاولت فى دراسة مستقلة[1] ، الكشف عن مثل هذه النصوص ، وإضافتها إلى المحصول العلمى والمعرفى لطب الباطنة فى الحضارة الإسلامية، وكل ذلك بغرض الوقوف على الحجم الحقيقى لعلم طب الباطنة فى الحضارة الإسلامية، وأثره فى الحضارة الإنسانية .

([1]) خالد حربى، طب الباطنة فى الحضارة الإسلامية، تأصيل وتأثير، ط الأولى، المكتب الجامعى الحديث، الاسكندرية2011.

فصل طب الطفيليات والأحياء المجهرية

لطالما قلت أن التقليب والتفتيش والتمحيص والدراسة فى المخطوطات العربية الإسلامية ، ومحاولة فهمها وتحقيقها ، ليوضح بصورة جلية أن مخطوطات حضارتنا العربية الإسلامية ما زالت تحوى كنوزا وذخائرا لم يكشف عنها بصورة لائقة حتى اليوم .

وقد سبق واستخرجت من المخطوطات ما أثبت به أن من أهم هذه العلوم وأكثرها فاعلية حتى هذه اللحظة " علم النفس " الذى يعد ابتكارا اسلاميا عربيا خالصا [1] .

ومع صحبتى للمخطوطات العربية الإسلامية دراسة وتحقيقا ونشرا على مدار ما يقرب من خمسة عشر سنة ، وجدتنى أمام محاولة تأصيل " علم جديد " من العلوم الإبداعية المهملة " فى الحضارة الإسلامية ، إلا وهو علم " الطفيليات والأحياء المجهرية " ، وهاك بوادرها :

نبتدئ بمفهوم علم " الطفيليات والأحياء المجهرية " فى العلم الحديث ، لنتخذه محكا ومعيارا لما نستخرجه من نصوص علماء العرب والمسلمين فى هذا العلم الحديث !

يعد علم الطفيليات والأحياء المجهرية فرع من فروع علوم الحياة ، ويختص بدراسة الأحياء التى لا ترى بالعين المجردة ، بل ترى بالمجهر أو الميكروسكوب ، فيدرس كمية وكيفية انتشار هذه الأحياء فى الطبيعة ، ويتساءل ويجيب عن علاقاتها بعضها ببعض ، وبالأحياء الأخرى الغير مجهرية ، وأعلاها الإنسان ، ومدى حجم النفع أو الضرر الواقع على الإنسان من خلال هذه العلاقة التى تربطه بأحياء أخرى مثله

---

[1] أنظر كتابى:إبداع الطب العربى الاسلامى، دراسة مقارنة بالعلم الحديث، ط الاولى، المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية، الكويت2007..

، لم يكد يراها.

وكل ذلك من خلال دراسة تركيب هذه الأحياء وكيفية تكاثرها وتوالدها ، وكل أنشطة دورة حياتها .

ويذكر لنا التاريخ العلمي الحديث أن العالم أجمع لم يسمع ولم يعرف الأحياء المجهرية والطفيليات إلا فى القرن الثامن عشر الميلادي ، وذلك بفضل اختراع المجهر على يد العالم الدينماركي أنطوني فان ليفن هوك (1632 - 1723 م) ، والذى ينسب إليه فى تاريخ العلم أنه أول من نشر صور الأحياء المجهرية عام 1684 ، الأمر الذى اعتبر ثورة علمية ، وفتح علمي لا مثيل له .

فتتابعت الأبحاث والدراسات ، وتنافس العلماء وتسابقوا فى هذا المضمار طيلة قرنين من الزمان ، حتى جاء عام 1876 ليسجل للعالم الألماني "كوخ " السبق فى إعلان الحقيقة العلمية القائلة بأن الأحياء المجهرية تعد من المسببات المرضية للإنسان ، وذلك بفضل ما قام به من أبحاث فى (الجمرة الخبيثة) .

ومن الجمرة الخبيثة ، وصاحبها (الحديث) كوخ ، نرجع الى علماء الحضارة الإسلامية ، لنرى ، وكأن ابن سينا (ت 428 هـ) يصرخ فينا من أعماق القرن الرابع الهجري ليقول فى كتابه (القانون) ولأول مرة فى تاريخ الطب أنه اكتشف وعرف ووصف الجمرة الخبيثة ، بل والطفيل المسبب لها ، وما ينتج عنها من حمى ، أطلق عليها (الحمى الفارسية) ، .. فالجمرة الخبيثة هى التى تطلق على كل بثرة آكال منغط محرق محدث خشكريشة [1] .

---

[1] ابن سينا ، القانون فى الطب ، حـ 3 ص 118 من طبعة بولاق .

وهـذا أول توصـيـف لمـرض الجمـرة الخبيثـة فـى تـاريخ الطـب . والعجيب أن المصطلح المعبر عـن الجمـرة الخبيثـة هـو Anthrax يحمـل ويعبر حرفيا عن الأسم الـذى أطلقـه ابـن سينا علـى هـذه الجمـرة ، وهـو " الجمرة الفحمية " ولفظه Anthrax لاتينية معناها الفحم ، تخيل !

ولم يتوقـف الشـيخ الـرئيس ، عنـد هـذا الحـد مـن حقـل الأحيـاء المجهرية المرضية ، بل نراه يقدم توصيفا لمرض خطير آخر ، ينتمي لنفس الميدان الطبي الحديث ، ألا وهو مرض " السل " الذى عرفه باسـم " الـدق " ، وعرف الطفيل المسبب لـه ، فيقـول فـى موضـوعين مـن "الأرجـوزة فـى الطب".

وحميات الدق "السل" جنس ثاني فلا تكن عن علمها بواني
وحميـات الدق فى الأعضـاء المتشـابهات فى الأجـزاء

وفى "القانون " يقـدم وصـفا بليغـا لأعـراض مـرض السـل " الـدق " ، فيقول بأن أظهر علاماته : " السعال الذى كثيرا ما يشتد بهم ، ويؤدي الى نفث الـدم أو المدة ، وحمـى رقيقـة لازمـة تشـتد عنـد الليـل . ويفـيض العرق منهم كل وقت ، ويأخذ البدن فـى الـذبول والأطـراف فـى الإنحنـاء ..." . وهذا التوصيف السينوى الدقيق لا يخرج عن ما هو معمول بـه حاليـا فى الطب الحديث ، لاسيما الحقيقة العلمية الثابتة حتى اليوم ، والقائلة بتبدل الأظافر فى المسلولين ، تلك الحقيقـة التـى أعلنهـا ابـن سـينا لأول مرة فى تاريخ الطب .

ووصف ابن سينا أيضا داء اليرقان " الصـفراء " ، وذكـر الأمـراض التـى تسـببه ، وكشـف الطفيلية المسـئولة عنـه ، وهـى الـدودة المستديرة التـى تسمـى اليوم " بالأنكلوسـتوما " ، فسـبق بـذلك (دوبينـى الإيطـالي) بتسعمائة سنة . فقد قام أحد أطباء المعاصرين بفحص ما جاء فى الفصل

الخاص بالديدان المعوية من كتاب " القانون " ، فتبين له أن الدودة المستديرة التى ذكرها ابن سينا هى ما نسميه بالأنكلوستوما . وقد أخذ جميع المؤلفين فى علم الطفيليات بهذا الرأي فى علوم الطب الحديثة ، وكذلك أخذت به مؤسسة روكفلر الأمريكية التى تهتم بجمع أي معلومات تتعلق بالأنكلستوما ، الطفيل والمرض .

ولم يكن الشيخ الرئيس أول من اكتشف ووصف بعض الأمراض المعدية ، والطفيليات المسببة لها من علماء الحضارة الإسلامية ، لكن سياق الموضوع اقتضى الربط بين اكتشاف ووصف ابن سينا للجمرة الخبيثة ، وأبحاث " كوخ " الألماني إبان العصر الحديث فى " نفس الجمرة "

فقبل ابن سينا ، يعد أبو بكر محمد بن ذكريا الرازي (ت 313 هـ) أول عالم فى العالم يتطرق لبحث ودراسة واكتشاف ووصف مرض الجدري والحصبة Small - pox and Measles والذى يدخل فى صميم علم الأحياء المجهرية الحديث .

فلقد وضع الرازي فى وصف الجدري والحصبة رسالة مكونة من أربعة عشره فصلا ، عدت من أهم وأقيم المؤلفات العلمية فى علم الأوبئة ، وإحدى روائع الطب الإسلامي على حد قول مؤرخ العلم المشهور جورج سارتون .

ورسالة الجدري والحصبة من أوسع مؤلفات الرازي انتشارا فى أوربا ، فقد نشرت باللغة العربية مصحوبة بترجمة لاتينية قام بها شاننج بلندن 1766 . وكان قد سبقها ظهور ترجمة لاتينية لهذه الرسالة فى فيينا سنة 1556 . كما ظهرت ترجمة انجليزية قام بها " جرينهل " ونشرتها جمعية سيدنهام سنة 1848 . وقد عرفت هذه الرسالة فيما

مضى باسم الوباء depestes ، وهي كما يقول " نويرجر " : تعتبر حيث تكون حلية التأليف الطبي العربي وزينته . وأنها تحتل مكانة عالية من الأهمية فى تاريخ علم الأوبئة باعتبارها أول كتاب عن الجدري والحصبة

ويقول صاحب قصة الحضارة [1] : وكانت رسالته فى الجدري والحصبة آية فى الملاحظة المباشرة والتحليل الدقيق كما كانت أولى الدراسات العلمية الصحيحة للأمراض المعدية ، وأول مجهود يبذل للتفرقة بين هذين المرضين . وفى وسعنا أن نحكم على ما كان لهذه الرسالة من بالغ الأثر واتساع الشهرة إذا عرفنا أنها طبعت باللغة الإنجليزية أربعين مرة بين عامي 1498 - 1866 .

ويعد تمييز الرازي بين أعراض كل من الجدري والحصبة أول تمييز من نوعه فى تاريخ الطب الإنساني وبه قدم الرازي كشفا جديدا يفتح الباب على مصرعيه لتقديم العلاج الصحيح والمناسب لمثل هذه الأمراض الخطيرة : يقول الرازي : " يسبق ظهور الجدري حمى مستمرة تحدث وجعا فى الظهر وأكلان فى الأنف وقشعريرة أثناء النوم . والأعراض الهامة الدالة عليه هى : وجع الظهر مع الحمى والألم اللازع فى الجسم كله ، واحتقان والم فى الحلق والصدر مصحوب بصعوبة فى التنفس وسعال وقلة راحة . والتهيج والغثيان والقلق أظهر فى الحصبة منها فى الجدري ، على حين أن وجع الظهر أشد فى الجدري منه فى الحصبة " [2] .

ولبيان أهمية وخطورة كتاب الجدري والحصبة بصورة أوسع ، أنقل بعضا من كلام الرازي ، ليس منه مباشرة ، بل من أحد أهم

---

[1] ول ديورانت، قصة الحضارة ح، 2 من المجلد الرابع ، عصر الإيمان ، ترجمة محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط الثالثة 1974 ، ص 191 .

[2] انظر ، كتابي : الرازي حجة الطب فى العالم ، ط الثانية ، دار الوفاء الأسكندرية 2006 ، ص 127

المستشرقين الغربيين المعاصرين ، وهو " دنلوب " إذ يقول [1] : ويمكن أن نأخذ النص التالي كمثال لكلام الرازي فى الجدري والحصبة ، يقول الرازي بمجرد ظهور أعراض الجدري ، يجب أن نعتنى عناية خاصة بالعينين ، وفيما بعد بالأنف والأذن والأربطة بالطريقة التى سأصفها . وبالإضافة الى هذه الأعراض قد يكون من الضرورى أن يمتد اهتمامنا الى أخمص القدمين ، وكف اليدين ، لأنه أحيانا ما ينشأ الم شديد فى هذه الأماكن بسبب ظهور طفح جلدي بها ، كما تزيد خشونة الجلد الأمر صعوبة .

وبمجرد ظهور أمراض الجدري قم بوضع ماء الورد فى العينين من وقت لآخر وأغسل الوجه والعينين بالماء عدة مرات فى اليوم . وذلك لأنه لو كان وقوع المرض محتملا ، وكانت البثرات قليلة العدد ، فإنك بهذه الإجراءات ستمنع ظهورها فى العينين . وهذا ما يجب عمله حقا لوقاية أكثر ، لأنه إذا كان مرض الجدري محتملا ، ولكن نسبة حدوثه ضئيلة ، فإنه من النادر حدوث أي بثور فى العينين . ولكن عندما ترى أن الطفح شديد والبثور معدودة فى بدايته ، مع وجود حكة فى الجفون ، واحمرار فى بياض العينين ، وتكون بعض الأماكن أكثر احمرارا من أماكن أخرى ، فإنه فى هذه الحالة ستزداد البثور بالتأكيد إذا لم يتم اتخاذ إجراءات حازمة وشديدة .

وبعد الإسهاب فى عرض مثل هذه الإجراءات الحازمة ، يقول دنلوب : يتضح من هذه العملية الدوائية الطويلة ، مدى اتقان ودقة الرازي العلاجية بوضوح شديد . وذلك ليس بأي شكل طبي بدائي ، ولكن على العكس من ذلك سنقتنع بالأتفاق مع ماكس ماير هوف فى قوله

---

[1] دنلوب ، الرازي فى حضارة العرب ، بترجمتي وتقديمي ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية 2002 ، ص 13 .

بإن الرازي بلا شك أعظم طبيب فى العالم الإسلامي ، وواحد من الأطباء العظام فى جميع الأزمنة .

لقد أبدع الرازي فى " الحاوي " وابن سينا فى " القانون " ، وغيرهما من علماء الحضارة الإسلامية ، أبدعوا فى الحديث عن الديدان الطفيلية المعوية ، فإذا كان العلم الحديث يعتمد أربعة أنواع ، فهى نفس الأنواع التى تحويها مخطوطات التراث الطبي الإسلامي ، وهى : الديدان المعترضة أو الشريطية taenia ، والديدان الصغار التى تسبب داء الدبوسيات enterobiasis ، والديدان العظام أو الكبار التى تعرف حاليا بالإسكارس ascaris ، والديدان المستديرة أو الشاصية hookwarm ، ومنها الأنكلستوما التى اكتشفها ابن سينا .

لم يتوقف حد الإسهام فى تدشين علم الطفيليات والأحياء المجهرية على الرازي وابن سينا فحسب ، بل هناك علماء أخر أدلو بدلوهم فى هذا المجال الدقيق ، ومنهم أبو مروان بن زهر الأندلسي (ت 557 هـ) الذى عرفه الغرب باسم Avenzorai الذى لا يعادله فى الشرق سوى الرازي ، ففضلا عن أنه أول من قدم وصفا سريريا لالتهاب الجلد الخام ، وللألتهاب الناشفة والأنسكابية لكيس القلب ، وأول من ابتكر الحقنة الشرجية المغذية ، والغذاء الصناعي لمختلف حالات شلل عضلات المعدة ، وأول من استعمل أنبوبة مجوفة من القصدير لتغذية المصابين بعصر البلع ، وقدم وصفا كاملا لسرطان المعدة ففضلا عن كل هذه الأنجازات الطبية والعلاجية التى أفادت الإنسانية ، يعد ابن زهر هو أول من اكتشف جرثومة الجرب وسماها " صؤابة " ، ذلك الأكتشاف المثير الذى يأخذ به علم الطفيليات والأحياء المجهرية الى اليوم .

إن من يتناول مخطوطات علماء الحضارة الإسلامية التى لم تحقق وتنشر حتى اليوم باحثا عن أصول علم الطفيليات ، سوف يجد الكثير من الحقائق العلمية والمنهجية التى تنسب زورا وبهتانا لعلماء الغرب ، دون أدنى إشارة الى مكتشفيها الأصليين فى العصر الإسلامي ، فتحتوى مخطوطات التراث الطبي الإسلامي على ملاحظات دقيقة عن انواع الطفيليات التى تعيش داخل الجسم والتى تعرف اليوم " بالطفيليات الباطنية " Endoparasites ، وأنواع " الطفيليات الخارجية " Ectoparisites التى تعيش على ظاهر الجسم ، بالإضافة الى بعض " الطفيليات الأولية " Protozoa ، مثل أنواع الأميبا التى تعيش فى جدار وتجويف الأمعاء الغليظة وتسبب مرض الدوسنتاريا Dysentry .، وما جاء عن أعراض بعض الأمراض ، مثل حمى الملاريا.

يتبين من كل ما سبق أن مقدمات علم الطفيليات والأحياء المجهرية - كعلم حديث نسبيا - موجود - على حد زعمي - فى مؤلفات وكتابات بعض علماء الحضارة الإسلامية ، وأطباءها . لكن معظم هذه المؤلفات لازالت فى صورتها المخطوطة . وبناء على ما قدمته ، فإن مثل هذه المخطوطات تستحق منا أن ننفض عنها غبار السنين بالدراسة والاستيعاب والفهم والتحقيق ، لعلنا نكشف عما تحتويه من كنوز ما زالت فاعلة حتى اليوم ، ومنها علم الطفيليات والأحياء المجهرية

نتائج الدراسة

بعد هذا العرض لتاريخ الطب وتطوره فى الحضارة الإسلامية، يمكن أن نحدد نتائج هذه الدراسة فى نقاط محددة فيما يلى:

بيّنت الدراسة كيف عرف العرب فى جاهليتهم بعض المعارف الطبية التى نقلوها ممن جاورهم من الشعوب القديمة وخاصة الهنود والفرس والكلدانيين، بالإضافة إلى ما استنبطوه من تجاربهم البسيطة كأثر من اثار خبرتهم العملية. وتأثر الطب العربى الجاهلى مثله مثل غيره من طب الشعوب الأخرى بطريقتبن فى العلاج، الأولى هى طريقة الكهنة وما ينبثق عنها من عرافة وسحر وشعوذة. الثانية هى طريقة العلاج بالعقاقير والمتمثلة فى العسل وبعض الأشربة النباتية والعدنية البسيطة، بالإضافة إلى الفصد والحجامة والكى. ومع تطور الممارسات الطبية، برز لدى العرب فى الجاهلية عدد من الأطباء واشتهروا، كان أقدمهم الطبيب "ابن خزيم"، حذق الطب وبلغ فيه منزلة عالية قياسا إلى زمانه إلى الدرجة التى معها ضرب به المثل فيه.

واشتهر منهم طبيب من بنى ثقيف بالطائف يدعى الحارث بن كلدة الثقفى، عاصر الرسول (ﷺ). وخلف الحارث إبنا يدعى النضر، فكان النضر بن الحارث بن كلدة، الذى تطبب على أبيه وجالس الأفاضل من العلماء والأحبار والكهنة بمكة وغيرها، وبلغ شأواً جليلاً فى العلوم القديمة وعلوم الفلسفة وأجزاء الحكمة. ومنهم ابن أبى رمثة: كان طبيباً على عهد الرسول (ﷺ)، مزاولاً لأعمال اليد وصناعة الجراح.

وأوضحت الدراسة أن الممارسات الطبية عند العرب قد تابعت مسيرتها فى العصر الجاهلى عند المسلمين بعد بزوغ شمس النبوة، إلا أنها اتخذت طابعا إيمانيا ينضح بروح الإسلام ويقيم المرض والصحة على

أساس العناية والقدرة الإلهية.وبعد أن عرضت الدراسة لموجز الطب النبوى، ولوجهة نظر كل من إبن خلدون وإبن القيم فيه، رأتنى أميل إلى رأى ابن القيم، وذلك استنادا إلى حديث"ما أنزل الله من داء، إلا وانزل له دواء". فالإسلام يحث على النظرة العلمية للأمور، ومنها المرض الذى يحتاج إلى دواء وعلاج لكى يسترد المريض صحته التى اعتلت بسبب هذا المرض. وتتميز النظرة النبوية للعلاج بالدقة والعمق، وذلك بناء على الحديث السابق، والذى رواه أحمد ومسلم بهذا اللفظ، لكل داء دواء. فإذا أصيب دواء الداء، برأ بإذن الله عز وجل، بمعنى إذا قبل جسم المريض الدواء، حصل له الشفاء – بحول الله – وإذا لم يقبله، استمر فى سقمه. وهذا ما يعرف فى الطب الحديث بما يسمى بالحساسية للدواء.وهذا الحديث له جانب نفسى عظيم، لا للمريض فقط، بل وللطبيب أيضا فإنه متى استشعر المريض أن لداءه دواء، ارتفعت روحه المعنوية تلك التى يعلق عليها الطب أهمية كبيرة فى البرء. أما الطبيب فإنه متى علم أن لهذا المرض دواء، جد فى طلبه والتفتيش عنه. فقد وصف النبى (ﷺ) العسل كدواء لرجل أصابه الإسهال نتيجة لما أصاب المعدة من أخلاط لزجة تعمل على عدم استقرار الطعام فيها. وينحصر الدواء فيما يزيل تلك الأخلاط، ويجلى المعدة، وأصلح الأدوية لذلك، العسل، ولا سيما إذا أضيف إليه ماء ساخن. وفى تكراره (ﷺ) سقيه العسل معنى من أبدع المعانى الطبية، وهو: أن الدواء لابد وأن تقدر كميته حسب حال صاحب الداء، فلا تنقص، ولا تزيد عن المقدار المطلوب. فما زال (ﷺ) يأمر بشرب العسل، وتكررت الشربات حتى وصلت إلى المقدار المقاوم للداء، فبرئ المريض بإذن الله. وفى قوله (ﷺ) صدق الله وكذب بطن أخيك" دلالة على نفع العسل كدواء، وأن

استمرار الداء ليس لعيب فى الدواء ولكن لكثرة المادة الفاسدة فى البطن مما يتطلب تكرار الدواء.

وأثنا البحث فى طب الخلافة الأموية، وقفت الدراسة على أشهر طبيبين ساهما فى تطور وازدهار الحركة الطبية، وهما تياذوق وماسرجويه البصرى. ولتياذوق من الكتب: كتاب كبير ألفه لابنه، وكتاب إبدال الأدوية وكيفية دقها، وإيقاعها وإذابتها، مع شيئ يسير من تفسير أسماء الأدوية. ولماسرجويه من الكتب: كتاب قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها. كتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها. كتاب فى العين. كتاب فى الشراب. ومع أن هذه الكتب لم تصل إلينا، إلا أن الدراسة استرجعت كثيرا من نصوص كل من تياذق وماسرجويه البصرى المفقودة.

وفى بحث حركة الترجمة، وقفت الدراسة على سير حركة الترجمة والنقل فى المجتمع العلمى الإسلامي ، والتى بدأت فى العصر الأموى ، ثم تطورت شيئا فشيئاً الى أن بلغت ذروتها فى العصر العباسي.ومما لا شك فيه أن هذا التطور قد أدى بطبيعة الحال الى خلق جو علمى نشط يعمل فى إطاره المترجمون ولديهم برامج علمية معينة يسيرون وفقاً لها فى أثناء نقلهم وترجمتهم لعلوم الأمم الأخرى الى العالم الإسلامي. وقد شهد المجتمع العلمى الإسلامي وجود أعداد غفيرة ، تصل الى مئات، من التراجمة الذين عملوا فى جو علمى نشط يسوده التنافس العلمى الشريف.ووقفت الدراسة على أبرز وأشهر مدرستين للترجمة فى المجال الطبى، وهما :مدرسة حنين بن اسحاق العبادى، ومدرسة بختيشوع. وبيّنت الدراسة كيف اهتم المسلمون اهتماماً كبيراً بنقل وترجمة المؤلفات الطبية من الأمم الأخرى وخاصة اليونانية، وبصورة أخص

مؤلفات أبقراط وجالينوس، والإسكندروس، وروفس الإفسى وديسقوريدس .. وغيرهم.فعرف المسلمون من مؤلفات أبقراط، وعدوا منها ثلاثين أصلاً، والتى أوصوا بدراسته لمن يقرأ صناعة الطب اثنى عشر كتاباً، أطلق عليها مؤرخوا تاريخ الطب "المجموعة الأبقراطية " وكان لهذه المجموعة شأن كبير عند أطباء المسلمين، فترجموا معظمها مع تفسير جالينوس لها فى الغالب إما ترجمة مباشرة إلى العربية، أو بواسطة السريانية. وترجمت معظم كتب جالينوس إلى العربية، فقد كان أحب الأطباء اليونانيين إلى العرب، ومن أشهر تراجمته: حنين بن اسحق، وحبيش الأعسم، وعيسى بن يحيى، وإصطفن بن بسيل.

وأثناء بحث الطب الإسلامى من الخلافة العباسية وحتى الخلافة الأموية فى الأندلس، تعرضت الدراسة لعلماء وأطباء الحضارة الإسلامية الذين مهدوا لمرحلة الإبداع ومثلوها خير تمثيل. وأول من قابل الدراسة فى تلك الفترة :عيسى بن حكم الدمشقى الذى يمثل الجيل الثالث لأسرة طبية عاشت وعملت فى الإسلام من صدر الدولة الأموية إلى صدر الدولة العباسية، تطبب على أبيه، وصار طبيباً فاضلاً فى دولة بنى العباس، وعُرف فى تاريخ الطب الإسلامى بـ"مسيح" صاحب الكُناش الكبير الذى يُعرف به، ويُنسب إليه، وله أيضاً "كتاب منافع الحيوان". تناول عيسى بن حكم فى كُناشه الأمراض التى يمكن أن تصيب الإنسان من الرأس إلى القدم، وقدم لها من العلاجات المناسبة. ويُعد الكُناش من الكتابات الطبية العربية المهمة فى فترة مبكرة من تاريخ الطب الإسلامى، وليس أدل على ذلك من أن معلوماته جاءت مفيدة للاحقين من أجيال العلماء، فنقلوا منها فى مؤلفاتهم، لا سيما الرازى الذى أقر

كثيراً من معارف عيسى بن حكم، ودوّنها فى موسوعته "الحاوى" فحفظها من الضياع. أما عبدوس فكان طبيباً مشهوراً ببغداد على أيام الخليفة المعتضد (ت289هـ)، حسن المعالجة، جيد التدبير، ويعرف كثيراً من الأدوية المركبة، وله تجارب حميدة، وتصرفات بليغة فى صناعة الطب، وله من الكتب كتاب التذكرة فى الطب، بحث فيه مختلف الأمراض التى يمكن أن تصيب الإنسان من الرأس إلى القدم، وقدم لها من العلاجات الفاعلة ما استمرت فاعليتها لدى أجيال الأطباء اللاحقين له.وهذه التذكرة فى الطب تُعد من الكتابات المهمة لتاريخ الطب فى الإسلام، يدلنا على ذلك كثرة النصوص التى اقتبسها الرازى منها فى موسوعته الأهم، الحاوى. والساهر: اسمه يوسف، ويُعرف بيوسف القس، كان طبيباً متميزاً على أيام الخليفة المكتفى .. وكان فى رأسه سرطان يمنعه يمنعه النوم، فلقب بالساهر، وصنف كُناشاً يذكر فيه أدوية لأمراض، وذكر فى كُناشه أشياء تدل على أنه كان به هذا المرض. وهذا الكُناش مما استخرجه الساهر وجرّبه فى حياته، وجعله مقسوماً على قسمين.لم يصل إلينا كُناش الساهر مثله مثل كثير من مؤلفات الطب العربى الإسلامى، إلا أن الرازى حفظ لنا كثيراً من نصوصه فى موسوعته الحاوى، الأمر الذى يشير إلى أهمية كُناش الساهر من ناحية، وأهمية موسوعة الحاوى من ناحية أخرى.

وبيّنت الدراسة أن آل بختيشوع من أهم العائلات التى قدمت إلى بغداد، ولعبت دوراً مهماً فى حركة الترجمة، وتكاد تكون هى العائلة الوحيدة التى انفردت بالترجمة الطبية دون غيرها، ساعدها على ذلك أن جميع أفرادها كانوا أطباء مهرة. كما اختصت بنوع آخر من العمل العملى، وهو التعليم الطبى.فجورجيس بن بختيشوع هورئيس أطباء

جنديسابور، استقدمه الخليفة المنصور إلى بغداد، وصار طبيبه الخاص إلى أن توفى فى خلافته. ونقل له كتباً كثيرة من اليونانية إلى العربية، فضلا عن الكتب المؤلفة مثل: رسالة إلى المأمون فى المطعم والمشرب، كتاب الباه، رسالة مختصرة فى الطب، ، كتاب فى صنعة البخور، ألفه لعبد الله المأمون، كتاب الكُناش المعروف. أما بختيشوع بن جورجيس، ويكنى أبا جبريل، فاستقدمه الخليفة المهدى من جنديسابور ليحل محل أبيه جورجيس، فظل فى خدمته وخدمة الهادى والرشيد. وكان طبيباً حاذقاً، نقل له حنينٌ بن اسحاق كتباً كثيرة من كتب جالينوس إلى اللغة السريانية والعربية.وأسهم بختيشوع أيضاً فى حركة التعليم الطبى – كباقى أفراد العائلة – يدلنا على ذلك أن ما ذُكر له من الكتب، كتابان تعليميان، هما: كتاب التذكرة، عمله لابنه جبريل. كتاب فى الحجامة على طريق السؤال والجواب. وكان جبرائيل بن بختيشوع فاضلاً عالماً متقناً لصناعة الطب، جيداً فى أعمالها، حسن الدراية بها، حتى صار طبيب الخليفة هارون الرشيد الخاص ونزل لديه منزلة ممتازة وجعله رئيساً للأطباء. وظل على ذلك زمن الأمين والمأمون حتى توفى فى خلافته.ولجبرائيل من الكتب: كناشه الكبير الملقب بالكافى، رسالة فى عصب العين، مقالة فى ألم الدماغ بمشاركة فم المعدة والحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس المسمى ذيرفرغما، الروضة الطبية، مقالة فى العين. وأوضحت الدراسة أن مؤلفات عائلة بختيشوع تكاد تكون غائبة أو مفقودة. ومن أحسن السبل التى تساعد على الوقوف على نصوص منها "حاوى" الرازى. فلقد اقتبس الرازى من مؤلفات العائلة كثير من النصوص، ودوّنها منسوبة إلى أصحابها فى موسوعته الأهم، الحاوى.

أما الطبرى فقد أوضحت الدراسة أنه وقع ضحية أخطاء قدماء المؤرخين، فلم يحددوا ولادته وزمانها ومكانها، بل حرفوا فى اسمه وغيروا اعتقاده ومذهبه الدينى، فقالوا: كان يهودياً طبيباً منجماً من أهل طبرستان، وكان متميزاً فى الطب، عالماً بالهندسة، وأنواع الرياضة، وحل كتباً حكيمة من لغة إلى لغة أخرى، وكان والده على بن ربن طبيباً مشهوراً انتقل من طبرستان إلى العراق، وسكن سر من رأى. وربن هذا كان له تقدم فى علم اليهود، والربن والربين والراب أسماء لمقدمى شريعة اليهود، وهو أستاذ الرازى فى الطب.إذن فالطبرى عند قدماء المؤرخين وتبعهم فى ذلك كثير من الكتاب المحدثين والمحققين – ابن على بن ربن، ويهودى النحلة، واشتهر لديهم بكنيته (الطبرى) دون اسمه الأول. والحقيقة أن اسمه الصحيح: على بن ربن بن سهل النصرانى.والربن من ربَّان لقب دينى يعنى بالسريانية "المُعلم"، وقد حصل عليه والدة "سهل" بفضل علمه وشهرته علمية، فى الطب والفلسفة واللاهوت، فالطبرى، إذن هو على بن ربن (المُعلم) سهل. حرص والده سهل على تربيته وتنشأته نشأة علمية، فعلّمه بنفسه الطب واللغات والفلسفة، وورث الابن عن أبيه حبه وشغفه بالعلم، وخاصة الطب. ولما انتقل به والده الطبيب المشهور إلى طبرستان على أيام الخليفة "المأمون" لُقب الابن على بن سهل، "بالطبرى"، وما لبث إن ذاع صيته فى الطب بين الإمارات الإسلامية، وانتقل إلى بلاط الخليفة العباسى المعتصم ببغداد، وظل بها طبيباً ممارساً مشهوراً يتمتع بحظوة الخلفاء من الواثق حتى المتوكل الذى اعتنق الطبرى الإسلام على يديه، وشجعه الخليفة على تأليف كتاب "الرد على النصارى" وكتاب "الدين والدولة". وفى نفس الفترة وبالتحديد سنة 235هـ، انتهى أيضاً من تأليف أهم كتبه الطبية

وهو كتاب فردوس الحكمة. وتوفى الطبرى سنة 236هـ، وولد محمد بن زكريا الرازى سنة 250هـ، فكيف تعلم الرازى على الطبرى كما زعم المؤرخون القدامى، ومن تبعهم من الكتاب المحدثين؟! كتب الطبرى مؤلفات كثيرة فى الطب وغيره، بقى منها كتاب حفظ الصحة (مخطوط اكسفورد)، وكتاب اللؤلؤة (مخطوط استانبول)، فضلاً عن فردوس الحكمة. وضاع منها: كتاب أرفاق الحياة، كتاب تحفة الملوك، كتاب كُناش الحضرة، كتاب منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير، كتاب فى الحجامة، كتاب فى ترتيب الأغذية. إلا أن أهم وأشهر كتبه الطبية التى وصلتنا، هو كتاب "فردوس الحكمة"، أقدم تأليف عربى جامع لفنون الطب، وأول موسوعة طبية عربية اعتنت بالطب وعلومه، وما يلزم لدراستها، فاحتوت علم الأجنة، وعلم السموم، والطب الباطنى، والعقلى، وطب النساء، والتشريح كما لخص الطبرى فيها آراء الأقدمين فى الطب والعلوم الطبيعية. ويقع الكتاب كما يقول الطبرى: فى سبعة أنواع من العلم، ولهذه الأنواع ثلاثون مقالة، ولمقالاتها كلها ثلاث مائة وستون بابا.

وبيّنت الدراسة أن أبا زكريا يحيى (يوحنا) بن ماسويه، كان طبيباً ذكياً خبيراً بصناعة الطب، وخدم به من الخلفاء: الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وتوفى فى خلافة الأخير سنة 243هـ - 857م. أما عن أعماله، فتروى لنا المصادر أنه كان غزير الإنتاج الطبى، فسجل له ابن أبى أصيبعة أسماء اثنين وأربعين كتاباً فى الطب، لكن لابن ماسويه كتباً أخرى لم يذكرها ابن أبى اصيبعة، ولا غيره من المؤرخين، ولم يرد ذكرها، وكذلك نصوص منها إلا فى موسوعة الحاوى فى الطب لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى، تلك

التى حفظت لنا ولتاريخ الطب كثير من نصوص أطباء الحضارة الإسلامية – وغيرها من الحضارات – التى ضاعت أو فقدت عبر الزمن، ومنهم اسحاق بن حنين، وابنه اسحاق بن حنين اللذين وقفت الدراسة على جهودهما فى حركة الترجمة الطبية، وكذا التأليف الطبى وممارسته.

وفى البحث فى أبى بكر محمد بن زكريا الرازى، أوضحت الدراسة أنه يعد خير ممثل لازدهار مرحلة الإبداع والابتكار من تاريخ الطب الإسلامى.وذلك إنما يرجع إلى الإنجازات الطبية والعلاجية، والبحثية، والتعليمية التى أبدعها، وأفادت منها الإنسانية جمعاء.ولقد انتهيت فى دراسات وتحقيقات وترجمات سابقة إلى أن الرازى أبرز أطباء الحضارة الإسلامية ، وطبيب المسلمين بدون منازع ، وأبا الطب العربي ، وجالينوس العرب ، بل وحجة الطب في العالم منذ زمانه القرن الثالث الهجري ، وحتى القرن الثامن عشر للميلاد ، ففي خلال هذه القرون الممتدة ، كانت مؤلفات الرازي الطبية والعلاجية تشكل أساساً مهماً من أسس تعليم طلاب الطب في جميع أنحاء العالم، وذلك إنما يرجع إلى الإسهامات الطبية والصيدلانية والبحثية والتعليمية الأكاديمية الرائدة التي قدمها الرزاي ، وعبرت بحق عن روح الإسلام وحضارته إبان عصورها المزدهرة ، وعملت على تقدم علم الطب، وأفادت منها الإنسانية بصورة لا يستطيع أن ينكرها مُنكر. تضمنت أعمالي المنشورة في الرازي كثيراً من إنجازاته وابتكاراته تلك التي شكلت لديّ (حزمة) من المبادئ والآراء والأفكار والنظريات الرازية التي لم تكتشف من قبل ، فتم اكتشافها باعتبارها إضافات جديدة في بناء مذهب الرازي ، وحجم الطب الإسلامي ككل . وقد أفدت إفادات

جمة بتلك الدراسات والتحقيقات في منهجي لتحقيق " الحاوي في الطب " كأعم وأهم وأضخم موسوعة طبية في الطب الإسلامي ، بل في تاريخ الطب الإنساني كله . ولعل هذا ما يفسر استمرار العمل في تحقيق الحاوي من سنة 1995 وحتى سنة2012. فالحاوى أول موسوعة طبية لكافة المعلومات والعلوم الطبية المعروفة حتى وفاة الرازي في بداية القرن العاشر الميلادي ، جمع فيها الرازي كل الخبرة الإكلينيكية التي عرفها في مرضاه ، وفي نزلاء البيمارستانات (المستشفيات) ، وهذا التأليف كان فتحا جديدا في تاريخ تعليم الطب ويعتبر كتاب الحاوي اضخم كتاب عربي وصل إلينا كاملا وهو مازال ضخما غنيا بالمعلومات الطبية لم يسبر غوره ، ولم يدرس بدق وتأصيل لكثرة ما تضمنه من أسماء الأدوية وصيدلية تركيبها وأسماء الأطباء من العرب وغير العرب الذين اخذ من مؤلفاتهم في هذا الكتاب، ولضخامة الكتاب بهذا الشكل لم يقرضه طبيب من الذين أعقبوا الرازي وكل ما فعله الممارسون من بعده أن تداولوا صورا مختصرة منه. وقد اشتهر الحاوي بذكر عدد كبير من الحالات السريرية التي تجاوز عددها المائة حالة ، وهو موسوعة طبية اشتملت علي كل ما وصل إليه الطب إلى وقت الرازي ففيه أعطى لكل مرض وجهة النظر اليونانية، والسريانية ، والهندية ، والفارسية ، والعربية ثم يضيف ملاحظاته الإكلينيكية ثم يعبر عن ذلك برأي نهائي ولذلك اعتبر الحاوي من أهم الكتابات في مجال الطب التي أثرت تأثيرا بالغا علي الفكر العلمي في الغرب ، إذ ينظر إليه عادة علي انه أعظم كتب الطب قاطبة حتى نهاية العصور الحديثة . وذكر علماء الغرب أن كتاب الحاوي في الطب هو أعم موسوعة في الطب اليوناني العربي وأهم أعمال الرازي فجاء أوسع واثقل

كتاب ترجم إلى اللاتينية وطبع في أوروبا ، وظل عمدة الدراسات الطبية الغربية علي مدار قرون طويلة . ومازال الحاوي عمدة أيضا في كل دراسات تاريخ العلم بعامة وتاريخ الطب بخاصة علي المستويين العربي والغربي ومع ذلك يعترف جميع المشتغلين بتاريخ العلم علي مستوى العالم أن الحاوي لم يحقق حتى الآن تحقيقا علميا دقيقا ، فمازال الكتاب بكرا لم يعمل به الباحثون باهتمام وشمول ودقة ، وهذا ما دعاني إلى تحقيقه ونشره ضمن مشروعي التراثي الذى بدأ ستة 1994 ومازال مستمرا. وبحمد الله صدر أخيرا تحقيقى للحاوى فى ستين جزءا تحويها عشر مجلدات عن دار الوفاء بالاسكندرية2013.

والواقع أن مؤلفات الرازى تطلعنا على أن صاحبها قد قدم إسهامات طبية جليلة أفادت الإنسانية جمعاء، وذلك بفضل استخدامه المنهج التجريبى –المعمول به فى العلم الحديث- وتطبيقه على كافة الاكتشافات الطبية والصيدلانية والكميائية التى اكتشفها. فلقد اهتم أطباء المسلمين اهتماماً بالغاً بالطب السريرى، وذلك إنما يرجع إلى اهتمامهم البالغ بالمنهج التجريبى فى العلوم الطبيعية لاسيما الطبية منها. ويأتى الرازى فى مقدمة هؤلاء الأطباء الذين استخدموا هذا المنهج، حيث تعد آثاره من الركائز الهامة فى تاريخ هذا العلم، ولعل أهم ما فيها هو وضع الرازى للمبادىء الأساسية لعلم السريريات البحتة، وعدم الوقوف عند المبادىء النظرية. وطبق الرازى المنهج التجريبى بمراحله المعروفة: الملاحظة، والتجربة، وفرض الفروض، والتحقق منها. وللرازى فضل السبق أيضا فى تدشين ما يعرف حاليا بمهنج المجموعات المرضية والعلاجية، وهو أول من اكتشف وصف مرض الجدرى والحصبة، ووضع لهما العلاجات المناسبة. وأول من ابتكر خيوط الجراحة المسماه

"بالقصـاب"، وخيـوط الجراحـة مـن أمعـاء القطـط ،وتنسـب إليـه عمليـة خياطة الجروح البطنية بأوتار العود. ويعد الـرازى أول مـن اهـتم بالجـراحـة كفـرع مـن الطـب قـائم بذاتـه، ففـى موسـوعته الحـاوى وصـف لعمليـات جراحيـة تكـاد لا تختلـف عـن وصـف مثيلتهـا فـى العصـر الحـديث وهـو أيضاً أول من وصف عملية استخراج الماء مـن العيـون. واسـتعمل فـى عـلاج العيون حبات "الإسفيداج"،وأول مـن اكتشـف أن حدقـة العـين تضيـق فـى النـور وتتسـع فـى الظـلام،وهـو اول مـن نصـح الـرازى بضـرورة بنـاء علـى المستشفى بعيداً عن أماكن تعفن المواد العضوية. و كشف الـرازى طرقـاً جديدة فى العلاج، فهو أول من استعمل الأنابيب التـى يمـر فيهـا الصـديد والقيح والإفرازات السامة. كما استطاع أن يميـز بـين النزيـف الشـريانى والنزيف الوريدى، واستعمل الضغط بالأصبع وبالربـاط فـى حالـة النزيـف الشريانى.واستخدم الرازى أدوية مـا زال الطـب الحـديث يعـول عليهـا حتـى وقتنـا الحـاضـر ،وأسهم الرازى فـى مجـال التشـخيص بقواعـد لهـا أهميتهـا حتى الآن، منهـا: المراقبة المستمرة للمـريض. والاختبـار العـلاجـى، وهـو أن يُعطـى العليـل عـلاجـاً مراقبـاً أثـره، وموجهـاً للتشـخيص وفقـاً لهـذا الأثـر. ومنها أهميـة ودقـة اسـتجواب المريض، فينبغـى للطبيـب أن لايـدع مسـاءلة المريض عن كل مـا يمكـن أن يتولد عن علته من داخل، ومن خارج، ثم يقضى بالأقوى. ومنها أيضاً، العناية بفحص المريض فحصـاً شـامـلاً، علـى اعتبار أن الجسم وحدة واحدة متماسكة الأعضـاء إذا اختـل واحـد منهـا "تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى". ولقـد اعتمـدت نظريـة الـرازى الأسـاسـيـة فـى التشـخيص علـى التسـاؤل عـن الفـرق بـين الأمـراض. فمـن الإسـهامات الأصيلة التـى قـدمهـا الـرازى للطـب، تفرقتـه بـين الأمـراض المتشابهة الأعراض، وهـذا مـا يطلق عليه الآن التشخيص التفريقى Diff

Diagnosis، الذى دشنه الرازى. وبالجملة قدم الرازى إسهامات طبية وعلاجية رائدة عملت على تقدم علم الطب وأفادت منها الإنسانية بصورة لا، ولم يستطع أحد أن ينكرها. فالرازى حجة الطب فى العالم منذ زمانه وحتى العصور الحديثة، وذلك باعتراف الغربيين.

ووجدت الدراسة أن على بن العباس وجد أن التراث الطبي اليوناني الذي نُقل إلى اللغة العربية في عصر الترجمة قد بهر أطباء القرنين الثاني والثالث من الهجرة لدرجة أنهم شعروا معه بنوع من التبعية الفكرية تجلت في مؤلفاتهم فيما بعد، وخاصة مؤلفات علي بن رضوان الطبية، فكانت أقوال كل من أبقراط وجالينوس، لا سيما نظرية الأخلاط لا يساورها أي شك. أما هو، فلم يركن إلى السير في هذا الاتجاه، واستخدم منهج النقد العلمي في بحثه ودراسته، ليس للتراث الطبي اليوناني فحسب، بل والعربي الإسلامي أيضاً، فأعمل ملكة "النقد" في كل المؤلفات الطبية التي تعرض لها بالدراسة والتمحيص، فوقف على جوانب القصور التي تعتريها، بعد أن أبان أوجه الحُسن فيها، وذلك هو السبب الرئيس الذي دفعه إلى وضع كتاب "**كامل الصناعة الطبية**"، وكأنه يكمل به ما وقف عليه من نقص في مؤلفات السابقين عليه، فلم أجد - كما يقول - لأحد من القدماء والمحدثين من الأطباء كتاباً كاملاً يحوي جميع ما يحتاج إليه من بلوغ غاية هذه الصناعة وأحكامها.

ووجدت الدراسة أن كتاب " كامل الصناعة الطبية " الذى اشتهر فى اللاتينية " بالكتاب الملكي " من أهم وأشهر كتب الطب التى ظهرت فى القرن الرابع الهجرى . وضعه على بن العباس موسعا بعشرين مقالة فى علوم الطب النظرية والعلمية ، وبوبه تبويبا حسنا ، فجاء

أفضل من كتاب المنصوري للرازي ، الكتاب المدرسي المعتمد آنذاك . وقد لزم طلاب العلم درس الكتاب حتى ظهور " القانون " لابن سينا ، والملكي فى العمل أبلغ ، والقانون فى العلم أثبت . وتحتوى مقالات الكتاب العشرين على أبحاث وفصول مهمة فى الجراحة والتشريح ، والعلاجات ، والأمور الطبيعية والبيئية ، وأثر الأدوية وتأثيرها ، نباتية كانت أم معدنية ، بالإضافة الى أثر السموم فى القوى الطبيعية المدبرة للبدن . وفى قسم التشريح رأينا على بن العباس يقدم تعريفا ووصفا صائبا لكل من الأوردة والشرايين ، ووظائف القلب والتنفس ، والجهاز الهضمي ، الى جانب وصف للحواس وكيفية تأدية وظائفها ، كما أشار الى أهمية ممارسة الرياضة من حيث أنها تنتج حصانة الجسم عن طريق تقوية الأعضاء وصلابتها. إن أهمية كتاب كامل الصناعة لعلى بن العباس إنما تقاس بمدى أثره فى العصور اللاحقة ، فقد تأثر به الأطباء اللاحقون فى العصور المختلفة ، وامتد هذا الأثر إلى الغرب فى بداية العصور الحديثة الذى عرف على بن العباس باسم هالى أباس Haly Abbas ، وعرف كتابه كامل الصناعة الطبية باسم الكتاب الملكى Liber Regius . فقد كان هذا الكتاب من الكتب الدراسية الأساسية فى كليات الطب الأوروبية إلى جانب الحاوى للرازى ، والقانون لابن سينا ، والتصريف لأبى القاسم الزهراوى ، والتيسير لابن زُهر حتى القرن السادس عشر . وتجدر الإشارة إلى أن قسطنطين الأفريقى (ت 1087 م) "اللص الوقح" – هكذا يدعى فى تاريخ العلم- ترجم كتاب كامل الصناعة إلى اللغة اللاتينية ونشره باسمه ، وبقى الكتاب يدرس على طلاب الطب الأوروبيين حتى سنة 1127 م حين ظهرت ترجمة أخرى للكتاب ، قام بها "الياس اصطفيان الأنطاكى"

الإيطالى الأصل ، ذكر فيها اسم مؤلف الكتاب الحقيقى على بن العباس ، وظلت هذه الترجمة تطبع حتى سنة 1492 ، ولذا عُد الكتاب الملكى من الكتب التى يبدأ بها عهد الطب فى أوربا ، وهو من أفضل ما ألفه المسلمون فى العلوم الطبية. وفيه يتضح بصورة جلية أن على بن العباس يعد أول من قال بصعوبة شفاء المريض بالسل الرئوى ، وذلك بسبب حركة الرئة ، وعلى أساس أن العضو المريض يحتاج إلى السكون ، والذى لا يتوافر فى الرئة الدائمة الحركة بفعل التنفس. ومن أهم كشوفات على بن العباس الأهوازى: معرفته أن سبب الطلق هو تقلصات الرحم. وكان أول من أشار لضرورة التدخل الجراحى فى مداواة السرطان. وتحدث عن وجود شبكة شعرية من العروق النابضة (الشرايين) ، وأشار على بن العباس إلى وجود الشعيرات الدموية بين الشرايين والأوردة. كما أن له نظرية طبية سليمة عن داء الدرن وعن أمراض النساء ، وتكوين الجنين ، وسرطان الرحم. كما برع فى مجال الجراحة العامة وكانت معلوماته فيها متقدمة على معاصريه ، وحرص على أن ينقل خبراته الجراحية لتلاميذه ، وأجرى العديد من العلميات الجراحية. أضف إلى ذلك أنه من أوائل من قدم البراهين على أن الرحم ينقبض أثناء الولادة ، فقد قال أبقراط ومن جاء بعده بأن الطفل فى جوف الأم يتحرك بنفسه تلقائياً ويخرج بواسطة هذه الحركة من الرحم. فجاء على بن العباس ليكون أول من قال بحركة الرحم المولدة التى تدفع الثمرة إلى الخروج بواسطة انقباض عضلاته. وبذلك فإنه يقصد أن الجنين يطرد ولا يخرج ذاتياً كما كان يقول أبقراط وغيره. أضف إلى ذلك أنه كتب عن الخراج فى رحم الأم وفى حلقه وعن سرطان الجوف الداخلى . ويعد علي بن العباس " من أوائل من وصف كسر الفك الأسفل

في غاية الدقة بواسطة عملية جراحية، كما وصف معالجة للحالة المسماة الأنورزم.

وبيّنت الدراسة أن أبا القاسم خلف بن العباس الزهراوى أكبر جراحى العرب ، ومن كبار الجراحين العالميين ، ومن أساطين الطب فى الأندلس ، وله تصانيف مشهورة فى صناعة الطب ، وأفضلها كتابه الكبير المعروف بالزهراوي ، وكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ، وهو أكبر تصانيفه وأشهرها ، وهو كتاب تام فى معناه والكتاب ينقسم الى ثلاثة أقسام : قسم طبي ، وثاني صيدلاني ، وثالث جراحى ، وهو أهمها ، لأن الزهراوي أقام به الجراحة علما مستقلا بعد أن كانت تسمى عند العرب (صناعة اليد). إن إسهامات الزهراوى "الأصيللة" فى علم الجراحة ترجع إلى اعتماده المنهج العلمى الذى اتصف به كتاب التصريف ، والقائم على الملاحظة الحسية والتجربة التى أولاها أهمية كبرى فى منهجه العلمى. ولم يتعد الزهراوى التجربة والملاحظة الحسية إلى ذكر ظواهر غيبية أو غير طبيعية لا يستطيع العقل تعليلها ، أو إخضاعها لمنهج البحث العلمى، فهو يورد التعليل الفيزيولوجى للمرض ، ويذكر آليته والأساس التشريحى للعلة ، وفى المقالة الثانية من الكتاب عندما يتحدث عن مرض ما ، يفتتح حديثه بالتعريف ، ثم يذكر الأساس النظرى والفيزيولوجى ، ثم يورد الأعراض والعلاقات ، ثم العلاج وسبل الوقاية ، وهذا هو المنهج المتبع اليوم. ويعد الزهراوي ، أول من ربط الشرايين ، وأول من وصف النزيف واستعداد بعض الأجسام له (هيموفيليا) ، وأول من أجرى عملية استئصال حصى المثانة فى النساء عن طريق المهبل ، واكتشف مرآة خاصة بالمهبل ، وآلة لتوسيع الرحم للعمليات ، وأجرى عملية تفتيت الحصاة فى المثانة ، وبحث فى التهاب

المفاصل . والزهراوي هو أول من نجح فى عملية شق القصبة الهوائية Trachomi وقد أجرى هذه العملية على خادمه . كما نجح فى إيقاف نزيف الدم بربط الشرايين الكبيرة ، وهذا فتح علمي كبير أدعى تحقيقه لأول مرة الجراح الفرنسي الشهير امبرواز باري سنتة 1552 ، فى حين أن الزهراوي قد حققه وعلمه تلاميذه قبل ذلك بستمائة سنة . وإذا كانت الأبحاث الطبية الحديثة قد أثبتت أن مادة الصفراء تساعد على إيقاف تكاثر البكتريا ، فإن الزهراوي قد توصل الى ذلك فى زمانه، فكان يعقم ويطهر الآلات المستعملة فى العمليات الجراحية بنقعها فى الصفراء ، ويأتي اهتمام الزهراوي بتعقيم الآلات وتطهيرها من كثرة استعمالها فى التشريح ، موضوع اهتمامه الرئيس ، يدلنا على ذلك كتابه " التصريف لمن عجز عن التأليف " الذى يتبين منه أنه شرّح الجثث بنفسه ، وقدم وصفا دقيقا لإجراء العمليات الجراحية المختلفة . وقد أوصى الزهراوى فى جميع العمليات الجراحية التى تجرى فى النصف السفلى من الإنسان بأن يرفع الحوض والأرجل قبل كل شئ . وهذه طريقة اقتبسها الغرب مباشرة عنه واستعملها كثيرا حتى وقتنا هذا ، ولكنها نحلت – زورا وبهتانا – للجراح الألماني ترند لنبورغ وعرفت باسمه دون صاحبها الأصلى الزهراوى. وقبل برسيفال بوت بسبعمائة عام عنى الزهراوي أيضا بالتهاب المفاصل وبالسل الذى يصيب فقرات الظهر والذى سمي فيما بعد باسم الطبيب الإنجليزي بوت، فعرف بالداء البوتي زورا بدلا من الداء الزهراوى! . ومع ذلك لم يستطع الغربيون إغفال الدور الريادي للزهراوي فى علم الجراحة – فضلا عن نبوغه فى أمراض العين ، والأنف والأذن والحنجرة ، وأمراض المسالك البولية والتناسلية – فأطلقوا عليه لقب " أبو الجراحة " .

وأوضحت الدراسة أن أهم مؤلفات الشيخ الرئيس ابن سينا فى الطب كتابه القانون فى الطب وهو من أهم موسوعات الطب االإسلامي ، يشتمل على خمسة أجزاء ، خصص الجزء الأول منها للأمور الكلية فهو يتناول حدود الطب وموضوعاته والأركان ، والأمزجة ، والأخلاط ، وماهية العضو وأقسامه ، والعظام بالعضلات وتصنيف الأمراض وأسبابها بصفة عامة والطرائق العامة للعلاج كالمسهلات والحمامات .. الخ . وخصص الجزء الثاني للمفردات الطبية. وخصص الجزء الثالث لأمراض كل جزء من الجسم من الرأس الى القدم . أما الجزء الرابع فيتناول الأمراض التى لا تقتصر على عضو واحد كالحميات وبعض المسائل الأخرى كالأورام والبثور والجزام والكسر والجبر والزينة . وفى الجزء الخامس دراسة فى الأدوية المركبة . وترجم القانون فى الطب ترجمات كثيرة من العربية ، وطبع فى نابولي سنة 1492 م وفى البندقية سنة 1544 . وترجمه جيرارد الكريموني من اللغة العربية الى اللغة اللاتينية . وقد ترجم أندريا الباجو القانون فى أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، وتميزت هذه الترجمة عن غيرها بوضع الباجو قاموسا للمصطلحات الفنية التى كان يستعملها ابن سينا ، ونشرت هذه الترجمة عام 1527 م . وترجم جان بول مونجوس القانون ترجمة دقيقة اعتمد عليها اساتذة الطب وطلابه فى العالم خلال فترة طويلة من العصور الوسطى . وجملة القول إن القانون فى الطب لابن سينا طبع باللاتينية أكثر من ستة عشر مرة فى ثلاثين عاما من القرن الخامس عشر الميلادي ، وطبع عشرين مرة فى القرن السادس عشر الميلادي . ابدع ابن سينا فى معظم الاختصصات الطبية، ومنها مساهمته فى تدشين علم الطب النفسى أو علم النقس الذى عنى به عناية لا نكاد نجد لها مثيلاً

لدى واحد من رجال التاريخ القديم والوسيط، فألم بمسائله المختلفة إلماماً واسعاً، واستقصى مشاكله وتعمق فيها تعمقاً كبيراً، وأكثر من التأليف فيه إلى درجة ملحوظة. حتى أنه ذكر مصطلح "علم النفس" نصاً . ومن الاختصاصات الطبية التى أبدع فيها ابن سينا :طب العيون أوما كان يعرف عصرئذ بالكحالة، ففى الجزء الثانى من القانون خصص ابن سينا فصل الفن الثالث لتركيب العين و تشحيص أمراضها، وعلاجها. وأنكر ابن سينا على أصحاب الشعاع نظريتهم التى ترى أن الإبصار يتم بخروج شئ من البصر يلاقى المبصرات ، وذلك خطأ عند ابن سينا ، لأن الشعاع لو كان يخرج من البصر ، ويلاقى المحسوسات لما احتاج البصر إلى الضوء الخارجى ، ولكان ينوّر الهواء عند خروجه فى الظلام . وفى القانون خصص الشيخ الرئيس حيزاً لطب الأسنان ، وفيه أبدع فى مجال تشبيك الأسنان المتحركة بتوسيع منابت الأسنان فى حالة تآكل العظم بسبب آفة نسج داعمة ، أو خراج سنى ، وأشار إلى الامتصاص الدورى الحديث حين وصف تآكل يدقق السن بما ينقص منها. كما وقف على التراجع اللثوى الذى ينشئ عن النسج الداعمة إذا التهب، وساهم ابن سينا فى ما يُعرف الآن بالجراحة التجميلية للأسنان ، وذلك بتقصير السن المتطاول أو النابت فوق مستوى الأطباق ، واستخدام الآلات والأدوية فى نشر السن النابتة على غيرها. وعالج ابن سينا الكسور الفكية علاجاً علمياً سليماً ما زالت خطواته متبعة فى طب الأسنان الحديث . ففى حالة كسر الفك السفلى أو اللحىْ ، أوصى الشيخ الرئيس بالرد الإصبعى وربط وتثبيت الأسنان بأسلاك من ذهب ، وأشار إلى مدة التثبيت اللازمة علمياً والكافية لالتحام الكسر ، وهى ثلاثة أسابيع. وأشار إلى ضرورة إزالة الشظايا العظيمة فى حالة الكسر

المركب الذى يصل إلى الجلد. كما عرف الوذمة التى يمكن أن تحدث بعد الكسر.

وعند البحث فى بنى زهر، تعرضت الدراسة لأجيال العلماء ، وتوقفت كثيرا عند أبو مروان بن أبى العلاء بن زُهر، فوجدته لاحقا بأبيه فى صناعة الطب والدرس والتعلم عليه ، سائراً فى نفس الاتجاه العام للعائلة ككل ، متأثراً بمن سبقه ، ومحافظاً على نفس التقاليد العلمية ، فصار جيد الاستقصاء فى الأدوية المفردة والمركبة ، حسن المعالجة ، ومع مرور الوقت فى التمرس بالصنعة ، صار أحد زمانه ، ولم يوجد من يماثله فى مزاولة أعمال الطب وخاصة تجاربه الكثيرة فى تأتيه لمعرفة الأمراض ومداواتها مما لم يسبقه أحد من الأطباء إلى مثل ذلك. دخل أبو مروان بن أبى العلاء بن زُهر فى صلات علمية مع الفيلسوف والطبيب الكبير ابن رشد الذى أثنى على ابن زُهر وتفوقه الطبى ، فألف له ابن زُهر كتابه الأشهر " التيسير فى المداواة والتدبير" ، ويبدو أن ابن رشد قد أمره بذلك على ما يذكر ابن زُهر نفسه من "إنه مأمور فى تأليفه". وقد أدت أهمية موضوعات الكتاب بابن رشد إلى أن يصرح فى كتابه "الكليات" بأن أعظم طبيب بعد جالينوس هو ابن زُهر صاحب كتاب "التيسير" . اهتم أبو مروان بن زُهر اهتماما بالغا بالمنهج التجريبى، فما تثبته التجربة،فحق ويؤخذ به، وما لم تثبته التجربة فباطل، حتى وإن كان قائله من فطاحل الأطباء كابقراط وجالينوس والرازى، أولئك الذين اطلع ابن زُهر على أعمالهم الطبية، ودرسها، واستشهد بآرائهم كثيرا، إلا أن ذلك لم يأت إلا بعد نقد وتمحيص، وإقرار التجربة بذلك "فمدار أمرنا على التجربة. وإذا كان ابن زهر قد عوّل على الاحتكام إلى التجربة كمحك يفصل به بين الحق والباطل

فيما يقبله من آراء، فقد ساعده هذا كثيرا فى التشخيص السليم للأمراض باعتباره الأساس الذى يقرر على ضوئه العلاج المفيد، فلقد أثبتت التجربة فيما مضى أن هذا المرض يسبقه كذا وكذا من الأغراض، فإذا لاحظ الطبيب هذه الأعراض، فسرعان ما يقرر المرض الذى يشكو منه المريض بناء على سابق خبرته من كثرة المشاهدات والتجارب، والتى يقرر على ضوئها العلاج المناسب. و اهتم ابن زهر بالملاحظة الوصفية، إحدى مراحل المنهج العلمى الحديث، فكان ينصح بضرورة ملاحظة الحالة جيدا حتى يسهل على الطبيب الوصول إلى تشخيص سليم لها.ولقد سجل ابن زُهر فى مؤلفاته كثيراً من ملاحظاته لحالات مرضية مختلفة الأمراض، وتابعها حتى وصل إلى تشخيصها تشخيصا سليما ومعرفة أسبابها. صنف أبو مروان مؤلفات أخرى ، لا تقل أهمية عن "التيسير فى المداواة والتدبير" و "كتاب الأغذية والأدوية" ، و"كتاب الاقتصاد فى إصلاح الأنفس والأجساد"، وإن كانت أقل شهرة ، وهى : مقالة فى علل الكُلى(مفقود) ، كتاب مختصر حيلة البُرء لجالينوس، كتاب الزينة ، وهو عبارة عن تذكرة إلى ولده أبى بكر فى أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه ،كتاب تذكرة فى الدواء المسهل، كتاب القانون المقتضب، رسالة فى تفضيل العسل على السكر، رسالة كتب بها إلى بعض الأطباء بأشبيليه فى علل البرص والبهق (مفقود) ، وضعه لابنه أبى بكر فى بداية تعلقه بعلاج الأمراض . وترجع أهمية كل هذه المؤلفات إلى ما ضمنه فيها صاحبها من إنجازات ، فهو أول من قدم وصفاً سريرياً – متأثراً بالرازى – لالتهاب الجلد الخام ، وللالتهابات الناشفة والانسكابية لكيس القلب ، وبوصفه للوباء، وصل إلى مفهوم التجرثم microbic الحديث "فقد جرت عادة

الناس إقاعهم هذا الاسم على(وباء) على الأمراض التى تصيب أهل بلد من البلاد ، وتشمل أكثرهم، وهذا إنما يكون لما يشترك الناس فى استعماله فيصيبهم ، وقد أدى به هذا إلى أن يكون أول من اكتشف جرثومة الجرب وسماها "صؤابة" ، ذلك الاكتشاف المثير الذى يأخذ به علم الطفيليات والأحياء المجهرية إلى اليوم. و هو أول من ابتكر الحقنة الشرجية المغذية ، والغذاء الصناعى لمختلف حالات شلل عضلات المعدة . كما يعتبر أول من استعمل أنبوبة مجوفة من القصدير لتغذية المصابين بعسر البلع ، وقدم وصفاً كاملاً لسرطان المعدة .. إلى غير ذلك من الإنجازات الطبية والعلاجية التى جعلت صاحبها أشهر وأكبر أعلام الطب العربى فى الأندلس ، وعملت على تطور وتقدم علم الطب فى العصور اللاحقة حتى وصلت إلى الغرب الذى عرفه باسم Avenzorar ، وعَدَّه أعظم من ابن سينا ، ولا يَعدله فى الشرق سوى الرازى ، والاثنان قد قدما من المآثر ما أفادت الإنسانية جمعاء .

أما إبن النفيس، فقد بينت الدراسة كيف اعتمد المنهج العلمى التجريبى فى بحوثه لإثبات الحقائق العلمية التى يتوصل إليها بتطبيق خطوات هذا المنهج من رصد وملاحظة وفرض الفروض، ثم التحقق منها بالتجربة. ولذا نراه لم يقبل بكل آراء سابقيه إلا بعد التحقق التجريبى، ومن خلال تطبيق المنهج التجريبى وممارسة التشريح، توصل ابن النفيس لأول مرة فى تاريخ الإنسانية إلى اكتشاف الدورة الدموية الصغرى، حيث تتبع مسار الدم فى العروق وسريانه فى الجسد ، وأثبت انه ينقى فى الرئتين. فالدم يأتى غليظا من الكبد عن طريق مروره من التجويف الأيمن من القلب، فيلطف، ثم يمر إلى الرئة عن طريق الشريان الوريدى، فيخالط الهواء، ثم ينقسم قسمين، قسم غليظ يبقى الرئة ، وقسم رقيق

مخلوط بالهواء يعود إلى التجويف الأيسر من القلب، ومنه إلى الأورطة والأنسجة والشرايين. انتحل بعض الغربيين اكتشاف ابن النفيس للدورة الدموية الصغرى ووصفها، وظل العالم يعتقد – زورا وبهتانا – لمدة ثلاثة قرون أن مكتشفها سرفيتوس الأسبانى أو هارفى الإنجليزى. وفى سنة1924 ذهب الطبيب المصرى محيى الدين التطاوى إلى مدينة فرايبورغ الألمانية للتحضير لدرجة الدكتوراة، وفى أثناء دراسته ومتابعة أبحاثه، وقع على مخطوطة لإبن النفيس فى أدراج إحدى المكتبات الأامانية، وبمطالعتها وجد أن النصوص الطبية المنسوبة إلى سرفيتوس الأسبانى وهارفى الإنجليزى فى اكتشاف الدورة الدموية الصغرى هى بعينها نصوص إبن النفيس.وظن التطاوى أنه اكتشف مايفوق درجة الدكتوراة التى جاء ألمانيا من أجلها، فأطلع أساتذته الألمان على مخطوطة إبن النفيس، ومحددا نصوص اكتسافه الدورة الدموية، فما كان منهم إلا أن أخرجوا من مكتبة الدولة كل المخطوطات القديمة لمقارنتها بمخطوط إبن النفيس الذى اكتشفه التطاوى. ثم أرسلوا نصوص إبن النفيس إلى مواطنهم فى القاهرة المستشرق الألمانى ماكس مايرهوف – طبيب العيون الذى قضى حياته فى دراسة مخطوطات الطب الإسلامى- يسألونه عن مدى صحة ما ادعاه التطاوى. وما أن رأى ماكس مايرهوف نصوص إبن النفيس حتى ذهل، وأبلغ زملاءه بصحة ما جاء به الطبيب المصرى، وهو اكتشاف إبن النفيس للدورة الدموية الصغرى. ولم يكتف مايرهوف بذلك، بل أرسل الإكتشاف إلى مؤرخ العلم جورج سارتون الذى ضمّنه فى نهايه كتابه " مقدمة فى تاريخ العلم " الذى كان يعده، ثم أكده وادرجه كتاب " دائرة المعرف الإسلامية " فى طبعته الثانية.

ويحث الباب الثالث من الدراسة فى بعض الإختصاصات الطبية التى أبدع فيها علماء الحضارة الإسلامية، ففى الطب النفسى بيّنت الدراسة كيف أن هذا الفرع المهم من الطب يُعد ابتكاراً عربياً إسلامياً خالصاً. ففى الحضارة اليونانية كان يعتقد أن الشفاء من الأمراض النفسية يستلزم أن ينام المريض فى هيكل خاص ، حيث يتم شفاؤه بمعجزة تحل بجسده فى الليلة الوحيدة التى يقضيها فى ذلك الهيكل، فإن لم تحل هذه المعجزة فى تلك الليلة ، لن يُشفى المريض طيلة حياته. وفى العصور الوسطى الغربية كان يُعامل أصحاب هذه العلل أسوأ معاملة ، فكانوا يوضعون فى سجون مظلمة وقد قُيدت أيديهم وأرجلهم ، ويُسلم أمرهم إلى رجال أفظاظ لا يعرفون إلا لغة الضرب والتعذيب أمد الحياة. وكان مبعث ذلك لدى الغربيين آنذاك هو الاعتقاد السائد بأن هذا المريض قد لعنته السماء عقاباً له على إثم ارتكبه، فانزلت به هذا المرض. أو أن شيطاناً ماكراً ضاقت به الدنيا فحل فى جسم هذا المريض ، لذا فإنه يحل تعذيب ذلك الجسد لأنه بمثابة منزل لشيطان رجيم !!. أما الأطباء المسلمون ، فقد تصدوا لمعالجة الأمراض النفسية ، وقدموا لها من العلاجات (المبتكرة) ما ساعد على شفائها. وقد أتيت بأمثلة كثيرة – عبر صفحات هذا الفصل – أكدت عملية قياسها على "علم النفس الحديث" مدى جدتها وأصالتها.فالرازى فكر كأول طبيب فى معالجة المرضى الذين لأمل فى شفائهم فكان بذلك رائداً فى هذا المجال. ومن أشهر الأمراض التى اعتبرها سابقوه مستحيلة البرء وعالجها هو، الأمراض النفسية والعقلية والعصبية، وخاصة الصرع والمالنخوليا. كما أدرك الرازى أثر العامل النفسى فى صحة المريض، وليس هذا فحسب، بل وفى إحداث الأمراض العضوية، وبذلك يكون الرازى قد

تنبه إلى ما يسمى فى العصر الحديث بالأمراض النفسجسمية Psychomatic diseases وهى موضوع اهتمام أحدث فروع الطب. ولقد رأينا كيف عالج جبرائيل بن بختيشوع حالة الفتاة التى فسرها علم النفس الحديث على أنها حالة فصام schizophrenia من نوع يسمى الفصام التشنجى catatonia أو الفصام التصلبى catatioic الذى يتميز سلوك صاحبه بالتيبس النفسى والجسمى. وقد عالج ابن بختيشوع هذا الفصام قبل علم النفس الحديث بقرون طويلة. أما الشيخ الرئيس ابن سينا، فلقد رأينا كيف عنى بعلم النفس عناية لا نكاد نجد لها مثيلاً لدى واحد من رجال التاريخ القديم والوسيط، فألم بمسائله المختلفة إلماماً واسعاً واستقصى مشاكله، وتعمق فيها تعمقاً كبيراً، وأكثر من التأليف فيه. ويعتبر ابن سينا أول الفلاسفة الذين ربطوا وظائف الاحساسات والخيال والذاكرة بشروطها الفسيولوجية، ولم يسبقه أحد فى إلقاء الضوء الساطع على علم النفس التجريبى. ولعل أبرز ما يميز علم النفس السينوى ويجعله سابقاً لعصره، ويبدو عصرياً معالجته لمفهوم الوعى بالذات أو "الشعور بالذات" كما يسميه هو. كما يتلازم مذهبه مع النظرية السيكولوجية الحديثة الخاصة بالشعور وأقسامه. ولقد رأينا كيف اعترف عالم النفس الأمريكى هليجارد صراحة بأن ابن سينا قد تعرف على ما يعرف اليوم باسم الأمراض الوظيفية Function Illnesses، وهى أمراض نفسية الأسباب ونفسية النشأة psychogenesis كما أن واحداً من أكبر علماء النفس الأمريكيين المعاصرين وهو جيمس كولمان يضمن كتابه Abnormal psychology and Modern life حالة مرضية نفسية عالجها ابن سينا بطريقة مبتكرة أفادت علم النفس الحديث. وفى هذا

الإطار أيضاً رأينا كيف شخص وعالج الطبيب أوحد الزمان مرض الهلاوس Halluacination الذى تنتشر أعراضه لدى الذهانيين، وتُعرف الهلاوس على أنها مدركات حسية خاطئة ذات طابع قشرى لا تنشأ عن موضوعات واقعية فى العالم الخارجى، بل عن وضوح الخيالات والصور الذهنية بحيث يستجيب لها المريض كوقائع بالفعل. واستخدام الطبيب سكرة الحلبى فى علاجه للحالة التى عرضتها فى سياق البحث، "نظرية الذات" التى قال بها كارل روجز، وتسمى أيضاً بنظرية العلاج المعقود على المريض .. إلى غير ذلك من الابتكارات النفسية العربية الإسلامية التى وقفت عليها، ورأينا كم لها من أثر على (الآخر) الغربي، وذلك من خلال ما أوردته من تصريحات واعترافات أكبر علماء النفس الغربيين المعاصرين، تؤكد الدور الريادي للعرب والمسلمين فى هذا المجال واعتباره بمثابة أساس قوى فى قيام وتطور علم النفس الحديث.

ورأت الدراسة أن من الإختصاصات الطبية التى لاقت اهتماماً بالغاً فى الحضارة الإسلامية، طب العيون، يؤكد ذلك كثرة عدد أطباء العيون ، وكثرة التصانيف والتآليف المعتبرة والمرموقة التى وضعوها ، تلك التى أضافت ثروة علمية كبيرة إلى الناتج العلمى والمعرفى لتاريخ هذا العلم. وللوقوف على الحجم الحقيقى لهذا الناتج ، انتهت الدراسة إلى هذا: عُنى أطباء الحضارة الإسلامية عناية فائقة بجراحة العين وأجزائها كالأجفان ، وفصلوا القول فى جراحتها وما يصيبها مثل الشعرة الناكسة وكيفية معالجتها بالتشمير والكى ، وجراحة السّبل والظفرة ، والثآليل التى تعرض فى جفون العين ، والبرَدَ وهو اجتماع رطوبة غليظة فى الجفنين ، والشرناق وهو تشكل الحليمات

فى الملتحمة الجفنية ، وكذلك استئصال السعفات والأورام ، وأطلقوا تعبير "الماء النازل فى العين" على الساد ، وابتكروا المقدح المجوّف واستخدامه فى تفتيت الماء بالمص أو الشفط ، ثم طوروه بجعل حافة إبرته رقيقة كالسيف ، بعد أن كانت مثلثة ، وصنعوها من النحاس الأصفر ، وذكروا لأول مرة أن الساد (الماء) يقع خلف العنبية (القزحية) وليس أمامها ، كما كان سائداً ، ووصفوا لأول مرة عملية استخراج الساد عن طريق الضغط عليه من خارج العين واستدراجه برأس الإبرة ليخرج من الجرح أسفل الإكليل القرنى ، وأظهروا لأول مرة رسومات الآلات الجراحية ، وحذروا للمرة الأولى فى تاريخ الطب من أذية بطانة القرنية أثناء القدح ، إذ أن ذلك يوجب آفة مستديمة وتغيماً وأبيضاضا فى القرينة يصعب علاجه ، كما أن عدم التئام الجرح واستمرار نز الرطوبات العينية منه يؤدى بالعين إلى انخسافها وضمورها ، وفقدان بصرها ، وهذا ما يحذره جراحوا العيون حالياً ، واكتشفوا ودونوا لأول مرة فى تاريخ الطب أن الحدقة تضيق فى الضوء وتتسع فى الظلمة واستعملوا لأول مرة المغناطيس فى استخراج الأجسام المعدنية التى تدخل العين ، ووضعوا أول كتاب منهجى متكامل عن طب العيون فى الحضارة الإسلامية يبحث فى الأمراض التى يمكن أن تصيب العين وكيفية معالجتها ، ويختلف عن المؤلفات اليونانية التى كانت تفصل بين المرض وعلاجه ، ولذا ظل مصدراً غنياً نهل منه أطباء العيون على مستوى العالم لأجيال متلاحقة ، وقدموا مفاهيم وأسس علمية ونظريات مبتكرة غير مسبوقة فى الإبصار ، قامت عليها النظريات الحديثة ، مثل كيفية الإبصار ، وأخطاء البصر ، والانعكاس والانعطاف وأنواع المريا ، وألفوا أول كتاب عن تشريح العين وملحقاتها فى تاريخ الإنسانية

، وأول من رسم مقطعاً أفقياً للعينين والتصالب البصرى والدماغ ، وأول من وضع رسماً توضيحياً لمقطع أفقى وعمودى فى العين.كل هذه الانجازات جعلت طب العيون فى الحضارة الإسلامية يحتل مكاناً مرموقاً فى تاريخ الطب العالمى، ويؤسس العلم الحديث.

وحاولت الدراسة أن تقف بصورة ما على حجم طب الأنف والأذن والحنجرة فى الحضارة الإسلامية، فبيّنت كيف عرف أطباء الحضارة الإسلامية وعالجوا أورام الأنف، وأجروا جراحة قطع السليلات الأنفية بآلة الكلابة، واستخدموا خيطاً عليه عقد متباعدة لتجريف انسداد الأنف، وأجروا جراحة استئصال أورام الفك مميزين فيها بين الحميد والخبيث. وتعود الآلة الجراحية الشبيهة بالمنشار السلكى والمستخدمة حالياً فى قص الفك العلوى إلى اكتشاف المسلمين لها وتضيعها، واشتخرجوا العلق من الأنف بالجفت (الملقط)، وعالجوا الناسور الأنفى الخلقى بشقه جراحياً بمبر كروى وإخراج الصديد، واستأصلوا القرحات الورمية الخبيئة من جذر الأنف، ووصفوا سرطان الأنف بأنه صلب ونصحوا بعدم استئصاله، كما وصفوا الزكام التحسسى وصفاً إكلينيكيا دقيقاً، وعالجوا النزيف الأنفى، وعالجوا كسور الأنف بمرود يدخل فى الأنف، ثم يدك بالشاش، وعالجوها بردها بالإصبع أيضاً. ومن خلال تشريح الأنف درس أطباء الحضارة الإسلامية وبحثوا فى آفات الشم والسيلانات الأنفية، فعرفوا أمراض الأنف مثل النتن وقروح الأنف التى صنفوها إلى ظاهرة وباطنة من حيث توضعها، وإلى نتنة وبثرية وسلاخة وحلوة وخشكريشات من حيث طبيعتها، معددين أسبابها وواصفين لطرائق معالجاتها. وسمى أطباء الحضارة الإسلامية الأورام الأنفية بالبواسير ووصفوها بأنها زوائد لحمية، وفرقوا بين

نوعين، الأول أبيض رخو غير مؤلم، ويسمى بالسليلات الأنفية، والآخر أحمر مؤلم، ويأتى من هذا النوع ورم سرطانى مؤلم يشوه الأنف. وفرقوا بين الورم الحميد والخبيث ببداية النشأة والسير المرضى والعلامات الإكلينيكية، ووصفوا وأجروا العمليات الجراحية لاستئصاله، والتى تتنوع بين القطع والتجريف والكى. وفى الأذن فصّل أطباء الحضارة الإسلامية آفات السمع وصنفوها إلى درجتين، الأولى فقد أو بطلان السمع، والأخرى نقص السمع، وشرحوا قياس درجة النقص بقدرة المرء على سماع الصوت المهموس عن بعد، وبيّنوا أن نقص السمع ينحصر فى نوعين، الأول تضعف فيه القدرة السمعية، والآخر يحدث بسبب الطنين الذى يشوش قدرة السمع. ومن الناحية التشريحية أوضح أطباء الحضارة الإسلامية أن هناك نوعين من الإصابة أيضاً، الأول هو فقد السمع التوصيلى بالمعنى الحديث، والذى دعوه بالصمم الذى يرجع سببه إلى تشوه تشكيل الأذن الظاهرة والوسطى، والآخر هو الطرش، وعنوا به نقص السمع الحسى العصبى، وينتج عن إصابة تامة أو جزئية فى العصب السمعى دون أذية فى الصماخ السمعى الظاهر أو جوف الطبل. وأشار أطباء الحضارة الإسلامية إلى ما يُعرف حالياً بالأورام الخبيثة أو الصمغ السفسلى حين تحدثوا عن الآفات الآلية التى وصفوها بالأورام الحارة أو الصلبة أو الغشاوة من الأوساخ، أوالآفات الانحلالية المخربة مثل التآكل أو التقرح. كما يتفق الفهم التشريحى الفيزيولوجى الحديث مع عرضهم لأسباب اصابات الأذن، وخاصة بيان طبيعة الصوت بأنه عبارة عن أمواج تحتاج ضرورة إلى الهواء لتوصيلها إلى التجويف الباطن، فيتشكل فى حالة الإصابة ما يشبه العنبة التى تحتوى على هواء راكد. وينقسم نقص السمع من حيث المنشأ إلى اصابات ولادية،

وإصابات عارضة أو مكتسبة، ولا علاج للصمم أو الطرش الولادى، كما تصعب معالجة المكتسب المزمن، ويمكن معالجة الحالات الحادثة القريبة العهد، والتى تتنوع أسبابها، فمنها ما يكون بمشاركة عضو مجاور كآفة فى الدماغ أو الأسنان، وقد تكون الآفة بالأذن فتصيب الصماخ السمعى الظاهر أو العصب السمعى. أما نقص السمع الحديث، فتحدثه أمراض الصماخ السمعى الظاهر ومنها السليلات والديدان والصملاخ والأوساخ والثاليل. وتصنف هذه الأمراض إلى فئتين تبعاً لسبب حدوثها، فئة تحدث عن سبب داخلى فى البدن مثل الدود أو انفجار ورم كالدمامل، أو الورم الكولوسترولى، والفئة الأخرى تحدث عن سبب خارج البدن مثل الأجسام الغريبة التى تسد الصماغ السمعى الظاهرة كخثرة دموية جافة أو حصاة أو رمل. وبمسبار عليه صمغ استخرج أطباء الحضارة الإسلامية الحجر المتموضع فى الأذن، وابتكروا مشرط خاص لفتح الصماخ السمعى الظاهر المغلق خلقياً، وأجروا العديد من العمليات الجراحية، فاستخرجوا الديدان والأجسام الغريبة بالكلابة الرفيعة أو بالملقط، أو بالامتصاص باسطوانة معدنية، أو بفتح شق عند شحمة الأذن، فيستخرج الجسم الغريب، ثم يُخيط الجرح ويُضمد. وعالج أطباء الحضارة الإسلامية الالتهاب الحاد للأذن الوسطى، وعالجوا الألم بالمضاد المستخرج من الخشخاش، وبتقطير الدواء المصنوع من الأفيون، ونبهوا فى علاج طنين الذن إلى ضرورة أن تكون قطرات البنج وغيرها فاترة. وشَرّح أطباء الحضارة الإسلامية البلعوم، وأجروا جراحات شق العنق، واستخرجوا من البلعوم الحسك والعلق وغيرهما من الأجسام الغريبة، وأوضحوا العلق وأعراضه وعلاماته وطرق استخراجه. وفى علاج خراجات اللوز والبلعوم ابتكروا مساعد

للسان فى استأصال اللوزة بجذبها بالكلابة وقطعها بمشرط حاد أو قطعها بما يشبه المقص حاد الشفرتين. وعالجوا القلاع فى الحلق، ووصفوا وصنفوا الخناق إلى الورمى والغير ورمى، ويتوضع الورمى فى اللهاة أو فى اللوزتين أو فى الحنجرة أو فى المرئ، ومنه ما يكون سرطانياً. وأجرى أطباء الحضارة الإسلامية جراحة قطع اللهاة، وعددوا أساليب معالجتها. وحذروا من الأذى الذى يحدث للصوت بعد قطعها. وفى معالجة الاختناق (الذبحة) يعد أطباء الحضارة الإسلامية أول من نجحوا فى عملية شق القصبة الهوائية أو فغر الرغامى، وهذا فتح علمى كبير ادعى تحقيقه لأول مرة الجراح الفرنسى الشهير امبروازبارى سنة 1552، فى حين أن أطباء الحضارة الإسلامية - وخاصة الزهراوى - قد حققوه وعلموه تلاميذهم قبل ذلك بستمائة سنة، وذلك حين شقوا الرباط الذى بين حلقتين رغاميتين، وبالتحديد الحلقة الرغامية الثالثة والرابعة، بدون أن ينال الغضروف حتى يتم التنفس منه، فيزول الاختناق، ويخاط الرباط ويعالج.

وفى اختصاص طب الأسنان، حاولت الدراسة الوقوف بصورة ما على حجم هذا العلم فى الحضارة الإسلامية، وأثرة فى العلم الحديث، فأوضحت كيف عنى أطباء الحضارة الإسلامية عناية كبيرة بوقاية وتنظيف الأسنان ، مؤكدين على استعمال أعواد السواك كفرشاة ، وذلك لاحتوائها على نسبة عالية من الكالسيوم والعفص والحديد. واهتموا بمعالجة السن بكل الطرق والوسائل ، فابتكروا واتبعوا طرقاً دقيقة فى العلاج تكاد تقترب كثيراً مما هو سائد حالياً فى الطب الحديث . فلقد وضعوا أسس التشخيص التفريقى Differential Diagnosis المتبع الآن لأمراض الأسنان ، ففرقوا بين الأعراض

والآلام المصاحبة للأمراض ، وذلك للوقوف على الأسباب الحقيقة للمرض ، فكان الطبيب يتحرى الدقة فى تشخيص السن المصاب تشخيصاً سليماً لاسيما إذا كان النخر فى السن جانبى يصعب رؤيته ، ويتخذ الألم شكل الشعاع ممتداً إلى السن السليم . وعالج أطباء الحضارة الإسلامية عصب السن والجذور Endodontics بما يعرف حالياً بتحنيط لب السن pulp fixation وإماتته ، وأرسوا أساس حشو الجذور المستعمل حالياً ، فابتكروا فى مجال تسويس الأسنان Teeth caries ، لأول مرة فى تاريخ الطب ، طريقة ثقب وسط السن المتآكل بمثقب يدوى لإخراج المواد المحتقنة الناتجة عن التهاب العصب ، واستعملوا أنواع عديدة من الحشوات مثل الكبريت والقرنفل والشيح والمصطكى والقطران ، وحشوا الضرس بمسحوق الفلفل ، فإذا استمر الألم ، استبدل بالزرنيخ الأحمر. واستعملوا الحشوات المصبوبة المركبة من خليط من المواد الغير قابلة للصدأ مثل الذهب لتعويض الأجزاء المكسورة أو المفقودة من الأسنان كما صنعوا ونحتوا أسنان صناعية من عظام البقر والعاج لتحل محل الأسنان المفقودة وتملئ حفرتها مثبتة بسلوك من ذهب. واتبع أطباء الحضارة الإسلامية فى قلع الأسنان نفس الطريقة المتبعة حالياً ، حيث يبدأ القلع بقطع رباط سنى خاص يربط السن باللثة ، ثم يشرط حول السن من الطرف الدهليزى الخارجى ، ومن الطرف اللسانى الداخلى ، ثم يمسك السن بالآلة الخاصة بذلك وهى الكلابة ، ويقلقل للخارج وللداخل ، ثم سحبه لأسفل إذا كان من الأسنان العلوية ، ولأعلى إذا كان من الأسنان السفلية. وفى قلع أصول الأضراس واستخراج عظام الفك المكسورة ، ابتكروا واستخدموا الروافع والكلابة التى تشبه فم الطائر ، وقاموا بفتح شريحة لثوية للقلع.

وإذا ما تفتت عظم من الفك بعد القلع بسبب التهاب ، فإنهم أوصوا بإزالته بالأدوية تماماً كما هو متبع الآن فى الطب الحديث ، بل أشاروا لأول مرة إلى استعمال الخل المركز لإيقاف النزيف بعد خلع الضرس. وإلى جانب الآلات الجراحية الخاصة بخلع الأسنان ، برع أطباء الحضارة الإسلامية فى تصنيع وتصنيف الآلات الخاصة بجرف التسوس والتآكل والآلات الثاقبة والقاطعة مثل المجرفات والأزاميل ، والمسلات ، والمثاقب ، والمبارد ، بالإضافة إلى الصنانير والخطاطيف ومسابر الكى الحرارى ، تلك التى ما زالت تستخدم فى طب الأسنان ، بعد أن نال بعضها التطور التكنولوجى الحديث . وفى مجال التخدير لمنع الألم ، يُعد أطباء الحضارة الإسلامية الرواد الأُول فى التخدير العام بالاستنشاق والذى سجلوا به سبقاً على الطب الغربى الحديث. وتقوم نظريتهم فيه على بل قطعة من الإسفنج بمحلول مسحوق نبات الزوان والأفيون والحشيش والسيكران ، وتوضع على أنف وفم العليل للاستنشاق حتى يفقد وعيه ، فلا يشعر بالألم أثناء إجراء العمليات الجراحية. وكذلك فى مجال التخدير الموضعى لمنع الألم عند خلع الأسنان ، وصفوا لأول مرة فى تاريخ الطب التبريد لتسكين الآلام ، وذلك بوضع قطع الثلج على الأماكن المؤلمة فى الأسنان. كما وصفوا استعمال بذور نبات القنة والأفيون والميعة والبنج المعجونة بالعسل التى توضع على الأسنان ، فإذا استمر الألم ، وضعوا الزيت المغلى فى ثقوبها ، أو كيها حرارياً. وبرع أطباء الحضارة الإسلامية فى تشبيك الأسنان المتحركة بالجبيرة السلكية التى وصفوها واستخدموها بأسلاك الذهب استخداماً دقيقاً ، ووسعوا منابت الأسنان فى حالة تآكل العظم بسبب آفة نسج داعمة ، أو خراج سنى ، وأشاروا إلى الامتصاص الدورى الحديث حين وصفوا

تآكل يدقق السن بما ينقص منها. كما وقفوا على التراجع اللثوى الذى ينشئ عن النسج الداعمة إذا التهبت ، وذلك بمعرفتهم نقصان لحم العمور. وأجرى أطباء الحضارة الإسلامية ما يُعرف حالياً فى الطب بالجراحة التجميلية لتشوه الأسنان Malocclusuion ، فنشروا الأسنان النابتة على غيرها ، كما سجلوا السبق العلمى الأصيل فى تشخيص ووصف القلح والترسبات القلحية وأثرها فى فساد اللثة ، وأساليب وطرق إزالتها تلك التى ما زالت مستخدمة فى الطب الحديث ، ذلك الذى أقر أيضاً بتشخيصهم لما يُعرف حالياً باسم البثعة Epulis أو الورم اللثوى الذى ينبت على اللثة وفى جوانب الأسنان ، ووضعوا له العلاجات المناسبة والتى تنوعت بين الجراحة والأدوية . وكذلك عالج أطباء الحضارة الإسلامية كسر اللحى أو الفك السفلى Mandibular Fractures وخلع الفك السفلى Mandibular Dislication بطرق مازالت متبعة فى الطب الحديث مثل الرد الإصبعى وتثبيت الأسنان وربطها بأسلاك من ذهب التى تقابل الآن أسلاك الفولاذ ، وربط الفك السفلى فى اتجاه الرأس بعد رده برباط قماش والذى يقابل الرباط المطاطى حالياً. كل هذه الإنجازات جعلت طب الأسنان فى الحضارة الإسلامية يمثل إبداعاً ممتداً إلى العلم الحديث ، ويحتل مكاناً مرموقاً فى تاريخ الطب العالمى .

ووجدت الدراسة أن من الإختصاصات الطبية التى لاقت اهتماماً وتطوراً فى الحضارة الإسلامية ، طب الباطنة ، حيث درس العلماء والأطباء البطن بكل ما تحويه من أعضاء ، وعرفوا ما يعتريها من أمراض ، فشخصوها ، وأبانوا أعراضها ، وقدموا لها ما يناسبها من العلاجات ، كالذى يعرض فى المرئ والمعدة من أمراض سوء المزاج ،

وضعف المعدة ، وهو اسم حال المعدة إذ لم تهضم هضما جيداً لسبب فى نفسها وقوها. وفساد الهضم وهو أن يستحيل الطعام استحالة غير طبيعية ، وطفو الطعام وهو عدم اشتمال المعدة على الطعام. وزلق المعدة وهو ملاسة فى سطح المعدة يجعلها لا تستمسك الطعام ، والتهوع وهو حركة من الدافع للدفع عن المعدة لا يصحبها حركة من المندفع ، والقيئ وهو خروج ما فى المعدة عن طريق الفم ، والفواق وهو تشنج ينال المعدة من شيئ يلذع فيها ، أو ريح تمددّها ، أو يبوسة تعقب الاستفراغ المفُرط ، فيجتمع جرمها ليتحرك على وجه الدفع والذب. والإسهال وهو انطلاق البطن بالجهة المعتادة ، لا على الوجه المعتاد. والاختلاف وهو الإسهال الكائن بالأدوار. والخلفة وهو الإسهال الكائن بالألوان. وزلق الأمعاء وهو ملامسة فى سطح الأمعاء بحيث لا يلبث فيه الطعام فينطلق من ساعته. والزحير والزحار أو الدورسنتاريا Desentery ، وهو عبارة عن حركة من الأمعاء المستقيم تدعو إلى دفع البراز اضطرارا ، ولا يخرج منه إلا شيئ يسير من رطوبة مخاطية يخالطهما دم. والسحج وهو انجراد فى سطح الأمعاء يندفع فيه مواد دموية وصديدية وزبدية .. والمغس وهو وجع لاذع فى الأمعاء مع تمدد قليل. والقولنج Colic وهو الألم البطنى الناشئ من الإنسداد المعوى ، وعرف أطباء الحضارة الإسلامية ستة أنواع من القولنج ، هى : إيلاوس وهو نوع من القولنج صعب يكون فى الأمعاء الدقاق ، ويصحبه الغثيان والقيئ ، والقولنج التفلى ، وهو حبس الثفل فى معاء القولون ، والورمى وهو الكائن بسبب ورم الأمعاء ، والريحى وهو حبس الريح فى طبقات الأمعاء ، والبلغمى وهو التصاق سطح الأمعاء بمواد بلغمية ، والالتوائى وهو تقلب الأمعاء بسبب حرارتها أو طعام يابس ، أو غير ذلك. كذلك درس أطباء

الحضارة الإسلامية الأورام والقروح فى تلك الأعضاء الباطنية ، وضعف القوة الجاذبة وبطلانها ، والقوة الماسكة والدافعة والهاضمة ، والحموضة على الصدر ، وسيلان اللعاب ، والجشاء ، والقراقر والرياح فى البطن ، والشهوة الكلبية ، والشهوة البقرية ، والهيضة وهى حركة المواد غير المنهضمة للانفصال عن المعدة عن طريق الأمعاء بعنف وسرعة. ومارسوا البزل البطنى للاستسقاء والخراج داخل المساريقا Mesentry وربطوا الاستسقاء بضمامة الكبد والطحال ، كما هو الآن فى الطب الحديث. ومن الإسهامات الطبية العربية الإسلامية الإصيلة التى قدمها أطباء الحضارة الإسلامية للإنسانية جمعاء ، ما يُعرف الآن فى الطب الحديث بنظرية التشخيص التفريقى ، تلك النظرية التى يُعد الرازى رائداً لها ، وتقوم على التفرقة بين الأمراض المتشابهة الأعراض ، ومن أمراض الباطنة القولنج وحصاة الكُلى ، حيث استطاع الرازى بمتابعة مشاهداته وملاحظاته وتجاربه التفريقية الدقيقة أن يقف على جوانب الشبه والاختلاف بين أعراض الحصاة فى الكُلى وأعراض القولنج .

وتأسيساً على كل ماسبق ننتهى إلى أن العمل العلمى الذى يحتويه هذا الكتاب يدلل على أن الطب الإسلامى يكمل أهم حلقات سلسلة تاريخ الطب العالمى، ويشكل بنية العلم الحديث.

وتلك هى النتيجة النهائية التى ينتهى إليها هذا الكتاب، والله أعلم مما احتواه ، لا آله سواه .

أعمال الدكتور خالد حربى

1- بُرء ساعة : للرازى (دراسة وتحقيق) ،دار ملتقى الفكر، الإسكندرية 1999، الطبعة الثانية ، دار الوفاء 2005 .

2- نشأة الإسكندرية وتواصل نهضتها العلمية. : الطبعة الأولى ، دار ملتقى الفكر ،الإسكندرية 1999.

3- أبو بكر الرازى حجة الطب فى العالم : : الطبعة الأولى ، دار ملتقى الفكر ، الإسكندرية 1999 ، الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.

4- خلاصة التداوى بالغذاء والأعشاب : : الطبعة الأولى ، دار ملتقى الفكر الإسكندرية 1999- الطبعة الثانية 2000، توزيع مؤسسة أخبار اليوم ، الطبعة الثالثة دار الوفاء، الإسكندرية 2006 .

5- الأسس الابستمولوجية لتاريخ الطب العربي : دار الثقافة العلمية،الإسكندرية 2001 ، الطبعة الثانية ، دار الوفاء، الإسكندرية 2005.

6- الرازى فى حضارة العرب: (ترجمة وتقديم وتعليق)، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية 2002.

7- سر صناعة الطب : للرازى (دراسة وتحقيق)، دار الثقافة العلمية الإسكندرية 2002 ، الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2005.

8- كتاب التجارب: للرازى (دراسة وتحقيق)، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية 2002، الطبعة الثانية دار الوفاء الإسكندرية 2005.

9- جراب المجربات وخزانة الأطباء : للرازى (دراسة وتحقيق وتنقيح)، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية 2000، الطبعة الثانية دار الوفاء الإسكندرية 2005.

10- المدارس الفلسفية فى الفكر الإسلامى (1) " الكندى والفارابي": الطبعة الأولى منشأة المعارف، الإسكندرية 2003 . الطبعة الثانية، المكتب

الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2009.

11- دراسات فى الفكر العلمى المعاصر (1) علم المنطق الرياضى: الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2003 .

12- دراسات فى الفكر العلمى المعاصر (2) الغائية والحتمية وأثرهما فى الفعل الإنسانى: الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2003 .

13- دراسات فى الفكر العلمى المعاصر (3) إنسان العصر بين البيولوجيا والهندسة الوراثية . : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2003 .

14- الأخلاق بين الفكرين الإسلامى والغربى :الطبعة الأولى منشأة المعارف، الإسكندرية 2003. الطبعة الثانية ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2009.

15- العولمة بين الفكرين الإسلامى والغربى "دراسة مقارنة" : الطبعة الأولى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية 2003 ، الطبعة الثانية دار الوفاء ، الإسكندرية 2007 ، الطبعة الثالثة ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2010 .

16- العولمة وأبعادها . : مشاركة فى كتاب "رسالة المسلم المعاصر فى حقبة العولمة" ، الصادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر – مركز البحوث والدراسات ، رمضان 1424 ، أكتوبر – نوفمبر 2003.

17- الفكر الفلسفى اليونانى وأثره فى اللاحقين : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2003 ، الطبعة الثانية ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2009.

18- ملامح الفكر السياسى فى الإسلام : الطبعة الأولى دار الوفاء ، الإسكندرية 2003 ، الطبعة الثانية ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2009.

:Dar Al_Sakafa Al_Alamia, Alexandria 2003.

19- THE ROLE of Orientalization in the west,s Attitude

to Islam and its Civilization

20- شهيد الخوف الإلهى ، الحسن البصري: الطبعة الأولى دار الوفاء ، الإسكندرية 2003 ، الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006 .

21- دراسات فى التصوف الإسلامى: الطبعة الأولى دار الوفاء ، الإسكندرية 2003 .

22- بنية الجماعات العليمة العربية الإسلامية : الطبعة الأولى دار الوفاء ، الإسكندرية 2004.

23- نماذج لعلوم الحضارة الإسلامية وأثرها فى الآخر: الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2005 .

24- مقالة فى النقرس للرازى (دارسة وتحقيق). : الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2005، الطبعة الثانية ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2009.

25- التراث المخطوط: رؤية فى التبصير والفهم (1) علوم الدين لحجة الإسلام أبى حامد الغزالى. : الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2005.

26- التراث المخطوط: رؤية فى التبصير والفهم (2) المنطق. : الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2005.

27- علوم حضارة الإسلام ودورها فى الحضارة الإنسانية : الطبعة الأولى ، سلسلة كتاب الأمة ، قطر 2005.

28- علم الحوار العربى الإسلامى "آدابه وأصوله".الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.

29- المسلمون والآخر حوار وتفاهم وتبادل حضارى . : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006. الطبعة الثانية ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2009.

30- الأُسر العلمية ظاهرة فريدة فى الحضارة الإسلامية . : الطبعة الأولى ، دار الوفاء، الإسكندرية 2006، الطبعة الثانية ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2009.

31- العبث بتراث الأمة فصول متوالية (1) . : الطبعة الأولى ، الإسكندرية 2006.
32- العبث بتراث الأمة (2) مائية الأثر الذى فى وجه القمر للحسن بن الهيثم فى الدراسات المعاصرة . : الطبعة الأولى ، الإسكندرية 2006.
33- منهاج العابدين لحجة الإسلام الإمام أبى حامد الغزالى (دراسة وتحقيق) : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2007 ، الطبعة الثانية ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2010.
34- إبداع الطب النفسى العربى الإسلامى ، دراسة مقارنة بالعلم الحديث . :الطبعة الأولى ، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ، الكويت 2007.

35- مخطوطات الطب والصيدلة بين الإسكندرية والكويت : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2007.
36- مقدمة فى علم "الحوار" الإسلامى : الطبعة الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2009.
37- تاريخ كيمبردج للإسلام ، العلم (ترجمه وتقديم وتعليق) الطبعة الأولى، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2009.
38- علوم الحضارة الإسلامية ودورها فى الحضارة الإنسانية : الطبعة الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2009.
39- دور الحضارة الإسلامية فى حفظ تراث الحضارة اليونانية (1) أبقراط "إعادة اكتشا ف لمؤلفات مفقودة".: الطبعة الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2009.
40- دور الحضارة الإسلامية فى حفظ تراث الحضارة اليونانية (2) جالينوس "إعادة اكتشا ف لمؤلفات مفقودة".: الطبعة الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2009.
41- مدارس علم الكلام فى الفكر الإسلامى المعتزلة والأشاعرة :

الطبعة الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2009.

42- The Impact of Sciences of Islamic Civilization on Human Civilization: Al-maktab Al-gamaay Al-Hadis, Alexandria 2010.

43- أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (1) تياذوق، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة:الطبعة الأولى، دار الوفاء الإسكندرية 2010.

44- أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (2) ماسرجويه البصرى، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة: الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.

45- أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (3) عيسى بن حكم، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة: الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.

46- أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (4) عبدوس، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة: الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.

47- أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (5) الساهر، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة: الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.

48- أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (6) آل بختيشوع، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة: الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.

49- أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (7) الطبرى، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة: الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.

50- أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (8) يحيى بن ماسويه، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة: الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.

51- أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (9) حنين بن اسحق، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة: الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية

.2010
52- أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (10) اسحق بن حنين، إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة: الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية .2010
53- طب العيون فى الحضارة الاسلامية، أسس واكتشافات:الطبعة الاولى المكتب الجامعى الحديث،الاسكندرية2010.
54- علم الحوار الإسلامى: كتاب المجلة العربية العدد412 الرياض 2011 .

55- الطب النفسى فى الحضارة الإسلامية "تنظير وتأسيس وإبداع": الطبعة الأولى المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية.2011

56- دور الحضارة الإسلامية فى حفظ تراث الحضارة اليونانية (4) روفس الأفسسى ، إعادة اكتشاف لمؤلفات مفقودة . : الطبعة الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2011.

57- دور الحضارة الإسلامية فى حفظ تراث الحضارة اليونانية (5) ديسقوريدس ، إعادة اكتشاف لمؤلفات مفقودة. : الطبعة الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2011.

58- الجوانية، دراسة فى فكر عثمان أمين: الطبعة الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية2011.

59- طب الباطنة فى الحضارة الإسلامية "تأسيس وتأصيل": الطبعة الأولى ، الطبعة الاولى،المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية 2012.
60- أسس النهضة العلمية فى الاسلام : الطبعة الأولى، دار الوفاء، الاسكندرية2012.
61- مبادئ النظام السياسى فى الاسلام "تأصيل وتفكير" : الطبعة الاولى، المكتب الجامعى الحديث، الاسكندرية2012.

62- طب الأسنان فى الحضارة الإسلامية "إبداع ممتد إلى العلم الحديث" : الطبعة الاولى، المكتب الجامعى الحديث، الاسكندرية2012.

63- أسس العلوم الحديثة فى الحضارة الاسلامية : الطبعة الاولى، دار الوفاء، الاسكندرية 2012.الطبعة الثانية الرياض2013.

64- موسوعة الحاوى فى الطب للرازى: (دراسة وتحقيق)، ستين "60" جزءا فى عشر "10" مجلدات: الطبعة الأولى، دار الوفاء ، الاسكندرية.3013

65- هجرة العقول والكفاءات معادلة حضارية: مشاركة فى كتاب "المعطيات الحضارية لهجرة الكفاءات"، سلسلة كتاب الأمة، العدد156، رجب1434ه، مايو2013، إدارة البحوث وأندراسات، قطر.

66- العلم الإسلامى أسس الحضارة الحديثة : الطبعة الأولى دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية.2014

67- تاريخ الطب الإسلامى بنية العلم الحديث: الطبعة الأولى دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية2014.

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيـداع :2014/16502

الترقيم الدولى : 1-191-735-977-978

مع تحيات

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس: 5404480 - الإسكندرية